

سيرة حياة شاعر

يوسف
الشرقي

كامل الشناوي

آخر ظرفاء ذلك الزمان



سيرة حياة شاعر

كامل الشناوى

آخر ظرفاء ذلك الزمان

يوسف الشريف



الإهداء



كامل الشناوي

بقام ، يوسف الشريف

الضلال ، للفنان شريف عيش

الاخراج الفني : عبد الله فويه



مقدمة

لا تكاد أعرف أدبياً أو فناناً من جيلنا الصاغر غير مدين
لكامل الشتاوى !

لا قصد بهذا الدين القتالى وحده • وإنما قصد الدين
بمعناه المادى أيضاً • فقد كان كامل الشستاوى حين يرعى
موهبة جديدة يتحمل عنها جميع صومها : يشتري الكتب
للأديب الناشئ • يمسح الفنان إلى التزى بفصل له ثياباً
الفضل • يخصص حجرة فى بيته لإقامة الشاعر الذى ليس له
بيت • ينشر للكتاب الجديد فى المصيفة التى يعمل بها ويدفع
له من جيبه دون أن يخيره بذلك •

ولم يكن كامل الشتاوى يكتب بهذا • وإنما كان يعتبر رسالة
حياته أرقام الدنيا كلها على الالتفاف للموهبة التى تلمس
لها • فلا يتركه سيرة • أو حديثاً • أو اجتماعاً • إلا ويوصله
إلى فرصة دعائية لصاحب الموهبة • ويكاد يقع الجميع بأن
الله لم يخلق مثله • ويبلغ إلى حد أن يسجل بصوته لصيدة
شاب مجهول • لكن يسميها لزواره كل يوم • ويفرض عليهم
أن يحفظوا اسمه • فإذا ما بلغ هذا الاسم • وبدأ صاحبه يشق
للطريق مستقلاً • تحول عنه • وتفرغ موهبة جديدة !

ولا يمكن اليوم إحصاء عدد النجوم المشهورين الذين بدأت
أولى خطواتهم فى ظل هذا الطراز من الرعاية • وكان كامل
الشتاوى هو الذى أنقذ مواهبهم من الموت الجبر تحت وطأة
لعن المادى • أو الإحباط والتجاهل •

لا يمكن للقيام بهذا الإحصاء • لأن كامل الشستاوى كان
يكشف موهبة كل يوم • وكان الله • على حد تعبير يوسف
أفريس • يشم المواهب على مسافة ألف ميل •

وكان السبب مؤلفه الفريد من الأدب والفن • كان
يعشهما لذاتهما • لا يحب شعره • وإنما يحب الشعر •
لا يتلوق ابنه • وإنما يتلوق الأب • لا يسعد بتفوقه فى
الكتابة • وإنما يسعد بتفوقه فى الكتابة • وليس فى التاريخ
أديب أو فنان تجرد من الإثابة مثله • كانه فى محراب الفن
أختر نور العابد لا نور الكاهن • وكأننا اختر أسماء
الأدب • لا لكى يلج هو فيها • ولكن لكى يجعلها باكير عدد
من النجوم التى أزيد من رونقها !

ليس
كتاباً
وإنما
مفاجأة

بمقام
صلاح
حافظ

ولا جدال في أن كامل التشناوي قد نفع عالميا لمن هذا الموقف المصوتي في عالم اللقطة .

فهو يوم مات لم يكن له في الأسواق غير ميوان شعر واحد (لا تكتفي) .. بينما كانت تفرع الأسواق مجسات الدواوين التي أخذت عنه ، وضجت على طوال أسبوعيه ، وشق أصحابها الطريق بغضل رعابته .

ويوم مات كان عدد كبير من كتاب القصة ، والرواية ، والقال ، وكتاب الصحافة ، يمثلون أسواق السلام المصري . وكان هو الذي فتح أمامهم الطريق . بينما كانت قصصه ومفالاته مبعثرة في أربعة أركان الصحف المصرية .. لا يكاد يذكرها أحد .

ويوم مات - في ديسمبر ١٩٩٥ - كتبت القول في مجلة آخر ساعة : قد يهمل المثقفون مهمة تقييم أدبي كامل التشناوي تمت تأثير وهم ليلع ، هو أن كامل التشناوي قليل الإنتاج . لكن الحقيقة هي أن هذا الإنتاج غزير إلى حد يؤثر النهضة . وليس من حق الحركة الثقافية أن تتجاهله ، أو تهمل في جمعه . فقد وزع كامل التشناوي إنتاجه على آلاف الصفحات المبعثرة في الصحف كما وزع أفكاره وأروته وكبائله على مئات المثقفين والشعراء والفنانين . وقد تمت كافة الجهود التي فرسها في غيره ، والعزت ثروة ثقافية ضخمة . ولكن هذا التراث الذي زرعه في حداثتي القرنين سيظل أصمعيه مبهتين لاستنتاجهم . (وإن يردوا الدين) حتى يجمعوا إنتاجه ، ويعلقوا حبيباته التي تركها بلا رعاية . ويجمع أعمال كامل التشناوي ، وتعيد صورتها أمام العيون . سيستخرج إلى أي حد يلتصق الكثير من أميالكنا إليه ، ويلقون فيه . تماما كما التوا وده جثمانه !

كتبت هذا منذ خمسة عشر عاما .

وحسب الآن لم يلم الجبل للدين لكامل التشناوي بوفه الدين . ولم تجمع بعد أعماله . ولم يجر لها التوبيخ أو التصفية . ولم تصير عنها دراسة !

الحمل الوحيد الذي يمثل خطوة في هذا الاتجاه هو هذا الكتاب الذي يعتبر مفاجأة من كلفة الزوايا ، وبكل المقاييس .

مفاجأة من زاوية اسم الكتاب : يوسف الشريف . وهو من نجوم مدرسة « روز اليوسف » الصحفية . ولكنه ليس شاعراً ، ولا أدبياً . وفكرة جمهور القراء عنه أنه محدد تخصص في الشؤون العربية والأفريقية ، وتخصص بالذات في شئون اليمن وأريتريا والصومال .

ومفاجأة أيضا من زاوية الموضوع : فهو لا يدعو القارئ إلى جولة في تراث كامل الشناوى ، إنما يدعو إلى جولة في حياته . وهو لا يتكلم لقائه ، إنما يروي القصص التي وراها . ومنظمات الكتاب تستخرج القارئ إلى معايشة كامل الشناوى ، والاستمتاع بسعره وجاذبيته الشخصية . أكثر مما تستدرجه إلى تنويع قمار أبعده .

ولكن هذه والتحميد هي ميزة الكتاب ، وقيمة الكبرى .

لكامل الشناوى لم يمثل في شعره وأدبه غير جزء من طاقته الفنية . أما الجزء الأكبر فقد فضل أن يعيشه . وكانت حياته نفسها من أروع أبيات شعره . وكان اقتراح الذين رعاها من أروع معطورات أدبه .

وإذا كان موضوع الأديب هو الإنسان ، فإن كامل الشناوى كان يبالغ قضية الإنسان مرة بالكتابة ، وعشر مرات بالتأمل المباشر والمعايشة . وأدب كامل الشناوى ليس الأديب الذي كتبه فقد ، وإنما الأديب الذي عاشه .

وهذا الأديب كان صعبا لأن يقصدي لتصويره أحد غير يوسف الشريف .

لا لأن يوسف الشريف كان صديقا زمنا لكامل الشناوى . ولا لأنه كان يقضي نصف يومه على الأقل بصحبته . ولكن لأنه من نفس الطراز الذي « يعيش » موضوعه ، وهو في عمله الصحفي لا يمحى على مائدة من خلال أسئلة ، أو بيانات مكتوبة ، أو وثائق يحصل عليها . وإنما يذهب مباشرة إلى أرض الموضوع ، ويعيش فيها ،

وهو لا يحتفظ في بيته بكثير من الكتب عن اليمن أو أريتريا أو السودان . ولتقريبه شبه حرب اليمن ، وعاش مع ثوار أريتريا ، وطاقه بالسودان كله ، ولحمليته لكل ما يجري في هذه المناطق أساسها التجربة الباشرة ، والمعرفة الشخصية بالقيادات والقواعد التي تصنع الأحداث .
وقد كان كامل الشتاوي محتاجا إلى رجل من هذا الطراز لكي يسمع لذا صوره ، كاتيب من نفس الطراز .
أحب يعيش القريب ، لا يكتبه فقط .

وكاتب يعيش موضوعه ، لا يقرأ عنه فقط .

أية صفة أسعد من هذه الصفة ؟ وأي اتفاق أجمل من هذا الاتفاق بين للكاتب والموضوع ؟

إن هذا الكتاب كان ضرورة تأخرت تليتها . ومصدوره يفتح الباب لمن يريد من جيلنا أن يفي بدينه لكامل الشتاوي ، ويجعل مهمتهم أسهل . . . لأنه يشجع لهم أن يفهموا العلاقة ما بين كامل الشتاوي الذي كتب ، وكامل الشتاوي الذي جعلهم يكتبون .

وفي اعتقادي أن هذا الكتاب سيستفيد الآباء آخرون كثيرة ، تزود للكتب العربية بكتب أخرى كثيرة . . . تنصف كامل الشتاوي ، وتفي بدينه الذي طال تجاهله .
أما إذا حضر هذا الجيل من الكفاء والقيادات ضده ، وواصل للملاحظة في أدبه الذين يرغم هذا الكتاب . . . فإن ذلك لن يقلل من قيمته ، ولا من تمتعه .

ذلك أن القارئ الذي عرف كامل الشتاوي على سطور شعره ومقالاته ، سيره الآن أكثر على سطور حياته . وسيميله أكثر عندما يعايشه ، وسيناديه لها ، وتقولوا أدبه . . . واستكثاراً للذين حرموه خضعة على علماء . . . ومازأوا يحرمونه . من متعة التعرف عليه ، والاستمتاع بشعره الذي ذهب ، وإن يكرر .

صلاح حافظة



مدخل السيرة كان دائما خارج القوالب

يصدر هذا الكتاب بعد مضي خمسة عشر عاما على رحيل
كامل الشناوي ...

ومن المأسف حقا أن يتكاسل اصديقاؤه وتلاميذه والعارفون
لفضله عن وضع الكتب والدراسات التي تعرض للجوانب المتراصة
لى سيرة حياته الانسانية والأدبية والصحية . والتي لم تصادف
بعد حظها الذي تستحقه من التسجيل والتقييم .

لقد كتبت واحدا من عشرات المقتل الذين عرفوا كامل الشناوي
عن قرب .. وأحبوه واحبهم .

صحبته زهاء عشر السنوات الأخيرة من حياته في عسواله
الملائكة وأجوائه الزلخرة . رأيته وهو في قمة شهرته وأبداعه
وحركته ، وشهدت — بعد ذلك — مرحلة صراعه من أجل البقاء ..
والحضور وكل شيء ، يمر منه . الصحة ، المال ، والحب ولكنه ظل
حتى النهاية نابض الفكر ، مشوب العاطفة ، متالق الوهبة ! وتابعت
لموت وهو يحوم حوله ويرسم خطته بالحكم . ثم يتفرد به داخل خيمة
« الأوكسجين » وحيدا لأول مرة بلا صحبة ولا صخب وينقص عليه
ويتألم مأربه .

ولم تكن هذه هي تجربته الأولى مع الموت . فقد غاب عنا
بوميه ورأى الموت رأى الممن قبل وفاته بعام واحد . وغاد إلى
الحياة وهو يؤكد لنا أن ما حدث له ليس أكثر من « بروفة »
للموت وأصبح أكثر يقينا بقرب النهاية . وأستمد للدفاع أمام
الله وأعد لكل سؤال جوابه . وكان راضيا وهو يودعنا . فقد أدرك
أن سفاهة عطائه أن يذهب سدى . وأنه سوف يظل باقيا في قلوبنا
بقدر عمله وأبداعه وجهه .

وكان على حق في رضاه وظنه . والا فلماذا أذكره دائما .
ولماذا بنذاكره اصديقاؤه وتلاميذه كلما جسدتهم مصاعف الحياة .
بذاكرون أبياه العلوة ويستعيدون ذكرياتهم العزيزة معه .

وكتبتا أصابنا كامل الشناوي جميعا بالعدوى . أصبحنا على
شكلكه نتكلم كثيرا عنه . ونكتفى بالتفصيل القواعد من الكتابة كلما

جاءت مناسبة لكرام . ولم يخف أحد من الذين مروءه عن قرب على
عمل يخاد سرية هذا الفنان الإنسان حتى يعيش في شمس

التاريخ .
ذلك أن اسحق الحديث عن انسان يأتي دوما بعد رحيله من
عالم الاحياء حيث ينطلق برية ولا يملك لنفسه او لغيره شرا او
نفعاً ، وحيث لا يلد الكلب ولا يجدى النمل .

ان الجيل الجديد الذي سمع كليل الشنوى . وما كان له
من شهرة وابداع . يكشف انه لم يخلف وراءه سوى ثلاثة كتب في
الشعر والنثر والذكريات ، وانها لا تشكل في مجموعها الصورة
والحياة ، التي كانت لهذا الفنان المثلث ، بينما اكثر انتاجه وطلاقة
تجاربه ، ساقط بقطر في صفحات الجرائد والمجلات التي ميسر
بها على مدى خمسة وثلاثين عاماً متصلة ، وفي كوام القصاصات
التي سجل فيها اعمالاً لم تكتمل وقد جمع منها شقيقه الشاعر مأمون
الشنوى مؤخرًا أربعة كتب رائعة هي : اختراعات ابو نواس
وبين الحياة والموت ، والذين احبوا « مي » والزيوت جميلة بوحريه
وحبيبتى وهو مجموعة من رسائل الحب .. ولم ين احسنه
جميع وتعليق الكثير من كتاباته للبشره هنا وهناك .. وفي اروع
هذا الانتاج والفرد حيسا في ذاكرة الكثيرين ممن رافقوه في العمل
وفي الحياة !

ذلك ان كليل الشنوى كان كتاباً مغنوفاً ومسبوفاً في ابداعه
وخلفه . وفي احاديثه وحوائثه وسفريات . ومطالبه القيسية
الادبية الميت ، جديداً كل يوم ، متجدداً في كل لحظة ، بمواقفه
المثيرة ونزواته المبهمة !

على اني بعد أن جئت لقراءة هذا الكتاب ، من ذكرياتي
وذكريات الآخرين وكتيباته وكتيبات غيره ، انشغلت على نفسي
من المسولية ، ومسولية ان اكتب سرية كليل الشنوى المربضة
المعددة الجوانب ، بل اني سمعت الكتاب بن مطبعة روز اليوسف
بعد ان تحول الي « بروفت » جافرة للطبع عام ١٩٦٩ .

وسمعت عشر سنوات كاملة وانما اكتب المسولية ، ثم وقفت
بها على القسط ، وكلما جاءت ذكرى وفاة كليل الشنوى ، رويت
لمنلا من ذكرياتي معه على صفحات مجلة روز اليوسف او
صباح اليوم .

وتكن تصوري ان لمول الكتاب قد تكلمت بما كتبت عنه

وتشجعت على رسمه وتبويبه ، ولكن عندما أصبحت قراءة الفصول التي نشرت منه ، وجدت أنها ناقصة ومبتورة وتحتاج الى مزيد من التمهيل والجهود ، لسبب اقوال تلك الشخصية الفريدة للتركيب .
ومن جديد بدأت اجمع الكثر حول سيرة حياته من الذكريات وروايات الطفلة والاصطفاء والتلايد .

ولكنى فرقت بعد ذلك في بحر جلائل من المخطوطات من كليل التسنوى ، الروايات بعضها مؤكدة وبعضها تناقضت حواه الروايات ومن هنا كانت الصعوبة التي صادفتنى تكمن في تطبيق المعلومات والواقف والروايات ، وتحديد الآمنة والاشكك ، والتثبت من الاسماء والاطفال بعضها ، اما لكواع انسانية او خشية طائفة الاثاؤون .

وراجعت بعد ذلك مهمة البحث من القهج (المسب لصرفى سيرة حياة كليل التسنوى ..

في البداية توجهت الى تسجيل ذكرياتى معه وتسررت لذلك جليا من الكتب . ولكنى لم اواصل هذا الإجماع . لقد وجدت اننى يرغى سوف اتخير لروايتى الخاصة وهي بالقطع محدودة بالمعرفة الشخصية التي عرفته خلالها . ولكنى لا تتيج وهذا الاحاطة بمخفف من اجل حياته وابعاده الانسانية المتعددة .

لقد وجدت ان مؤثرات بيتها لعبت ادوارها بشكل او بالآخر في مختلف مراحل حياة كليل التسنوى ، وتلعب ظهور تلك المؤثرات وكانت تحكم سلوكه من الطفولة حتى آخر سنوات العمر .

البدانة — على سبيل المثال — لعبت دورا اساسيا في تحديد معالم شخصيته وعكست مؤثراتها على مسار حياته كله . وكان نقد ابيه له وهو في صباه وراء ابعاده الشديد بمطردة الموت له . والمرأة كانت نصيبه المزعومة في القضا والمثالباب .. ويصدر اصحابه المعلنين وابداعه اننى معا في الكهولة . و .. هكذا تدفقت تلك المؤثرات وغمرها في موضوعات الكتب .. وعرضت نفسها خلاصا لقبوله وهددت بنهاج نفسها لسيرة .

في الفصل الاول .. عالجت ظروف التنشئة والتكوين في القرية وعرضت ابداعاته الاولى في الصحافة ومجتمعات القناعة في التمسيل الاقلى ، ولان كليل التسنوى كان شاعر القصب .. تعرضت الى الفصل الثالث كملاحة بين الشعر وتجاربها الفلمنتية ، وكان الفصل الرابع لطول التوصل وانهاجها بالمخطوطات والذكريات وقد خصصته لمعلم القليل في حياة كليل التسنوى .. اننى القليل على

معظم سماعات يفتقنه وعطقه . شعرا وحديثا ومروحا . وفي الليل كانت تستيقظ أحسزاته وجه الفصل الخامس متصلا بالفصل الرابع . وعرض لأدراكاته وثقافته كحدث وروايه ثم كان الفصل الأخير نهاية السيرة .. نهاية كامل التساوي ونهاية عصره .. ولصبنى ونيت كامل التساوي حظه وفق التفرغ عليه . لأن كان ثمة قصور فمطوى قننى اجتهدت ..

لقد كان بوسع كامل التساوي أن يكتب ذكرياته وهو الذي رثا نفسه قبل رحيله شعرا ونثرا . وكان بعدنا تكسفة ذكرياته السباسبية من مصر منذ الحرب العظمى الثانية ، وبعدنا أيضا بكلمة مذكواته الشخصية منذ الحقولة إلى الكهولة . وأطلسنا أسدقلاء وتلاييده إلى وفاته يومه . ولكنه خدمهم ورحل .. وخلف وراءه هذه المهمة الثقيلة ، مهمة الكتابة عنه . كان كامل التساوي يقول « أفضل أن تكون قصا في الحياة ، ولا يشغلني بعد ذلك أن يسجل الكفن في ثوبه بعد مزقهها » لم يتلأشى إدراج الرياح والتسليان » .

يقول في مقدمة كتابه « بين الحياة والموت » :

« أنا لا اجلس مع الناس لأقتل وقتي ، وإنما اجلس معهم لأخلق التيفي في حياتي ، والطريقة التي أدير بها الحفديت في مجالستنا ، تشجع خواطري ، وتساعد الفكري على تدريب عقلائي » وكما سلكه أسدقلاء وتلاييده : لماذا لا نضع كتابا ؟ كان يجب سلفوا : أن يقال لماذا لا يوافق كتابا ، خير من أن يقال لماذا لك هذا الكتاب ، قننى في الحقيقة كتيب تأليف الكتب ، مكابا قرأت ودرست أزداد أحسسى بالجهل ، وهذا الإحساس بالجهل ، يشعروني دائما بظفورة المسئولية لي تأليف كتاب يهيل نفسي ، أنها مسئولية لا يحتملها إلا ولحد يقوى عليها ، أو ولحد جاهل بها ، وأنا لا أقوى عليها .. كما قننى في جاهل بها .

لقد تأثر كامل التساوي في موافقه من وضع الكتب ونشر الشعر بالشاعر الفرنسي «بول فاليري» وكان لا ينشر قصائده . وكان يتركها على مكتبه ثم يعود إليها فينقدها ويهدجها مررت ومررت حتى يرضى عنها . وتأثر كذلك بأستاذ الجيل أحمد فكري السيد . فهو لم يترك وراءه كتابا واحدا من تأليفه سوى الكثرة التي ترجعها لتلميذه الأستاذ سمحانيل مطهر ..

ولكن يبدو ان الحاح الصداقه والتلازم قد اصاب نجلها في لغزيتها ايابه . وجميع كليل التناولى بعضاً من مصادرات خسلقة وتكريله وخواطره ، ولقي بها الى الخيمة مضطرا غير راسي ، بسبب حاجته لتلصق انذاك الى لئال ، يستر به ظهره وتكرمه الذي تعود الناس منه ، او عودهم عليه .

نعم .. قد اصر كليل التناولى ان يعيش الحياة فنا وفلس اسلوبه ومزاجه الخاصي . دون ان يعنيه في قليل او كثر ان يسدع فنا يصلح للقرى والانتشر . اصر ان يكون هو نفسه ذلك الكذاب العظيم الذي ابدعه ..



كان عصر كليل ذلك الزمان الذي عاشه كليل التناولى ، ورجلته اللذين شهدوا اندلاع ثورة ١٩١٩ وهنوا باسم سعد زغلول ، واستقبلوا ثورة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ ، وايدوها وساروا في ركابها .. عوالم ذلك الزمان السيلبية والصحية والادبية والفنية ، وملاحه الاجتماعية والفنية .

ويذهب الرجال ، وكلما سقط واحد من جيله ، اصر كليل التناولى بدنو الاجل وشبهت اكثر واكثر بالصياة ، وكلما تبدلت عوالم وملاحم القاهرة التي يعرفها ، كان يرصدنا كانه رادار ، ولم يكن للتغير والتطور الذي يحدث هنا او هناك الا معنى واحد لم يكن يفصح عنه .. ان ذلك الزمان لم يعد زمقه .

انكر فيما انكر وكنا داخل سيرة المصن الثشب بلطف بمدى ان طلب كليل التناولى من بلخ ، وكان الليل في ساعاته الاخيرة ، ان يتوقف عند كورنيش النيل ليلم السفارة البريطانية ، ولم يلقه كمانته اراء رفيقه ونزواته المعلقة و « مع السلامة بلخ .. شوفك بكرة على الفدا » .

اشعل سيجارة ، وثابت لراسي وشينا لهرينا في شوارع جاردن سيتي تنسج وقع اقداننا ، وفي صوت متهدج بين القوم والبقطة سمعته يردد آبياتا لم اسمعها من قبل « لا تكفي .. اني وابكم معا .. ودعي البكاء فقد كرهت الشما .. » .

ولم ابد دهشة او استعصاما فقد كان قلبا بوميه عني ، وكنت اعرى ماعنيه الايات الجديدة .. ذلك ان احدثها لم يكن قد بردت سخونتها بعد ..

وبدت دقائق من الصمت والرجل البطيء .. ثم سألني في
بقية : « فيه رايك لو كنت نجاة القصيدة دي .. ؟ » ..
وقلت بلا وعي : اختيار في محله .

وشكك رحمه الله ضحكة باهتة مكتومة لها بلوراها .. ثم
زأر بصوت مسموع ضيقا رائعا ، وكنا قد اقتربنا من منزله العتيق في
شارع القبايات ، ودخل « الفلسفي » الضيق الذي لم يكن يسبح
سواء ، وما كنت أودعه حتى خرج منه لم جليبي بإليانة من ذراعه ،
وفهمت أن رغبته في العودة والقيام لم تأت بعد و .. من حيث أنتويها
بدقا العودة إلى تسارع جاردن سيني .. وفي نبرة حزينة قطع
السكين قال في لمر بالغ : لم تعد القاهرة التي عرفتها وأحببتها ؟
ولم تفاجئني الملاحظة ، فقد كان يعلى تلكها الزمان
وتطورات الأحداث من حوله ، وحاولت أن أخفي من لمراته غفلة :
ولكن القاهرة تصك بقليل بك .

قال : « لم تعد تحبني الحب الذي لعبها ، كنت دائما لها ،
اعطيتها من مبرى وحتى كل يوم ، ولكنها اليوم متجونة .. أصبحت
شنيئة المظهر »

لم وكأنه يوح بسر رهيب .. شكك بصوت مسموع وقال :
قد أصبحت بذلك تتعرب من دفع الصواب .. ها .. ها .. ها ..
مم .. كان ذلك لمصلحة الذين يلقون .. وكأنه المرأة في
حياته لا يستقر على حال ، ولا دول له ولا ليمان .

وكان يطو له أن يصحب لصفته واللايعة إلى هي السيدة
حيث عاشت شبابه ولخصب سنوات حياته . فخط ليعرف كم تقدم به
السن وكم تساخ عصره .. مسعود السيدة الذي كان يؤمه المئات
اتصفت ببلابة و أصبح يسبح قلائف . البصوت الطيفة في جنينة
« مديني » وشارع « الأسد » ، انتشلت الأرض ونهضت مكتوبها
عبارات حبيبة بلا روح ، برغم سحقها بالمركبة واللعبة ، البقالون
والكعوبية ولصاحب القاصي شيلوا واتصفت بالهورهم ، وأرم بعضهم
بيوتهم ، واكترهم رحلوا إلى الأقاليم الأخر .

وتطوف المسور والذكريات في رأس كابل الشنلوي ، ونعرف
من مقالاته وخواتمه القوية كم ألزت فيه زيارة السيدة ، وكم
يشعر بأن ما كانت أن يعود ، وأن ما بقي من الممر قل مما يعلى
بنفسه .. وذلك كان حاله مع قاهرته التي عاشت فيها انطلاقة
العلم وسكانه السخي ولذاته التي تبجل عن الوصف والوصف

كان كمال التشنوي من اعلام عصره المتوجهين ، على عصره كميلا ، ولارثف رحيل مباحه حتى الامتلاء ، ابداع واعطى في لحواته عملا ومنا وجها . وعندما ان قبحه ان يقتل وتنظمه جلوته ، كان عصره قد بدأ هو الآخر يدبر ، وكان زمان جديد يوشك ان يزرع .

وفي هذا الزمان الذي تقطب فيه الوجود بالقتل والهم وضجيج الحياة ، ولמות الجسم شهيدة على الشقاء ، وتفقد الفسحة صليها الفنون التي يصح عن سرور القلب ، يتذكره اسدالازه وتلاميذه ويقولون لحق : لقد رحل كمال التشنوي في الوقت المناسب ، بعد ان اسدل خافته ستر زهته .

◆◆◆◆

في مقتل شبابه الخفى تحجب كليل التناوى الى مجتمع
الصنوة وعلية القوم ، وجذبهم اليه بشدة .. ورغم شبابه المحافظة
واتفئله الى رجال الزهر المميين ، ورغم بدائه القوطه التي لم
تكن تنبئ عن مواهبه الخفية . الا ان الصنفه ولجست الرغبة
للمسعت الطريق ابله بوهبه التسوية وخفة ظله ، وكلفت وراة
بواوجه غيبك الشهرة ومغرب البن وعلم الصحافة ومفساتي

فقد أبرأ الشعر وظهورهم ، تنفذت له قصور الشلوات ،
ورائن زعماء السياسة وأعلام الوقتية ، نالوا القتل وأسسوا
وخلصوا على قلبه أصعب الصحف ، وسعى إلى محاسبة رجال
الدولة واساطين الأدب والفن والظفراف .

وتقدمت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ، وأدبر زمان الملكية ،
وتنهالت صروح الأحزاب والصحافة الحزبية ، وخيل للبعض أنه لم
يعد لكليل للشأن سوى مكانا في ساحة الثورة ، وإن هيفه القويضة
الصاغية لن تسجم أو تسجم معها العهد الجديد ، وهو للتفكير
« الثوري » الكامن ، والساخر اللاذع ، والسكان الطليق ،
والمتشقق الخلق كالمنصور الفاتلي الذي لا يستقر على فن .
أين كليل الشنوي من قضية الإزاحة بالثورة ؟

سؤال طرحه البعض - آنذاك - من أصحاب القلوب المتعطشة للاقتدار ، وتكن هل تصح لك القلوب الضعيفة والحقم على هذا الأسلوب الرومانسي والفتان لأربك بكتكرو الضعيف ، هل كان بالإمكان أن يعلم كابل الشغوى شلته حياته وكفوه ، والشواقة وفيه يتمك نضج وحدته ، ولما سوسه ، فقد أخرج أن بعض نفسه

شرقة قلب من القلوب السياسية والفكرية السليمة . أينال رضا
وبركت هذا البعض ؟

وتكلموا الرجل في بداية الثورة وبكى لأول مرة في حياته بكاء
المظلومين ، وهو الذي لم تعرف عيناه سوى دموع الهجر والاشواق
والحب ، عندما تمكن أعداؤه من أن ينسوا اسمه في قلبة الصنمين
والكف الكذين تلقوا المساريق المشرقة ليلان العهد الجاد . وكان
يوما أن ينظم وينثر نظائرا .

كان حكما بالأمم على كبل السنلوى ، واقتلا مع سبق
الاحرار لشخصه وتاريخه الوطنى العجل ، ورفضت الرقبة أن
يستألف الحكم وتبذمت الصحف عن نشر استذكره القهمة ، ولما
ألى القلب الملم الذي نهرك التحقيق بالقل ، وعندك بقط تراجع
أعداؤه ، ثم تكلف الحقيقة كلمة بعد ذلك أمام المستوفين ، فكان
أخفاره رئيسا لتحرير جريدة الجمهورية لسان حال ثورة يوليو ،
ثم الأتمم عليه بوسام الجمهورية امتازا كفا ود إليه أعباره
ويقت روحه القوية للفتح وموتة الحديد .

ثم يغمر الحنن شيئا من حياة كبل السنلوى وسلوكه العظمى
ومكره الحر المتجدد ، وعولقة المنيرة الطائفة ، بل لقد أمنت
« الأمانة » أنصافا جديدة في قلبه الأخضر ، والأهت تربية ، شعرا
ونظرا رائعا في الوطنية والحب ، وعاد إلى استقله وجواربه ،
يغفل عليهم ويجزل لهم الصدا من صحنه وماله ومكره ، عاد ليحمل
على كفيه أزيد من أمداد المظلومين ، يبعث لهم عن السعد
والانصاف ، عاد إلى برامج الصحافة والكتب ولكن يصح أواهبهم
مكافا على بنفحات الطريق الصعب .

ويوما عقد الرئيس الرجل جمال عبد الناصر لاجتماعا
بالقاعات الصحفية بعد فترة من تجربة تعليم الصحف ، وأبدى
ملاحظة عميقة في سبيل حديثه حول أرباب بعضهم القناعات
وكفريات ما بعد منتصف الليل .

ولم تيسر الملاحظة غير كبل السنلوى ، فلكت كلمته
في السهر بعد أن يغمر من عينه كوكب التحرير ، وشيع الرجل في
منزله يستقبل الاحترام والاردين بل أنسهم ويتحاور معهم ، ويحت
تهم لواحد نفسه للكسفة وخوفه الصبابة ، وظل على هذه الحال
أيضا ، يرفض الدعوات وينتخب مندوبات أهل الفن والكتب والفرادة
كان يفضي على نفسه بن لسانه ، أن تفلت بالصحف أو

« القصة » أو القصة . والتي تكمن في براعتها وذكائها وعفويتها
 التيك أسلحت في مواجهة الخصوم ولحسن والازمات .
 لم يكن كامل الشناوى مجرد صحفي أو شاعر ، كان نظاما
 أو نظاما لحياة كاملة ينظم فيها الراعي والرعية ، وكان الإيقاع
 المسموع في قصة الصحفية والانبية والفتية .
 ويوما بعد يوم أحس الجميع بقيته والفتاة . فلم تصد
 أسرارهم ونذرهم بذلك الطور ، وربما خشيتم « الأجهزة » من
 فيته أكثر مما كانت تخشى من حضوره ، وربما أزعمتها مزقه بعد
 أن أصبحت حديث هذه المجتمعات وموسوع التقادما وأسلها
 وسطها .

ولم تتلخر « البراءة » كثيرا ، زاره في منزله مسلول كبير في وزارة
 الإعلام ، جاء ينسر له ملاحظة الرئيس الترحيل ، وكيف أنها نسي
 صحفي الصحفيين الذين تلوك كسميتهم لمرار الدولة ورجلها في
 المقدمات والتفصيلات ، ولم يكن كامل الشناوى سليلجا ولافرا ، نظم
 نسج منه في تلك الأمان للفتوح حديثا في مثل هذه الشؤون المهم
 لما كان جلساءه من الأسطة القريين وأهل الثقة ، كان يحبس
 بقلبه من لغير وأسرار وآراء على مدى الأسبوع كله ، حتى تأتي
 جلسة السيد لفتاة من كل أرباب بمنزل صديقه الصديق مصطفى
 أمين ، وفي تلك الجلسة كان يلتقي بعدد من زملائه واصدقائه القريين
 على قسم الصحفية ، بينهم الذين المعلومات والابتكار ، ويوسون مما
 القسط والمواقف أرحلة جديدة من العمل الصحفي . وسرعان
 ما تمسك اثر تلك الجلسة في شكل تنقالات الصحفيين والكتاب
 والمصورين والرسامين من مؤسسة إلى مؤسسة ، جوفات كبير
 أو مواقع أفضل ، وربما ظهرت ثمرات جلسة الأرباب في حملات
 ولغير صحفية بنسبة بين نور الصحف حول قضية انضمامية أو
 سياسية أو ثقافية ، وقد يتم الكفاح على بنى موهبة وأعدة ، والأهلة
 في هذا الشأن كلمة لعل أبرزها بين أهل الفن .. عبد الطيم حافظ
 ونجاة الصغرة !

كان يرحبه الله - وقد قل على القولية - « التيمو » الأولاد
 كبريات منقطة في الحياة العامة ، والقائمة التي تنطلق منها صواريخ
 القند اللاذع والسفوية الموحمة .. في مواجهة القيود التي تعبل
 الحرية بشكل عام وحرية الشخصية بشكل خاص ، وهكذا تكبرت
 حيلة بلجين أيار بفشاء ، وتبار لانيجه ، ولغير بجه ونفجه .

لم يسع الى استرقاضها بل بيعته ، كان يعتقد ان سعيه
لحماية الحياة التي تروك ابر مشروع ، ولم يتلون الا بقدر حرصه
على الحياة وبطائه وسط طبيعتها ، وكان قادرا دوما على تلوين الحياة
من حوله كما يحلو له ويهو ، وكان رفيقا كالتسليم وقادرا كالعصر ،
وكان يغمرك ويصيب .

كان ككلامب المتكلم ، هادقا لقنون اللعبة حتى لو اضرحت
اللاعب وهوية اللاعبين والحكام ، كما ان « السولست » المبدع
المميز الانفهام ، كان ككامل الشنلوى بتكوينه الفريخي غير قابل
للتصهار في قالب ، ولم يكن يعنيه في استحقاقه وتلاميذه ان يغمروا
انفسهم في القوالب وان يبنوا الابنيولوجيات ، كان يعنيه ان يصب
موقعهم الانساني ووجههم الصافي وتنبؤهم الوطني وتبعثهم
بالحرية والعمل ، وكان اقربهم الى قلبه من يستجيب للهوار
الديقراطي بلا عصبية او تنسج وفكر مسبقي ، وكان يقول دائما
« صديقي هو الذي لا يؤلمني » .

ورحل عن عالمنا ككامل الشنلوى وطويت صفحات عصره ..
وكان مشهد وفاته نجيبا جدا لا يترك موهبه ، ان تصب الناس
ويحبك الناس ، فقد جمع خلف نعشه بين الصبي اليمسح والعم
اليسار ، بين الشاعري والصلبيك ، بين الانثوية والافراء ، وبين
الاصالة والاعبة .

لقد نزع في كل منهم نية من شعرة حبه ، وقبسا من شعاع
فكره ، ورسمة من شلالات فكره ، ومكرمة من بحر عطاءه .
كان التحتي يعمل ككامل الشنلوى « القرد » الذي توارث نفسه ،
ولكن المصنوع من حوله كانت تحيل ككامل الشنلوى « الكلب الموقظونهم
لنفسه بحبه ، وبكيفية تلك الاضطرابات ، ثم لم يكن بعد ذلك ، فقد كان
يكره بكاء الصبيك والاشواق ، ولانه ظل حائرا في ذكرى والى والوراثي ،
تلمبا كما كان في حياته حائرا في ذكرى وغيايل استلذاته وحجوريه
حتى لو فلبوا منه شهورا وسنوات .

وعندما استعيد ذكرى والى معه ، انمله لاملنى ، صوته القرنان ،
ضججه الراكدة ، سفرجاته ، لاجيته ، تملاته ، اياته ، عطائه ،
وقد انقسم .. وربما انقسم من اعماق القلب ، ثم يستغرقى الليل ،
وترهم على ككامل الشنلوى وعلى زمانه .

إسم شهير.. وجسد بدين



● ظل كبل الشساوي حتى لحظات النهاية اسرا لعقدة نفسية غائرة في وجدانه ، صيقة في مشاعره ، وان حاول يوما أن يستقرها أو يعلقها بالنفاق والكرم ، فعندما أشراف على الحياة يوم ٧ ديسمبر ١٩٠٨ - وليس عام ١٩١٠ كما هو شائع - بقرية بوسا البحر ، محافظة النجيلة ، كان شغل والده الشيخ السيد الشساوي أن يبحث له عن اسم لعظم فائق الصيغ ، واحار له اسم الرعيم مصطفى كامل ، تيمنا بوطنيته وكفاحه ، في الوقت الذي كان شاعرا والدته أن تحفي طبعها الوليد عن حيون المهنئات حونا من العصد .

كانت ضخامة حسبه فالأ بالصحة ومظهرا للآفة ، لكن بما أن شب الطفل من الطوق حتى أدرك أن بدائه ملازمة له ومصدر للتسلية ودافع للعزلة والانطواء .

أعمال القرية يتسرون بسانته ويعبرونه مشبيه لتناقله ، وكان نارة يشاوم بدراعية ونارة يقددهم بالظوب أو بذلاقة لسانه ، وكانت أسرته تتجمل في اسواق المساب ، تهدي من اضطراب طفلها أو تصلح ما لفسده من علاقات مع أولاد الجيران ويوما بعد يوم أدرك أن الصلابة والأهل في الشرع الخفالي من المره ، والدكن الذي لا يقب ببابه الرياني ، وللهي التي تقتقد الرواد .

وفي تلك السن المبكرة أيقن أنه مختلف عن أقرانه ، ول به بقصا ، والدته تشدد عليه بالترام البيت في أعقاب كل مشاجرة مع أسماء القرية ، ووالده يصحبه بالاقلاع عن ملاعبة الأصغار ، ويفرض عليه القراءة في مكتبته ، وأخيرا تقرر أن يدرس في البيت ، وحسبه له أدوه بهرقي يحفظه أحزاء القرآن الكريم منفردا ، دون بقية الأولاد الذين يتعلمون في الكتّيب ، وحالوا بينه وبين مواصلة التعليم بالمدارس الأميرية بعد أسنائه بالحمى ، وبذروا طفلهم للزهر لعل الله يكتب له الشفاء والعافية .

وهكذا عاش كبل الشساوي طفولته وصباه لثبة بحزيرة ثقافية وفنية مغلقة

على نفسها ، بينما حوله سعة من الإلقاء بتطالعين في عوالم الرياضة والقسوة والرشاقة بينهم مأمون الصغي والفتى يمارس حمل الأثقال ، وعينه الفتح ملاكم ولاعب كرة وحبل للقتال تهما ، وعيد الرحيم أصبح فيما بعد حارس مرعى نادى الرياضة ، وأبعد ملاكم . لبا هو فقد أمجزه تكوينه الجسدي المتزمل من المشاركة في أي من هذه الرياضات ، اللهم لجدة لعب الطولة والوبرق ، وعندما تلح عليه أخوته ذلت يوم أن يعلم ركوب الدراجة ، ولتقم على مضطى ، ولكن المجلات لم يولق بعد أن تلب بدلة الزبون .

يحكى الأستاذ محمد التليبي - رحمه الله - كيف تعرف على كليل الشنلوي لأول مرة ، يقول :

« نشأنا كلنا في قرية « نوسا للبحر » وكان والده قاضيا فرمها لحكمة مركز (لجا) ، رايه يلعب في الساحة الواسعة أمام منزل خالتي ، وكان زوجها عم والدة كليل الشنلوي ، كان كليل يرتدي جلبها وقد أخفى أحد ثرايمه داخلها ، يبدأ كيه الخفي ، وكان يترامه شيئا ما يثر الفضول أو الشفقة ، وكان الأطفال يلعبون حوله ويتصليمون ، وهو يحاول جاهدا أن يمسك بهم ويوقعهم على الأرض ويضربهم ، وناديه - وكنت كبره بلحو ثمانية أمولم - وكليل على بكون ترد .. ولذا به يخرجه بالسؤال :

— انت اسبك محمد التليبي ؟

قلت : نعم

قل : علوز ليه ؟

لنت لما ضرب استغاث الأطفال ؟

قل : كيلي كده .

وسكت لحظة وكلمنا لترك أن رده غير متع وقال :

— اتا بضربهم ملشان بيعكسوك ويقلولي يلقين ؟

قلت : ولذا أخفى أحد ثرايمك داخل الجلباب ؟

فسمك وقال : يمكن يفتكروا ذراعي مقطوعة أو مكسورة استنصب عليهم وما يخذوش بالهم من تضي .

على أن طفولته التي عاشها في عزلة وانطواء ربما عنه مكانه من أن يشهد من اعتقه وقراته ، فقد أتى على الفكر من المؤلفات المتخوة الثقلة في مكتبة والده . وكان رجال الدين في تلك الوقت أهل علم وثقافة وسعة اطلاع . فضلا عن حفظه للقرآن ورامة الشعر في سن مبكرة ، واكتشف فيها علما من العيال والأخيلة والصور ، وحاول أن يجرب الشعر ، ونظم الشعر وهو ثني له بعض تجارب الحياة ، وجب لأشقائه الشعر ونقله ، فأصبحوا جميعا شعراء ، وإن لم يلمح منهم بعد ذلك سوى مبهون الشنلوي الشاعر الخفي المعروف .

على أن تلمسة كامل الشنلوي من بدائته الخربة ، وما ميبيته له من سخریات ومناعب وآلام ، صقلت فيه موهبة السخرية والدعابة وجيبك المقالب .. لم يجد ثقافة من القصيدة المستسلم لبدايته وتعلوش معها ، ولم تعلق معه تصحيح الأخطاء بالفتح « رجيم » معين والابتعاد عن كل الدهنيت والنشويات والمخللات ، لكليل عليها في نهم حلا بيت الشعر العقل « دولوني بلقي كتبت هي الداء » .

يحكى شقيقه مأمون كيف كان يحجب إليه ولصقيقته عائشة ثمة « الواوبر » : كنا عندما نوافق على ممارسة اللعبة معه ، يصعد لى « المسندرة » حيث تحتفظ والفتى بخزين البيت لأحضر جوال يضع فيه نفسه ، ثم تصعبه منه ونحن نردد صوت

وأبواب المسكة الحديد : توت . . توت . . وتطول غيبته في « السنفرة » ونصعد إليه ، ونكتشف أنه مستغرق في التهام ثغور المظلات من لفت وخير ومصبل . ولي بعض الأحيان كان يخلعنا ويملا جيوبه بالمظلات وينزل سريعا من « السنفرة » ويدخل الجوال وينبأ اللمبة ، ونسمع صوته وهو ياكلها . فإذا صالتنا - ما هذا الصوت ؟ - اسرع يقول . ده لحم القرايوز بيتعرق !!

ولكن أنه طلب جينا وكذا نمسر في شقة لصلان مبدد الغفوس بالزمالك ، وأحضرت له مدام أحسان طبقا كبيرا من الجبن الأبيض لتي عليه وحده ، وهذا يطلب المزيد ، وتناول ليلتها ككفر من كيلو ونصف رغم تطيبات الأطباء المتعددة بالاستماع من الجبن ، أتر الوعكة الصحية التي كنت به شتاء عام ١٩٦٤ .

يومها تصوق كليل الشنولوى إلى وجبة مدرس ، ويومها تفتحت شيبته مسلما بمصرامها وأكل ملة « حلة » كلبلة من لغة الجنس ، ووقع سئسا عليه وتخرجت أنفاسه ، ونظوه إلى مستشفى قصر العيني بين الحياة والموت ، وقال الدكتور أتور الخنى - يرحمه الله - إن الأمل في نجاته لا يتجاوز خمسة في المئة ، ولكن إرادة الحياة فيه انتصرت على هبة الموت ، ونجا من الأذى بالعجوبة وبمجهزة ، ولي مستشفى الكاتب جمع له استشفاه ثلاثة من أساطين الطب آنذاك ، الدكتور صلاح عبد البى ، ومنصور ليلز ، وعبد الله الكلب ، وطالت غيبته في المستشفى ٢٤ يوما في الفحص وصور الأشعة والتحليل ، ومرمنا بعد ذلك أنه يعانى من لمراس الالتهاب الرئوى والمسكر والكبد وتسمم الدم ، وإن عليه مواصلة العلاج والراحة في منزله وانتقال وزنه ما ليكن والافتلاع من كل مجموعة للطعام .

ولم يطل به للرقاد في منزله ، وموافق روح الانتقام من بدائته بالسرل في الطعام والمنوعات ، وحمل جسده المترهل بكفر مما يحتل ، حركة وصغيا وسهرا . كانت علاقة كامل الشنولوى بجسده ، تشبه إلى حد كبير علاقته بالمرأة وبخسومه الأداء ، فكما تقصد القدرة وأهميته الوسائل في التقرب إلى امرأة ، لجأ إلى التوافق أو الموافقة على سلوك المعوية ، وسدقة أو معالجة للخصوم ، وقد عاش - يرحمه الله - بدائته طفلا وصغيا معذبا ، وكثر الأضرار والكتكولا والعملية ، لأن بدائته فرغت عليه هذا اللون من التلميم وهذا الزى الذى يكمل حوته وانطلاق الفنان في أمياله . ولم يكن يستطيع بالطبع وهو في تلك السن أن يعمل كراميته ورفضه للزى الذى يرتديه المشايخ الفضلاء أمثال جده وعنه ووالده !



● استمر كامل الشنولوى أخيرا في السيدة زينب بعد جولة من التنقلات منع والده في بلاد الدنيا والصعيد ، حيث رقى إلى منصب نائب رئيس المحكمة العليا الشرعية بالقاهرة . لكنه لم يصحب والده في كل تنقلاته - بفضل أن يظل معظم الوقت في قريته - بعد أن توثقت علاقاته بعدد من الفتية والشباب الطامى إلى للفرلة والأدب . وكان من بينهم الشعراء الدكتور إبراهيم تانى شاعر الاطلاق وعلى محمود طه شاعر الجنود وصالح جودت ومحمد التاجي والشاعر م . ع . الهنجرى صديق طفولته في القرية والتي قال فيها :

ملك الجبال وملك الحب يا « نوسا »
يسلم القلب ، إن القلب قد تشبسا

وكل يردد على السموات التي كانوا يتقنوها في مقاهي المنصورة خلال الإجازات الصيفية يتطاول معهم ويتبادل المعرفة ومطرفة الشعر .
استأجر الوالد بيتا في « جنينة مليص » يطل على شارع السد ، وواللى أن

يستغل ابنه الأكبر بفرقة خاصة ، حتى يفرغ للدراسة بالأزهر ، ولكن الفتي كامل - بعد ثلاث سنوات - يشارك ذرعا بالأزهر ، يحفظات الدرس الرتيبة في القصص ، بالكتب الصغرى ، وعباراتها للمتجربة ، واكتوفا السجوز .. وقرر أن يحجز الأزهر وذي الأزهريين إلى غير درجة وأن يرتدى زي الصفقات الجند في السيدة زينب .. المبدلة والطروش .. وعندما لاحظ أمامه الفرقة ، أحس كامل الشاوي أن بلدته ليست بهذه الصورة من القبح ، فلم يمد أحد يديه أو يسترح منها ، ولكن هل نسي كامل الشناوي عقده ؟ وهل تبدلت الآله المتركة من جراء بدلتته ؟

يحكى الكاتب للمحلى الاستاذ حفظ محمود ، طرعا من ذكره من مرحلة التحول الجذري في حياة كامل الشاوي بعد أن استقر به المقام في حي السيدة زينب بقسول :

« كان يبتنا على عهد الصبا الياسر مناقشات خاصة ، غير جلدة ، حول سؤال عجيب هو : « أيها أكثر ضخامة بين فتیان الحي ، هو ابن الشاعر الهراوي لم ابن الشيخ الشناوي ؟ لقد ظلنا نخطف في هذا الأمر ، حتى سمعنا نكتة لحفظ إبراهيم عن ابن زميله الشاعر محمد الهراوي حين قال له : يا محمد أنا شفت لفتهردة دار الكتب والفلة جبب ابنك .. وبهذه النكتة ضاعت زعامة الضخامة بين فتیان الحي من كامل الشناوي ، وكان القدر أراد أن يزيل عنه همة البدانة الطفيلة ، فافا به يمشي طريقه في الحياة ولها !

لقد عالج كامل الشناوي هذه الإزمة بالقصير ، فاكشف أنه شاعر ، لكن من الذي كان يصدق أن هذا الفتى ابن الخامسة عشرة من عمره يقول شعرا ، ذلك أن فتیان الحي كانوا يتهمونه بأنه ينسب شعر الغير لنفسه ، وانتهى الجدل حول هذا الموضوع بتحكيم الشاعر محمد الأسير ، والذي شهد لكامل شهادتي ، واحدة بأن هذا الشعر له ، وآخرى بأن شعره من النوع الجيد -

حالة الشهادة حماسا ، ولدت فيه تيارا قويا استنهض إرادته إلى تحقيق ذاته ، وتفصح ، ويسع بمصانفه إلى أكثر من جريئة وميلة تمنى بشعر الشعر ، لكن أيا منها لم يمن بهذا الاسم المجهول في عالم الشعراء ..

يقول كامل الشناوي : « كان المشرف على الصفحة الأدبية في جريدة الأهرام من يطرب للالفاظ القريية المينة مثل .. كبطمود صخر حله السيل من حل .. وأشياء من هذا اللون ، ولم يكن يستسيح أبدا حله لعماني الجديدة .. ولا هذه الرقصة التي انضمت تسيل من شعر شبان هذا الجيل .. »

وفكر كليل للشناوي في وسيلة يقنع بها الاستاذ المشرف على الصفحة الأدبية بأن شعره يستحق النشر ، ووجد الوسيلة الوحيدة في أن يحيله له « مثلب » نفسه كل الاحتجاج ، وكل المسخط ، وكل الثورة التي تطول في نفسه .. ذلك أن شهادة الشيخ الأسير بأنه شاعر ، وشاعر جيد فكانت تصبح شهادة وإمارة لشاعريته وجبال شعره ولم يكن هناك طريق سوى تأكيد ذاتيته كشاعر موهوب في الصحافة وحل أوسع لطاق !

كتب قصيدة من نوع :

مسلا صبا لايم ولا يجرى

ولا أبا بها نفسي ولا تسرى

ولجات القصيدة توتجا للشعر الذي كان يعجب المشرف على الصفحة الأدبية ثم ذيلها بأفشاء مفسود كان ألتاك له شسان وششسان من الشهرة والانتشار ، وطوى القصيدة ، وسلمها إليه المشرف على الصفحة الأدبية بعد أن قسم نفسه إليه من



فه موفد من الشاعر الصغير .. و .. كتبت نصيحة ، ونشأ الظروف والاندول لن يصبح كامل الفنان فيما بعد مفرقا على الصنعة الأدبية بالاحرام ، فكان يحرس على نشر شعر الشبان وكان يجنبهم الكثير من الصناعات التي اعتزمت طريقه يوما ما .. وفي عام ١٩٢٠ موجه بنشر قصيدة له في مكان بارز من صحيفة « لبلاغ » ، ولم تسمع لفتها ترحا ومرحا وثقة بالنفس ، لقد نال القصة المصنوعة على شاعريته ، وذمها لثقله الاستاذ ابراهيم المصري المشرف على المحقق الادبي البلاغ وقدم له نفسه وشكره ، ولذا به يستقبله بالحفاوة والتقدير ويطلب له كوبا من الشاي ، وقال له : شوقي بك أمير الشعراء كان في زيارتي بالأمس ، وابغى انه قرأ قصيدتك وأضرب بها كثيرا وطلب مني أن أعرفه بصاحبها ، ولم أكن أعرفه أو أعرف عنوانها ؟

وسأله كامل الفنان في لهفة : يطلب معرفتي ؟
وقال له ابراهيم المصري : نعم وتستطيع أن تقبله في منزله بلقيزة أو بمكبة في شارع جلال حلف سينما كوزمو بصد الدين ، وصوف تجد في انتظار هذا اللقاء .
لحق كامل الشنأوي جريدة البلاغ وهو يبكي طريا ، هلك لسبح له شأن ما . ولم يعد مجرد شاب يدين يلفت النظر ويثير الحمرة ، غير أنه لم يجد في نفسه الشجاعة أن يذهب إلى لقاء شوقي بك وحده ، وتوجه إلى « نادي الطلبة » وهو اسم كان كامل الشنأوي قد أطلقه على عربة عم لسماعيل الرشيدة في ميدان السيدة ، حيث امتد واصفاؤه كل مساء تناول لطباقه الشهيرة من الكبة بالفتة وسلطة اللبن ، وطلب طبقا وأكله ، وكرر الطلب ثلاث مرات واصفاؤه في محبة من امره .. ثم أعطى اليهم بالخير السعيد .. وهم بين صديق ومكاتب ، وبعوا يفترون إليه في حسد فاسيد واحترام شديد ، إذ كيف لم يكتشفوا من قبل أن بينهم هذا الشاعر الموهوب الذي ينظره شوقي بك ..

وقال له الشاعر محمد الأسير : هون عليك الأمر . تعامل معي لثقله شوقي بك في مسرح الأزيكية غدا .
وذهبوا إلى هناك ولصطحب كامل معه يوسف طمس المحلى ونظفوا المسرح ، وساعدوا شوقي بك بشئ ببعض ملاحظاته على يروفت مسرحيته مجنون ليلى . وكان يلف حوله مخرج المسرحية ولطمة رشدي ولحمد حلام وزكي طليعات . ولحقه زكي طليعات فقبل عليه ولصطحبه من يده وقدمه إلى شوقي بك : فبينى كامل الشنأوي .
ولجى أمير الشعراء دهشته وقال : ولكن معرفتك شاعرا .. بها ملائكت بلانديل ؟

وروى زكي طليعات القصة ..
كان كامل الشنأوي قد وقع خلال تروحه على مار الكتب على مؤلفات عن فن المسرح ومسرحيات مترجمة عن الفرنسية والإنجليزية ، وبهره فن المسرح وأدب المسرح وبدأ يتردد على مسرح الأزيكية وعبد الدين ودوش الفرع مع يوسف طمس ومحسود التيجي الذي أصبح فيما بعد ممثلا شهيرا ..

وكون كامل الشنأوي مع اصداقه « جمعية المسرح » وكان هو المؤلف والمخرج . وقدمت الجمعية أول أعمالها على مسرح « برلانتيا » بشارع عبد الدين عام ١٩٢٥ وهي زكي طليعات لحضورها .

ولأن كامل الشنأوي معمم . ومثاقته الدينية المحافظة نفي على ابنها أن يعين « الشخصيات » حيث لا تقبل المحكم شهادة الممثل . لذلك اكتم بدوره في متلبسة المساعد من وراء الكواليس .

ولكن حدث لقاء مرضى الرواية أن فتيب الممثل الذي يقوم بدور العانس . والحب

عليه زملاؤه أن يطأ بكفه . وجلس على خشبة المسرح فوق كرسى القضاة . . وصلى له الجمهور طويلا لاضحاكته وزبه الأخرى . وتبع نجاشا كبيرا في هذه السور . . فلم يكن يتطلب منه سوى هيئة المنظر وحل الرأس في وقار ثم التفت بالحكم إلى وضعت شوقي بك للقصة . . وتلبل كليل الشنواوي لحظت ثم قال له : عندما قرأت قصيدتك تخيلتك شاعرا نحل الحق جوده . . أن من قرأ شعرك يظن أنك شاعر أشباه الهوى . ولكنك — كشاعر — ضخم جدا في حجم الفيل . وكانت هذه هي الملاحظة المبررة الوحيدة والأخيرة . التي ألبسها شوقي بك لزام بدانة كليل الشنواوي . فقد ملئت بهويته وخفة ظله وحضوره الإنساني على مدانته وبيدلت عذاباته المؤلفة ومحاكماته الطويلة لتلاشي شيئا فشيئا في سحابة شمسوئي بك وتشجيعه لسه .

فتح شوقي صدره للشاعر الشاب . . وقسمه إلى سبلونه الأدبي في منزله المعروف بكرمه ابن حليمة وكان يطو له أن يسمح لصاحبه بصوت كليل الشنواوي الزمان وألقائه الزمان الواعي للعاني والمواقف . ثلما كما كان يطو له صياح غناء محمد عبد الوهاب وصوته العذب وكانت لهويتان تتنافسان وتجادلان التأسف في ممتدى كرامة ابن حليمة . . يوما طلب منه أمير الشعراء أن ينوب عنه في القاء قصائده في المحلات . . وكان كليل الشنواوي يمتدح ويقدم له يوسف حلي وقال شوقي :
— أنا لا أسب للمتلين وهم يلتون شعري خارج المسرح .

فقال كليل الشنواوي :

— ولكن يوسف حلي محام ولهس ممثلا . .

وأمر شوقي بك على أن يلتقي كليل الشنواوي قصيدته في حفل تأبين الزعيم الذي هو المختار وكان الإيطاليون قد لاقوا به من الطفرة وقد بلغ من الحبر ٩٠ صلبا وهو بكافح استعمارهم لبلاد . . ورواه شوقي بقصيدة صاغية مؤثرة . . وأستمر كليل الشنواوي تمت الضغط الأدبي أن يقبل القضاة . . ولكن الظروف انقضت عندما قررت السلطات إلغاء الاحتفال في آخر لحظة . . ولو أن كليل الشنواوي ألقى تلك القصيدة . . فربما تحول إلى مجرد رواية للشعر وليس شاعرا متميزا له موهبته وأسلوبه وتجرعته الخاصة .



● الشعر إذن كان طريقه إلى الحياة وإلى الناس . بعد سنوات ثقيلة من العزلة والانطواء . ولم ترض طموحاته أن يصبح شاعرا محسب . فقد تفتحت عواطفه ووقائع معينها في حياته كتبت وراء انتقامه من مواصلته للدراسة بالأزهر بعد ثلاث سنوات متصلة . وكانت وراء رفضه لكلي دراسته للحقوق في فرنسا والالتحاق بالبريون . وكانت وراء ولوجه حديث الصحافة وثقلته الإجهاد . كانت لكامل الشنواوي آنذاك مجموعة من الصداقات للجناسية . كانوا يترددون على القياصر الأزهرية القباب في غرفته الخاصة بمنزل العائلة بطارح السد وتحولت تلك الصداقات إلى شلة . وتحولت الغرفة إلى ندوة يومية في الكتب والمثل والنسابة وحوار الفرافة . كان من بينهم الشيخ محمد التريز والقياصر عبد الحليم الأديب والشيخ خاطر الحلي الشرمي ونصري رضوان ولحمد حسين ويوسف حلي ورواض السنبللي ومحمود الشريد وحافظ محمود ومحمد قزبه ومحمد علي غريب ومحمود الميمني والأطباء سويدان وعمران والشنواوي . ووسط هذه القلة للتكلمة المألوف ، للتربية القياصر ، لاحت موهبة كليل الشنواوي كمحدث لبق ومناور بارع وصاحب كلمة غاية في الخرف والطراوة . ولكنه

خارج نطلق الشبهة - كان يتناهى شعور دائم بأنه مقيد الفكر وهو لم يره إلا حرسه
كان يشعر بأنه وهو في هذا الوضع الحثيث لا يستطيع أن يعبر من شكة في كثير من
المعتقدات والمسلخات . وكلما إذا تكلم في الفن أو الفناء أو التمثيل تصلحه نظرات
الاستنكار . . . لا كيف تأتي هذه الأقوال والافتكار من شيخ معمم ؟ وكثيرا ما ترامت إلى
سمعه حساساتهم : « صدق الي قال يخلق من ضمير العالم فاسد اء » .

وجاءت لحظة الانفراج لأزمته ومشاعره للكبوة والذكاء الحسية بعد الضمانه
إلى الحرب الوطنية الذي حصل كامل الشناوي اسم مؤسسه الزعيم مصطفى كامل .
حيث بدأ يفرس دوره السياسي في مجلة الشجر .
كتب قصيدة وطنية وذهب بها إلى جريدة كوكب الشرق . وقابل صاحبها لعيد
هلفظ موسى بك وقدمها إليه . وكانت هيئه موجعا وهجوما عنيفا على حكومة أساميل
صديق باشا . وقرأها للرجل عدة مرات وأبر يتشرها وشجعه بميلرات رفيعة . ونهض
الشباب أين الثلاثة عشرة وهم بالانصراف ، واستوتوه حفظ موسى بك :

« على صناعتك يا شيخ كامل ؟
رد كامل الشناوي : كما ترى . طالب ازهرى قرر أن يقطع عن الدراسة
الزهرية .

سأله : لماذا لا تفكر في الاشتغال بالصحافة ؟
قال : لكنني فعلت في تحقيق أفكارى . .
سأله : هل لديك مانع أن تبدأ تجربتك في الصحافة معنا في كوكب الشرق ؟
قال : هذه لبئية .
« وقال حافظ عوض لكامل الشناوي : اتفقنا إذن . . وكلم يكفيك شهريا ؟
قال : عشرة جنيهات .

ودخل كامل الشناوي إلى غرفة مجلورة . وجلس بمجلس أول تجربته في
الصحافة . وذهبت فلفته من شبيب السيدة بكابل هيئتهم إلى بدوم دار جريدة كوكب
الشرق لتهنئته بالمنصب الجديد . . ويرى الأستاذ حافظ محمود ذكريات هنا النقلة :
« هناك التقينا بكامل الشناوي وهو جالس وراء مكتبه يصحح تجارب لطيفة .
وهي صليقة بنت لنا آنذاك يتي وكانها تصير لكبريات الأمور . ووقفا أمامه وكان
لا يزال بذية الأزهرى . وأوصينا أن زملنا الذي كان يتلفر عنا خطوة قد سبقنا إلى
ميدان الحياة بخطوات . وخرجنا من عند كامل ونحن نقول : إن أرواح فتيان الحي لم
يسد قاندا على أن يسميه اء » .

وبالرغم من أن كامل الشناوي شق طريقه إلى عالم الصحافة مصححا للبرولت
وهو عمل روتيني منضبط بعيد من الطق والانداع . ورغم أن كفاهه الصحفية كانت
لكل بكير من موجهه الشاعرية . إلا أنه لم نهض أموام قلائل حتى أصبح صاحبها
مرموقا . وكيف لا وقد تولت صدائقه وأعلام السياسة والأحزاب . . فكان جليسا
لمحمد محمود باشا زعيم الدستوريين وصديقا حميما لشقيقه حفي محمود باشا . وكان
في نفس الوقت صديقا لحكم حبيب باشا ومعلم سكرتارية حزب الأغلبية . ثم كان صديقا
لخصوم هؤلاء جميعا في السياسة .

بل إن الشباب كامل الشناوي بعد أعوام قلائل من العمل في حقل الصحافة
أصبح مشهورا بارزا في كل « السال » التي تجس القمم الصحفية والأدبية في مصر
وصديقا حميما لهم . وكان بينهم جبريل تكلا باشا وأنطون الجليل وأحمد الصاوي
محمد والدكتور محمود عزمي والسفاد وطه حسي وتوفيق الحكيم والشاعر علي محمود

له وصحبه عبد الوهاب . واستطاع في نفس الوقت أن يعلم في وجود شوقي أمير
الضمير . وأن يلتفت النظر إلى شعره الغض بالقائه الذكي المؤثر .

وتنظم كامل الشناوى إذا قلنا أنه كان يكسب في الواقع التي عمل بها
وللناصب التي صعد إليها بقرنه الذي جعل الذين يتطرقون به أكثر من الذين يفرقون
منه . كما أننا نعلم الحقيقة إذا قلنا أن براعة أسلوبه وشاعريته كانت وحدها سر
نجاحه . لقد كانت في كامل الشناوى خاصية تغطي حتى على ميثاقه ، هي فراسته
وقدرته على إثارة اهتمام من يرغب في إثارة اهتمامه . وكما كان يقدر على إثارة اهتمام
الغراء بأسلوبه نثرا أو شعرا . كذلك كان يقدر على إثارة اهتمام من يملكون زمناهم
الأمر . كان يعرف ماضي النقطة التي كثير اهتمامهم فيحركها تحريكا بارعا .

وليس من شك في أن وشائج الصداقة التي كان قادرا على نسجها مع كبار
القوم ونجوم المجتمع ، تفوقت على كفاءته الصحفية فيما كان يركز إليه آنذاك من
المهمل . حيث لشعره كليل الشناوى في هذه الأوساط قبل أن ينال قضي شهرة بين
القراء .

نعم ، كان كليل الشناوى يملك موهبة حلقة في إثارة الحياة من حوله . أن
يشغل سلبه بالحدث الذي يستهويهم . وأن يثبث فيهم نقشة الفرح والرج . ولن
يتفرق منهم الفحكتات المجلطة .

كأن كامل الشناوى ينتمي وهو في سن مبكرة إلى جيل فعل من أطول النظراء
في عصره وآخر سلالاته . أمثال ، حافظ إبراهيم وعبد العزيز البكري ذمام العبد
وعبد الحميد الديب وإبراهيم ناجي وحفني سمود وإبراهيم الملازم وشفيق المصري
ومحمد البايلى ومصوب ثابت ومجلى فهمى ويوم التوتس . ولكنه تلقى عليهم جميعا
بلا منازع بتعدد أساليبهم وتنوعها . ما بين نكتة ذكية . وقصة مرحة . ومسخرية لازعة
وتقليد للأصوات والفكرات وملابيه المحبوبة التي ذاع صيتها .

لقد كان لطرف كامل الشناوى منهج خاص . لم يكن جارحا أو مصنوعا أو مسليا
كان طريقا طبيعته وموضوعيا في طوله . وكانت كلماته وخبراته تنبع من صفا
الشرف وترقى به إلى مراتب الفن والأدب .

وأعجب ما في طرف كليل الشناوى أن موقفه كان دائما دفاعيا وهجويا معا .
وكان في هجومه السافر على الآخرين لكنه يدفع عن نفسه احتمالات الهجوم عليه ،
وربما اكتسب تلك المهارة منذ مرحلة الطفولة والمبا . عندما كان في موقف المتحيز
للخارج من بلدانه وحبليتها من المسخرية والمهينة . ولذلك كان وهو الذي يمشق النكتة
ويضربها فوق كل اهتماماته . يفرغ من النكتة ويرحبها إذا كانت مصوبة نحوه . صحيح
أنه يحب النكتة ويحرب لها ويضربك من أعماقه عليها . ولكن على شرف أن يكون هو
تلقاها . أو موجهة إلى غيره . ولكنه يخلص النكتة ويكرها إذا كانت ضدّه . إذا كانت
تمنيه . أن موقفه منها كموافقه من كل للمارك التي خاضها في حياته . يفرغها إذا
كانت لا تغطي عليه . وهكذا استطاع كليل الشناوى أن يسير على جبل الحياة ببراعة
وفكاه دون أن يستط . فلم يتعرض للسجن والاعتقال في حياته . رغم الإحزن والمحن
التي شهدتها البلاد على مدى عمره القصير .

لقد اخطأ لنفسه منذ البداية طريقا سياسيا واجتماعيا وسطا . وكان يخوض
لشراك دفاعا عن الحرية والعدل والمساواة عندما تكون الصاحة مهينة للقتال . حتى
إذا عبت العواصف أكثر أن ينحني لها حتى تنر . فإذا انقضت عاد مسرعة ثانية إلى
النضال . وهو ما يدفعنا أن نضم كليل الشناوى إلى حركة تصير للسلام مع يوسف
طلي حيث كتب عدة مقالات ثورية في مجلة الكاتب اهرم ١٩٥٠ و ١٩٥١ . ولكن

عندما اعتقل معظم عناصرها ، أقر أن يقتصر دوره على مساعدة أسرهم بالمال بعد أن ضمن عدم إذاعة اسمه !

على أية حال .. اقتنع الشيخ سيد الشناوي لهما أن ابنه الأكبر قد انفلت عيانه وأنه لم يعد هناك سبيل ولا وسيلة تجبره على مواصلة الدراسة بالأزهر الشريف أو فرسا .. كان كامل الشناوي قد عقد زواجا كاثوليكيًا بالصحافة ومحاولة من عوالم اجتماعية وأدبية وفنية .. وحطم السامة والكاثولة إلى غير رجعة .. وارتدى الأزياء الأوروبية الأنيقة .. فكان يحصل بدلة عند الخواجة « جايي » ترزى الأمراء والبشوات .. ويشترى الأحذية الإنجليزية « الأجلاسيه » .. ويقتني كل جديد من الكرافات والساعات والنظارات والولاعات وتقام الحبر الثمينة .. وأصبح شابا عصريا في مظهره وسلوكه وأفكاره .. كل كس يحاول الهرب من شيء ما .. قد تكون بذائته وما عناه نفسها من عذابات وعزلة وانطواء .. وربما كان يهرب من نفسه الأزهرى ، حيث المتنازع المعقبة ، وجريالة الخير النافذ ، وزيلاته من المعجزة والعيان الذين كانوا يطلقون على شارع الموسكى .. شارع « تناقض الوضع » !

وهكذا لبسك بالتزيين أول فرصة في الصحفة .. وكنت من قبضة القصر الحتمية بسمجة !

لم يكن اشتغاله بالصحافة سببا في حله ذى الأزهرى ، لا أن بعضهم يصلون بالصحافة وهم مسمون .. بل أن أول حب في حياة كامل الشناوي كان السبب .. فتاة المادى الرقيقة التي ذهب إلى منزل خالها ليتلقى عليه دروس الفرنسية استعدادا للالتحاق بالسرير .. وهناك أتت بها مرات ومرات .. واكتشف فيها روح الصبر والفكر للتجربة .. و .. قرر أن يعيش هذا الصبر من أجلها .. مظهرًا وسلوكًا وحياة وهذا !

ولكن هل يستطيع الإنسان أن يتفصل عن نفسه ويقتله ؟

لم يتفصل كامل الشناوي عن ماضيه وبيئته رغم تجده ومعاشرته وبرغم محاولات الهروية ، وعندما يكون الحديث عن الأزهر .. كان يبرى دفاعا عن هذا الصرح الإسلامي والتضامى العظيم .. وعندما يكون للحديث العادى وشكا يعود سريعًا لبيئته ونشأته الأولى فإذا هو أشد المؤمن وأخلص للوحدين .. وكان حبه لبطه حسين لأحد له .. فهو الأزهرى الذي تنوى مسلي الأزهريين وأصحاب البدل .. وبطه حسين هو قمة الأبناء عند كليل الشناوي .. وكان وصفه بأنه رجل لثيق في عبارته أتيق في كلامه وفي نطقه واختياره للألفاظ .. ويقول أتيق منصفون أنه سمح كامل الشناوي يوما في لحظة صراحة .. فإذا به يسترف يتأخره بأسلوب مله حسين في الحديث ..

كذلك كان يرجمه الله مفتونا بالشيخ جمال الدين الأفغانى وسيرة حياته ونضاله الفكرى .. وكان يبجل الشيخ محمد عبده ويقدّر فكره الوامى بروح العصر وكل مؤلفا مدعوتة إلى التجديد .. وكثيرا ما كان يبدي إعجابه بالشيخ مصطفى عبد الرزاق كميودج حى للأزهريين الذين تطهروا في فرنسا .. وكل يقرأ على أصفحة مكتبته من باريس ومياديبها .. ويقدّر اتباعهم إلى أسلوبه اللين في الكتابة ، ووقته المتنامية في ماملة تلاميذه وعلاقاته بالناس .. وعندما قرأ للشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى أسطورة أسلوبه وضموته ثم اختلف مع أسلوبه الأخرى ولكنه ظل مبهودا بأفكاره التي كانت تسبق عصره ..

● البديهة التي كانت أهم العوامل التي دفعته إلى التحصيل والقدرة وكانت سببا في طفولته على إكثاره فيها بعد ، وظلمه زى الأزهريين ، ولربما عطشه إلى الحب أن يحب ويحبه الآخرون ، ودأبه إلى الطرف والسمرة وحك الخائب ، وتنبهها بالفصح والمزج والسهو من مكتوبات عزله الإسطرابية الطويلة التي ألفت أيام طفولته وصباه .

غير أن الشباب كامل الشناوى الشاعر لم يحسن برغم قبيل الدنيا عليه أن يفلت من القواني التي حكمت طفولته وميله . صحيح أنه حاول لكن محاولاته في أغلبها كانت رد فعل لمرحلة الطفولة والصبا القفوية . فكان دائم الغمور بما تعرض له من صراع مرير في تلك المرحلة التي تركت بصماتها الواضحة على سلوكه . ولم يكن المحبطون به يلتفتون إلى بدئلته أو ملاحمه . فقد كتبت حيويته ومواجهه وخفة قلبه . تخشى عمل كل شيء وتخشى غيره . ولكنه رغم ذلك كان دائم الشعور بتلك العيوب وكتب يترنن بذلك وهو يستقبل عليه الضميرين :

« لماذا استعسر الكتابة دائما . لماذا أحس احتراقا يلونني ويكونني ، كلما فكرت وحدي وما أكثر ما أفكر وحدي . لقد فطنت أن سر ما أعانيه .. هو هذا الصراع الطبيعي القائم في كياننا نحن البشر . الصراع بين الجسد والروح ، الجسد يحاول أن يذهب الروح ، والروح تحاول أن تهرب الجسد . وكل الناس مثلني في هذا الصراع . ولعل في ذلك أسعد حظا من غيري . فقد استطعت بحكم السنس والمرضى ودعاية الشكل ، أن أيقظ حمة بين جسدي وروحي .. وما لقل لأدين استطاعوا ذلك .. »

وسألته المنيعة آمل نهى في حديث صحنى « غير مذاع » : ما هو الشيء الوحيد الذي جالبك فيه الزمن ؟

وكانت أجابته : سواد شعري .

وهذا صحيح .. فبالرغم من قوله في قصيدة عيد الميلاد « وعلنا الشبيب مفرقى » .. إلا أن كليل الشناوى ظل يحتفظ بسواد شعره دون أصباغ حتى النهاية . وكان يقول : « إن أصداقائي في مرحلة الشباب كانوا يتخولون من وضوح الكولونيا على رؤوسهم يدعوى أنها تجعل بالشبيب يسا نجوت من الشبيب لأنني كنت أحصل شعري بالكولونيا » .

وكامل الشناوى ظل طوال حياته في صخب انساني لا يهدأ وكان وهو الاعراب الذي يخشى أن يتوكل يوما على زوجة يبيع حوله أطفال أشقائه أيام الجمع والأعياد . وكان يندق عليهم الحلوى واللب ، يتسلط معهم ويلعب معهم ويقترب من عقولهم وعواطفهم . وكثيرا ما رآته يستمع ذكاهم وفصاحتهم وخفة ظلمهم . وكان يسمم الطفل طارق ابن شقيقه أسد الشناوى . ويوقع له أن يخطفه شاهرته . وكان يأمل أن يصبح امتدادا للسلالة الصيفية في الأسرة . وصقلت نبوته . وأصبح طارق الشناوى بعد رحيل كامل الشناوى يفسر سنوات صغيفي يحاول نظم الشعر . وعمل في روز اليوسف التي شهدت بدايات عمله في عالم الصحافة .

وكامل الشناوى لفرط ولده بالناس وصداقتهم من كل الأعمار والجنس والطبقات كان يبنى سياسة الباب المفتوح . ولقد حافظ الباب المفتوح على علاقته بالحياة ساذجة مفتحة . لم يفصل أبدا عن الناس . كانت وسيلته لاكتشاف مآلهم من خير وعطاه وإحسانه . وكان على طبيعته الرغبة التي تصب أشعة الشمس حيث الحياة المشتركة مع الآخرين . ولذلك يفر الآكاف والندق من صحنه وطبقاته الكثير حتى يظل وسط حياة الحياة . بعيدا عن أشباح الوحشة التي كان يرى فيها صورة من صور الموتى الأحياء .

كان يرى في سياسة الباب المفتوح قضية الكسرى - وسر العالم وسحره ، وكانت في نفس الوقت نقطة الضعف فيه - فهذا الباب المفتوح منع كامل من أن يعيش مع نفسه وحيداً بعض الوقت - مكتبه مفتوح لكل الناس وكله مفتوح لكل الناس . وعندما هم بالكتابة وأداء مهامه الصحفية كان يحتلر بانشغاله عنهم .. وكان لفظات العمل في سلوكه اليومي مجرد « انشغال » من الحياة وليس « انشغالاً » بها ..

يقول الدكتور الناقد رجاء التفتاس : « لو كان كليل الشملي قد تجرأ على وحدته وانصر عليها .. لكان واحداً من أعلام وأغزو اليمين في حياتنا الفنية على الإطلاق » .

كانت سهرة من سهراته في مكهى القيشاوى يقرأ فيها القصص - ويلقى بسهراته الحنية ومعالجته الذكية - ويتأمل وينتقلش - ويشتري الحكمة والجنون ويبيعهما الآخرين .. ليلة مثل هذه يسهرها حتى مطلع الفجر - كانت عنده أفضل وأمتع ولتقم من كتبه مليون قصيدة تلقى له بمزيد من الشهرة أو المال - كانت رائحة الحياة عند كليل الشملي متقدمة - فطنة - مسكرة .

أنا على حق عندما طلبنا منه الشعر ومنتحنا هو الحياة ؟ .. أكاد أظن الآن أنه كان لسبب منا لأسباب كثيرة - لقد عانى وملاً الدنيا - وجعل لكل لحظة من حياته طمعا - وكانت حياته في جملتها قصيدة لجمال واعجب و « إسم » من أية قصيدة يمكن أن يكتبها شاعر منسكن .

وهكذا من العزلة والابتواء الى الانطلاق وخمس الحباء وسط الناس .. كانت رحلة كليل الشملي صعباً وشاعراً وعاشقاً وسليماً ..

من التصحيح إلى رئاسة التحرير



ظل كامل الشساوى يعمل بهمه لاقتفر فى حربفة كوكب الشرق ، من الساعة لثامنة حتى قبيل الليل ، وفى كل اول شهر كان يقف أمام صراف الجريدة يسأله عى مرتبه فيقول : « اسمك حتى موجود فى كشف المحررين ؟ »

ومضى شهرات ولم يتفاس مليا عى عمله وذهب الى حافظ عوض بك صاحب الجريدة يسأله عى اسمع وقال له : « أنت مارلت فى مرحله ترمين ، وقد دفعك أنك لم تكسب الإشعازا وبحوثا أدبية ، والصحافة بايى كما لابد وأن تعرف ليسست كذلك . ولما كنت حربضا على بياك فى أسرة كوكب الشرق ، فأنا أصحك بأن تنصيف الأعمار من مصادرها » .

- ولكنى لأعرف أى مصدر على الاطلاق .
- وسكنت حافظ عوض ثم قال لكامل الشساوى فى مودة
- اسمع .. هل تشعل مصححا ؟
- أشعل .
- مررب لمصحح أربعة جبهات .
- لا ماسع ..

وعكذا دخل كامل الشساوى الى عالم الصحافة من أكثر الأبواب واضعا فى كوكب الشرق ، مصححا لثقة المقالات التى كان يكتبها كتاب مسكون من المقعة وبحوثا ومرفها أمثال الدكتور طه حسين ، ثم جادته الفرصة لكي يظهر مواهبه وخفة طله !

كان يقول الجمال سكرتاربه التحرير عى الجريدة رجل من كان يطلق عليهم آنذاك « أعيان الريف » ، فلا هو بالمصحح ولا بالأديب ، ولكن الممثل السياسى

الوطني قد قسم له هذه الوظيفة ليؤدي بها واجبا جزيا ، وذلك كانت إحدى السمات البارزة في الصحافة الحزبية في ذلك العهد .
 وذات يوم وفد الى مصر رائد كبير هو ملك الافغان ، وكانت أثار الصحف تفيض بأبهة تنقلاته في القاهرة مع ملك مصر ، وكان لزاما أن تذكر الصحف اسم الملكين مسبوقا بلقب « صاحب الجلالة » فصورة تكتب « صاحب الجلالة » وصورة تكتب « صاحب الجلالة » حسب سياق الجلالة التي يأتي فيها اللقب .
 ولم يوجب هذا الخلاف سكرتير التحرير الحزبي ، فكان يصحح عبارات المندوبين مهما كان مولعا لها « صاحب الجلالة » أو « صاحب الجلالة » كما كان يتراعى له ، وكانت تجارب الاختبار تصل الى يد كامل الشناوي ، فيعيد تصحيحها وفقا لتواعد اللغة ، وتورد البرجمات وبها التصحيح في سكرتير التحرير وينادي كامل الشناوي ليحول له : « أهي لعبة استعمارية بيننا ، فكلما أكتبها « صاحب » تصحيحها « صاحب » وكلما كتبتها « صاحب » تصحيحها « صاحب » ؟

وكنتم كامل شعركه ، وأخذ الموضوع يرمته الى الدكتور طه حسين الذي كان قد عين في عام ١٩٣٣ مديرا لسياسة « كوكب الشرق » ، ولتخذ يقصده عليه بخفة الظل التي اشتهر بها ، فقلدا سكرتير التحرير الحزبي ، فبجأت روايته شبيهة بصوت الرجل الطبيب ولهجة الرعية وحلجانه القاضيه .
 وشعرك طه حسين - رحمه الله - من أعماقه وكان قليلا ما يضحك وكان أقرب الى الابتسامه الى الضحك . وقرب كامل الشناوي منه . وكان قد عرفه شاعرا وداوية للشعر ولكنه اليوم يكتشفه فدانا وطريقا ، وقرر أن يقلعه بلا مقدمات من قسم التصحيح الى وظيفة المحرر المنتدب بكتيب مدير سياسة الجريدة ، ونصحه بأن يتعلم فن الخطابة التي روى طه حسين أنها تكمل وتصورغ موهبه ، وسمح كامل التصحيح وبدأ يلازم الأستاذ حافظ محمود في المحافل السياسية يتعلم منه ومن غيره في الخطابة ، والقدرة على تطويع الصوت والإلقاء والحساس وترتيب الأفكار .

والذي لا يعرفه الكثيرون في كامل الشناوي للمصحح ، أنه وهو في هذا العمل الروتيني للمنضبط ، كان يكتب المقالات بدون توقيع ، حدث ذلك في منتصف عام ١٩٣٠ عندما كلفه صاحب « كوكب الشرق » بكتابة كلمة يندد فيها بسياسة حسني عيسى باشا وزير المعارف ، وكتبها ، وأعجب حافظ عرش بأسلوبها الساخر الرصين ومباراتها للصيغة البارعة ، ونشرها في الصفحة الأولى بدون توقيع .
 وكان كامل يكتب أيضا بدون توقيع أو بتوقيع في مجلة أسبوعية صغيرة لم يحالفها النجاح والاستمرار . كان يصدرها الشيخ عبد الحميد النحاس ، وكان يتناقص عن مقالاته فيها جنين في الشهر ، وكان انتاجه في هذه المجلة مقصورا على أدب الفكاهة من شعر ونثر ومقالة .

يقول الشاعر صالح جودت - رحمه الله - : « كان هذا النتاج الأدبي في مجوعه يمثل طرفا من معركة أدبية كانت قائمة في ذلك العهد بين جماعات « أبو لو » بزعامة أحمد شوقي وتوجيه الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، وبين المقادير مريديه . »

وقد أخذت المجلة التي كان يصل بها كامل جانب البطلان ، ففصله كامل في المعركة - رغم حبه لشوقي وإتقانه لدرسته - بينما استماتت « أبو لو » على حملتها الضارية بالشاعر بيرم التونسي ، وكان يومئذ منفي في باريس ، وكان يصدر صفحات مجلة « الإمام » لسان حال موصلة « أبو لو » من الغلاف الى الغلاف ويكتب

شهد جماعة المقاد ومن تصالفوا معه - آنذاك - مثل طه حسين وإبراهيم المازني وكامل الشناوي -

وطبيب صالح جودت قائلا : « ولأنك إن دنيا الأدب في ذلك العهد قد سملت بمسكة منشقة للحياة الأدبية ومعددة للمواقف الفكرية ، ولا أنكر أنها أسهمت في بعض الأحيان ، ولم تسلم من التجني - من الجانبين - ولكنها ورغم ذلك كله أسفرت عن تصنيفات كبيرة للناصر الضعيف ، وأبرزت خطوطا واضحة في مدارس الأدب المعاصرة ، وأخرجت في المنور مواهب كثيرة صمدت بعد ذلك إلى الزهرة ، ومنها كامل الشناوي الذي شق طريقه بعدها إلى الصحافة اليومية ليبدأ من السطح إلى أن بلغ القمة » -

يقول كامل الشناوي عن هذه المرحلة الأدبية التي عاشتها مصر في الثلاثينيات : - كانت مدارس الأدب في مصر ثريسا ، مدرسة القفاص جزعها رجال الأهرار ودار العلوم ومدرسة للمحدثين برعامة شكرى والمقاد والمزني . وقد انقسم ثلاثتهم ، فاعتزل عبد الرحمن شكرى الحياة العامة وانتمج المقاد في مناصرة الوفد - ووقف المازني موقف الناصر للحزب الوطني حينما - وشاوي للوفد في أغلب الأحيان ؟ وهكذا أصبحت هذه المدرسة مدرستين أو ثلاث !

ومدرسة أخرى للمحدثين برعامة طه حسين وهيكمل وعبد الرزاق وعسزمي وهؤلاء كانوا يتناصرون حزب الأحرار -

ومدرسة زكي أبو شادي وإسماعيل مظهر ومن معهم من شعراء وأدباء كانوا لا يزالون في مستهل حياتهم الأدبية -

وكان لطفي السيد وحليل مطران وشوقي محاولون يجهدهم ألا يدخلوا في هذا السراخ ، وكانت أفكار لطفي السيد مع طه حسين وشيخته - وكان حليل مطران مع النازعين إلى التجديد - وكان حوى شوقي مع الجميع إلا المقاد والمزني !



● اختلف طه حسين بعد ذلك مع حلفاء عوضى وترك كوكب الشرق وأصدر منفردا جريدة « الوادي » عام ١٩٣٣ . وصحب معه كامل الشناوي ، ولم تكن للوادي رسالة صحفية ولكن كانت لها رسالة سياسية ، هدفها التخلص فقط من حكم إسماعيل صدقي .

وقد نجح الدكتور طه حسين في حملاته القوية ، ولكنه لم يستمر طويلا فقد استعصمت الوادي كل جهده وماله ، وبإغلاق الوادي انضم كامل الشناوي إلى مجلة روز اليوسف عام ١٩٣٥ ، وأعطى كل وقته واحتاج لها بعد أن كان يكتب فيها بانتظمة منذ عام ١٩٣٦ بعض التعليقات الأدبية والفنية بالاتفاق مع مصطفى أمين نائب رئيس تحرير روز اليوسف في ذلك الوقت ، بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية لطلال طهيات كريمة السيدة روز اليوسف ١

وكانت روز اليوسف اليومية قد صدرت قبل انتقاله لنهاي إليها عام ١٩٣٤ وهي السقاك ليكون كاتبها الأول ، فاشتريت أن يكون إلى جانبه الصحفي الشاب كامل الشناوي وكان من أبرز كتابها في ذلك الوقت زكي طهيات وتوفيق سليمان .

أقبل على العمل بشغف وذلي في مجلة روز اليوسف الأسبوعية وجريدة روز اليوسف ، وكان إلى جانب مقالاته الأدبية والفنية وسخرياته الضاحكة ، يراجع المقالات ، وبدأت تتسع دائرة معارفه في الوسط الأدبي والفني والصحفي ، وأصبح من للع رواد قهوة « الفن » التي كان يجرد عليها الكتاب والنقاد والمثلاث والمثلون ،

وكانت له صولاته وجولاته كل مسلة ، يروي أفعاله ويحياها سمائه ، وتعلق به الأصداد والأسماع وهو يخوض مشاركه الساخنة في قضية الطولية .
و ذات يوم كتب كامل الشناوى مقالاً سياسياً طالبا فيه بسودة المستور ، وكانت وزارة تسييم باشا قد وعدت بإعادة المستور . ولكنها تكتأت في البربوعدها ، وبدأ كامل مقاله ببيت قديم من الشعر هو :

كلما قلت ، فدا موعداً شجكت هند وقالت : بعد غد
وقدم كامل الشناوى مقاله للدكتور محمود عزيمى - أبو الصحافة المصرية
المعاصرة - وكان رئيساً لتحرير جريدة روز اليوسف اليومية ، وقرأه ثم دار بينهما
هذا الحوار :

- وما دخل هند في عودة المستور ؟
- هذا حى جميل يقرب الحسى للآخر .
- الشعر يصلح للفناء والإنفاد ، ولكنه لا يصلح لمعالجة الموضوعات السياسية ،
ومقاله في غاية القوة والوضوح ، والاستشهاد بالشعر يفسده .
- ولكن هذا البيت سهل اللهم .
- نصيحته لك إلا تستشهد في المقالات السياسية إلا بأقوال السياميين
المهم تناقصهم ، أو تنقصهم أو توجههم ، ولا تعتمد إلا على المنطق والواقف
والاحصاءات .

ولم يقتنع كامل الشناوى بهذا الرأى - فى ذلك الحين - وانزع من مقاله
بيت الشعر وهو فى غاية الألم ، ولكنه لم يحاول بعد ذلك أن يسقمى بالشعر فى
مقالاته السياسية ، وكانت هذه الواقعة بمثابة الدرس الثانى له فى الصحافة ، وكان
قد وعى الدرس الأول الذى لقنه إياه حافظ عوض : « أن الصحافة لمن الخبر وليس
فى الأدب » وقد استفاد كامل الشناوى من تجربته ، وكانت مقالاته اليومية فى
جريدة روز اليوسف تغفل نصف عامود من صفحاتها ، وكانت نموذجاً لـ « الصحافة
الرأى من حيث التركيز واستخدام الصبغة » التفريقية » المختصرة ، واللغة القوية
والعى الواضح الذى يصل إلى الهدف مباشرة ، بالإضافة إلى العلة فى استخدام
الفواصل والنقط وعلامات الضبط والاستفهام التى ميزت كتاباته الثرية فيما بعد .
وتوطدت أواصر الصداقة بينه وبين أنطون الجميل ، وكان يتردد على ندوته
الأدبية فى جريدة الإهرام . وعندما بدأت روز اليوسف اليومية تمارض مواءم
البحاس السياسية معارضة سلبية . أصدر الوفد بياناً إلى الضمب ينقى علاقته بها
وأنها لا تعبر عن الحزب ، وخطب التوزيع فوراً من ٨ ألف نسخة إلى ٨ آلاف نسخة .
وعندما توقفت روز اليوسف اليومية عن الصدور وأصبح كامل الشناوى مزحاً للبطالة
استنداه أنطون الجميل وقال له : « لا تحزن يا بني ، إن إلى جولى غرفة صليحة
لك أن تراعى فيها منذ الآن حتى تدبر لك عملاً بالأهرام » .

لكن ... ماذا كان كامل الشناوى فعلاً بهذه الفترة الضيقة ؟
لقد كان يلقى معظم وقته بقرعة أنطون الجميل ، فإذا حاول الانصراف استقبله
جلساؤه ليستمعوا إلى شمره وروايته لأشعار شوقي وقصصه القسراء والتزود بأملوبه
الغريب وذكرياته الطريفة .

وظل كامل الشناوى منذ عام ١٩٣٦ بالأهرام يعمل فى جكر تربية التحرير
ويكتب باب « خواطر حرة » ، وبعد حى عام وبضعة شهور أميد تشكيل مجلس
النواب ، فإذا بأنطون الجميل يكلفه بأن يصحب مندوب الإهرام البرلمانى الذى يحتاج
جلسات للجلس ، وما كانت تنقش شهور حتى طلب للمندوب البرلمانى اختصاصاً



آخر في الاحرام ، فقد استطاع كامل الشناوى في هذه المدة القصيرة أن يصبح كل شيء في الصفحة البرلمانية ، ثم استطاع أن يشكو عميدا للمندوبين البرلمانيين في مجلس النواب ، واستطاع من خلال هذا العمل الصحفي أن يشق لنفسه جسورا من الصداقات الحميمة مع الزعماء وكبار السياسيين في مختلف الاحزاب .

كان صيته قد بدأ ينتشر في كل الأوساط ، ودخل الشاب السمين السلي يرتدي أحدث الملابس الانجليزية القصور ، وجالس الوزراء و رؤساء الوزارات ، وأصبح صديقا لصاحب القبة الحديدية محمد محمود باشا .

وهنا يذكر لكامل الشناوى أنه كان شديد السياسية لكرامته واعتزازه بشعره ومواقفه السياسية ، فكما كان صديقا حميما لشوقي بك وكان مثله الأعلى في مدرسة الشعر ، إلا أنه اختلف معه في الرأي وأضطر إلى العناد في موقفه من مدرسة « أبولو » ، أيضا نرى الشاعر والصحفي كامل الشناوى الذي أصبح صديقا لـ محمد محمود باشا زعيم المستورين ، لا يمدح في شعره أو مقالاته ذلك الحاكم بأمه ، والقصيدة الوحيدة التي قالها في مدح زعيم ، كانت في مصطفى النحاس باشا بالرغم من أنه لم يكن صديقا له واعتصم سئل عن السبب قال كامل الشناوى : « كل ما هناك أنه يستحق شعري ، ولذا كانت الصداقة لرئيس الوزراء فالشعر يجب أن يكون لزعيم الأغلبية » .

وعندما يطم جبريل قنلا باشا صاحب الاحرام أن كامل الشناوى يسهر كل ليلة مع صديقه محمد محمود باشا ، يخطب كفا ويصرخ في وجهه : « ومساذا تفعل بهذه الصداقة .. حاول أن تحصل منه على الاخبار أولا بأول » .

ويخرج من مكتب قنلا باشا إلى سراي محمد محمود ، وفي مجالس الوزراء والمزعماء ليكون الحديث درجشة أو دعابات فقط ، فالذين يصنعون الاحبار والقرارات ، يضطرون في حياتهم وسهراتهم العادية إلى الدردشة في الاسرار ، وهي الكثر التي كان يبحث عنه كامل الشناوى الصحفي ، ويلتقط من خلال الدردشة خبرا هاما ، أن أمين عثمان سوف يسافر إلى القدس ليحتم مع أحد المسؤولين البريطانيين، وأن معاومات على مستوى عال متصور بينهما بعيدا عن أعين الصحفيين ورقابة القسب !

ويسرع كامل الشناوى إلى الجريدة معه الخبر ، ويبدأ قنلا باشا حياكة الخبر ، ويشره منسوبا إلى مراسل الاحرام في القدس ، ويحدث الخبر حرة عنيفة في كل الأوساط السياسية والشمعية ، وحلفي كامل التهتهة ، ويرفع مرتبه بضعة جنيهات ، وينال مكافأة ضخمة ، آكبت هزمه الذي استقر أشيرا هل أن يتحول بكل طاقته إلى احراف مهنة الخفاف والقلق ... الصحافة ..

ويترك محمد محمود بذكائه وخبرته ، أن الشاب كامل الشناوى المحسود بالاحرام وصديقه وجليسه هو مصدر الخبر ، فلا يفتاح في الامر إلى أن تأتي جولة أخرى يلقنه فيها درسا لا ينساه .

ذات مساء وفي سراي محمد محمود وكامل الشناوى يصمت باهتمام ، يعلن رئيس الوزراء أمامه خبرا ، أن جويلز وزير النعابة في حكومة حنكرو وصل إلى مصر سرا ونزل بفندق سميراميس ، وأنه التقى بمحمد محمود ، ودارت بينهما أحاديث خطيرة ، ويستأذن كامل الشناوى في الاصراف مسرعا إلى الاحرام .. ويدخل إلى مكتب قنلا باشا يرف إليه الخبر الخطير !

ويرسل رئيس بالتصريح للدرب سماعة التليفون ويحصل بفندق سميراميس ، ثم يجمع الفنادق التي يعمل أن ينزل فيها الوزير الألماني ، والصل بالمطالعة

ويرجال السياسة والبوليس ، ويكل مكان له علاقة بهمة أو يوصل جوائز ، ولكن الجميع يؤكّدون أن الخبر كاذب ، ويضطرّ ناشأ قبيل الخبر إلى الاتصال بمحمد محمود ناشأ ، وما إن سمع رئيس الورود صوته حتى يتغير ضاحكاً ، ثم أنهى المحادثة بكلمة ظلت ترن في أذن كامل الشناوى : « عشان يتصلم الفرق بين السداقة والصداقة » ، وفعلما تعلم كامل الكثير من هذا القوس ، أن يكون حطراً ، حتى أصبح المحذر من أبرز صفاته الصحفية .

وحدث أن كتب كامل الشناوى خبراً من اعتكاف عبد العزيز فهمي باشا في داره بسبب مرضه ، فسأله أنطون الجميل : « هل استأذنت عيسد العزيز فهمي باشا في نشر الخبر ؟ » .
قال كامل : أنا واثق من صحة الخبر .

وقال أنطون : هذا خبر شخصي ، فلا ينبغي نشره إلا بعد استئذان صاحبه ، فقد بسبب عن نشر الخبر أن يزوره أسفلاًؤه في داره ، وهو غير مستعد لاستقبالهم وروما لمزيجته هذه الزيارات وضاعفت آلامه .

كان أنطون الجميل يؤثر الأخلاق الممتازة على الكفاءة الممتازة ، وكان يقول لكامل الشناوى : « إن الصحافة تتطلب من الصحفي عقل فيلسوف ، وقلب شاعر ، وضيق قاص ، ولما منع - بعد ذلك - أن يكون الصحفي صاحب قلم » .

ويقول كامل الشناوى رأيته في رائه مدونة الأهرام الصحفية إبان التلايفيات : « كان أنطون الجميل رئيس تحرير الأهرام يحب الشعر والأمثال والاستشهاد بالكلمات للثأورة ، وكثيراً ما كان يبدأ مقالاته بحكمة سرودة أو أسطورة قديمة ، ويتخلل القائل بيتان أو ثلاثة من الشعر العربي أو ترجمة لبيت من الشعر الفرنسي ، ومثل لاتيس أو حكمة سينية ، وكان يتألق في اختيار اللفظ والفكرة والمبنى . وكان إذا تناول موضوعاً سياسياً ، عرض وجهات النظر المختلفة بدقة وأمانة ، وتتركه للقاري ، أن يختار ما يشاء مكتفياً بأن يعرف القاري بوجهات النظر على اختلافها » .

ويقول كامل الشناوى : « لم تكن الصحافة عند أنطون الجميل سبقاً صحفياً ، وإنما دقة وأمانة وحرص على تجنب الأثارة والتضيق ، وكان يتلقى الخبر الهام ليقتنيه عنده حتى يتحرره ، ثم يقاوم بين ما يترتب على نشره ، فإذا كان النشر يتعارض مع المصلحة العامة ، امتنع عن نشر الخبر مهما تكن أهميته ، وكان يكره المنصب في المناقشة والجدل في الجدل ، كثير الاعتداد بكرامته وكرامة الأهرام ، فلا يزوج نفسه ولا بالأهرام في خلافات سياسية أو طائفية أو مذهبية ولا ينشر خبراً عن انسان إلا بعد استئذانه » .

وتعلم كامل الشناوى فدوساً كثيرة في صحافة مدونة الأهرام ، فدوساً في الكتابة الصحفية . ودوساً في التعامل مع المصادر ، وكما أخذ عن الأهرام فقد أعطاه أيضاً . كتب الخبر والتحقيق والمقالة والدراسات الأدبية ، وقدم سلسلة من الإصدارات الصحفية التي أثارت ضجة حولها ، وأجرى السديت الشهير مع أحمد لطفي السيد الذي قال فيه امتداد الجميل : « أنه في الساعات الأخيرة من حياته سوف يزرع شجرة » ، وكان قد بلغ من العمر نحو ثمانين عاماً .

وفي عام ١٩٢٨ عين مصطفى أمين رئيساً لتحرير آخر ساعة . فاختار كامل الشناوى محرراً سياسياً لها بجانب عمله بالأهرام ، وفي عام ١٩٤٢ كان مصطفى أمين رئيساً لتحرير مجلة الاثنين فخصه بكتابة علوم داسموي تحت عنوان : « سميتهم يولون » بجانب كتابته للمقالات في مجلة المصور ، وفي عام ١٩٤٤ اختاره مصطفى أمين رئيساً لتحرير آخر ساعة . وبعد صدور أخبار اليوم كان يعد من ألح كتابها

ثم عين رئيساً لتحرير الجريدة المسائية عام ١٩٤٦ ولكن حزب الوفد قرر اغلاقها ولم توزعها وجلسها الواسع . لأنها كسبت معظم القراء من اليلال وهي جريدة فلسطينية ومسائية ايضاً ، ولان كامل الشناوى لم يكن وفدياً ، ثم عاد الى الامم المتحدة رئيساً لقسم الايبيل ، ثم تركها عام ١٩٥٢ وعمل رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية وفي ديسمبر عام ١٩٦٢ عين رئيساً لتحرير جريدة الاحبار وظل بها حتى وفاته وكانت آخر عهده في عالم الصحافة .



● كانت لقزاته في عالم الصحافة تدعش اقارنه وثثير حسد من تخلف عمن سبقه ، فليس مجرد مصصح بلا أجر في « كوكب الشرق » عام ١٩٣٠ ، بل رئيس تحرير « آس ساعه » عام ١٩٤٣ .

كانت موهبته كشاعر لامع ومحدث طريف تطلعي على استخداماته الصحفي ، بل ان شاعريته وطرفه كانا مفتاح أبواب الصحافة والسياسة وللمجتمعات ، وتخالطه أصحاب الصحف ، فكان يختار للكلم الذي يروقه ، وللتبر الصحفي الذي تتوفر فيه حرية الرأي والمشر ، وكان يصعد الأجر الذي يفي بمتطلباته وينه وإسرافه ، رغم أنه مدد أصبع رئيساً للتحرير كأي يسطي بعض وقته للعمل ومعظم أوقاته للناس . وكان يتكلم أكثر مما يكتب ، وكان يميل ويكتب وسط مريدته وخواريه الذين لم يكن يتخطى سبيل تدفهم على مكتبه ، ويستفيد معظم دخله في ولان المشاء التي كان يدعو اليها العاملين معه والمتوردين عليه ، وعرف عن صينية عشاء كامل الشناوى الكثير من الطرائف ، فكانت تصحب من طار صحيفة إلى دار أخرى ، وكانت تمتلئ بها لذ وطاب من صنوف الطعام والكياب والأسماء .

كانت مشكلته الوحيدة أنه يكتب في الساعات التي يريد أن يكتب فيها ، يسا كانت الصحافة تطلب منه أن يكتب في الساعة والنظرة التي تصدحها له .

يقول مصطفى أمين : « كنت دائم الخلاف مع كامل الشناوى ، لأنه قليل الإنتاج ، فقد كانت للقالة التي لا تزيد عن عامود ، تستغرق منه عدة أيام ، وكنت أدهش لأنه راوية ومحدث ومبدع في الحياة توسط الناس ، وكثيراً ما فكرت في أن أمتاجر له شخصاً يشي معه ويسجل مايقوله » وأشره موقفاً بأفضاء كامل الشناوى .

لم يتعلم كامل الشناوى الصحافة في المبادئ المتخصصة في الصحافة ، ولكنه تعلمها في مدرسة الممارسة والتجربة ، وقد ظل تلميذاً في هذه المدرسة حتى النهاية وكان يصف نفسه بالهواية الصحفية ، ومما لاشك فيه أن قرباته اللامهجية في دار الكتب وتكونته الثقافي العاصي في صدر شبابه قد أفاداه كثيراً في عمله وعلاقاته بصادقه الصحفية .

كان أسس ثقافته الفلسفة وعلم النفس والتاريخ والسياسة ، ومختلف الفنون والأدب المالية . وجميع ما أنتجه الفكر العربي منذ العصر الجاهلي ، وكان يحفظ آلاف الأبيات لشعراء القضي والحديثين ، وكانت له ذاكرة أشبه بجهاز التسجيل ، لكن كامل الشناوى لم يتوقف عند مرحلة وضع الأساس لثقافته ، فكان أن يتورد على المكتبات لاقتناء كل جديد في الفكر ، وكان يهضم قراءته لهاثم يقسمها أو يعلق عليها ، وظل ببيانته الثقافي مفتوح النوافذ على كل الاتجاهات والأفكار والتيارات ، وكان أسبق مصادر الأخبار الهامة لأنه كان صديقاً لمنزاع الأحداث ، وكان هو صانع بعضها .

كان كامل الشناوى يجمع في شخصه وفكره وقلبه بين جيل والده للصحافة الحديثة والجيل الذى دخل عتبات الصحافة صغيرا ولح مع التطور ، الأول كسنان قاعده بناء والثانى كالمسند البناء . وحسب مع الاثنين عصر مزج وإدماج ومحور واتجاه ، ومركز إشعاع ، شاعرا لهما بين الشعراء وصحفيين أكثرهم نفوذا وكان أيضا فنانا بين الأوساط الفنية ، وكانت رسائله أن يطلق شرارة الاتصال سواء بين الأجيال أو بين العناصر للتجانس فى كل ميدان . ولم يكن الطريق مهيأ أمام كامل الشناوى الصحفي ، ولكنه تمكن بذكائه وثقافته أن يستفيد من ممارساته وتجاربته فى الصحافة ، وقد يضبط الميكنات الواحدة تلو الأخرى دون أن يكرر نفس الخطأ الذى تعرض له من قبل .

يقول : « فى عام ١٩٣٥ كنت محررا فى روز اليوسف ، لم يكن لي عمل محدد ، أحيانا أساهم فى تحرير الصفحة الأدبية وصفحة الشباب ، وأحيانا أكتب التلميحات الساخرة البهيمية ، وأحيانا أجرب باب « من قلب القرآن » وهو باب كنا نستغله فى معارضة الحزب الذى كانت الجريدة تنتمي إليه ، دون أن يقول أننا معارضون ، فمثلا كان رئيس الحزب يدافع عن وجهة نظر الوزيرة فى إرجاء إعادة الدستور فنشر الأورال ونصيحها فى إطار نكتب فى صدره هذه الآية الكريمة « استقر لهم أولا تستلهم لهم ، أن تستلهم لهم حينئذ مرة فلن يضر الله لهم » .

وكانت إلى ذلك الحين ، لا أكتب مقالات تحمل اسمي ، كنت أدخر ظهور الاسم ، لأكتب موضوعا جديدا أو حديثا فيه شيء جديد ، وفكرت أن أنشر عينة أحاديث مع بعض رجال السياسة اللامعين ، واخترت الحديث الأول « حافظ رمضان باشا » رئيس الحزب الوطنى ، وكان اسمنا ذكيا ، وإسبح الثقافة والأدب والتفريغ وبرلمانيا خطيرا .

وذهبت إليه فى بيته ووجهته إليه اسجلتى ، وفوتت إجابته بأمانة ودقة . وحملت أوراق الحديث إلى الأستاذ محمود عزمى والفرقة تكاد تقفز على ملائحي ، لقد استطعت أن أقبل شيئا ، ولذا برئيس التحرير يقول لى : « هلنا ملأ بقلم حافظ رمضان وليس حديثا صحفيا ، أنا أريد حديثا يقوم على الحركة ، والأشد والجذب بينك وبين حافظ ، رمضان باشا ، ووصفا لتلقيه السؤال وكيف يبدو وهو يجيب عليه » ثم فتح محمود عزمى درج للكتب ورمى فيه البلاورق ، وخرجت من عنده وأنا أسرح قلمي من الإحساس بالفشل وفكرت أن أراجع عن مهدة الصحافة ، ولأ أجرب حظى مرة أخرى مع الأحاديث الصحفية ، ولكنى جعلت كل قلبى وهاتلى وتملت خطوط ملاحظات رئيس التحرير ، وفكرت فى غرورة البدء على هذا على أعداد حديث صحفى خطير ، وفلا حقت بإرادتى هذه التجربة مرة أخرى ، وعادوت الحديث مع حافظ ورمضان باشا وكتبت حديثه مرة ثانية ونصحت لى الدرجة التى كان محمود عزمى يدرس أحاديثى الصحفية على طلبة معهد الصحافة ؟ نذاي ، وكان الفارق بين أن أراجع وبين القداس على التجربة ، هو أننى عرفت لماذا فشلت ، ودفعلى إحساسى بالفشل إلى إعادة التجربة » .

ولأنه أشهر من أجاد الأحاديث الصحفية وكتابتها ، فقد استعجاب له الرئيس جمال عبد الناصر ونصه بأول حديث له فى الصحافة العربية والإجنية على مدى أربع ساعات متصلة ، وقد تناول الجوار بينهما الاتحاد القومى وأوضاع الاقتصادى والاجتماعى وعصر المستقلين السياسيين ، وتمكن أن يعرف منه الكثير من الأسرار ونوقحات المستقبل .

والسؤال : هل كان كامل الشناوى حريفا ثورة ٢٣ يوليو ؟

والجواب : نعم . كان منها في حتمية التغيير . وكان معها في مواجهة الاستعمار والظلم والجهل . وكان معها في نزعتها القومية وانتماها العربي . . . وهو الضاعف الذي سقطت تراث العرب بكل ما فيه من نوة واسعة وكرامة . ولكنه في كل ذلك . كان يطنل في مثاليته الفكرية ورواسيته الشعبية المناهضة للجهل والتخلف والصنل والحرية !

يقول أنيس منصور : « كامل لم يفلح . وما كان يستطيع - أن يفلح زواجلهما بين السياسة والأدب ، وكل كاتب لابد أن يكون سياسيا ، ولابد أن يكون له موقف من القضايا الإنسانية ، لابد أن يكون له رأى وإلى يلتزم به ، وكامل الشناوى احتار أن يكون عاشقا للسياسة ، وأن يكون عاشقا للقضايا الإنسانية ، ولم يكن روجسا قط ، فليس لدى كل ما كتبه كامل الشناوى شرا أو شعرا ما يدل على أنه من لون سياسى وإنما هو صديق للسياسة ، فالصداقة أولا والثمن ثانيا ، لأن حياة كامل الشناوى هي في علاقته بالناس ، فالعلاقة هي الأخر تمتد حوله ، يعيش بها ولها وشدها أيضا » .

سأله أحد تلاميذه من الصحفيين وكان لاذع اللسان : كيف تستطيع أن تتألق كل هؤلاء الناس ؟ كيف تأتيك القدرة على أن تقبل صديقا للجيح وأنت الفنان الذي ينفعل ويضطرب ويغتم ويصرخ أحيانا في شعره وفي فنه صرخا دحيا عنيقا سيظل يجرى أيدى الدهر في سمع الوجود ؟

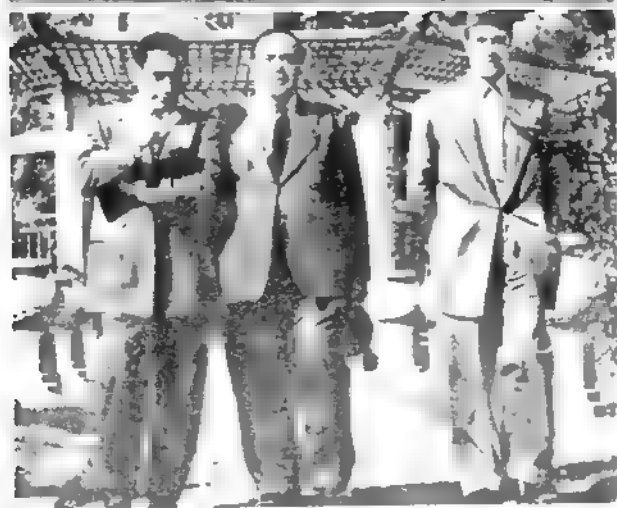
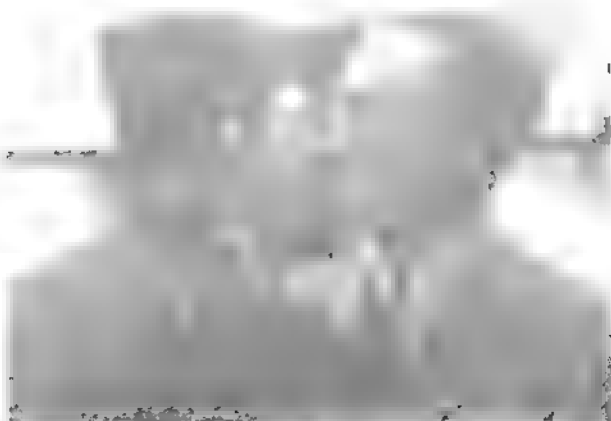
ويبدو أن السؤال كان قاسيا على الكهل الذي بلغ الخمسين آنذاك ، فقال وهو يكتب في نفسه غصبا قالوا : سموت أن أجمال الناس ، وما سمحيه انت نفاقا . . . أسميه أنا مجاملة !

وفي سبيل حله للجملة رزحت نفس كامل الشناوى تحت أثقال من المذنب ، فهو عضو في الحزب الوطني ، ولكنه في نفس الوقت صديق لأساسة الأحزاب الأخرى وهو يكتب ضد بعض مواقف حزب الوفد ، لكنه يؤمن بأنه حزب الاقلية ، يشهد العدل والمعادلة الاجتماعية ويدافع عنها ولكن نصف دفاع ، فلاحق بالاشتراكي المسمى أو الاشتراكي « الفاي » ولاهو مناخيل يمرض نفسه للسجن والاعتقال وإن مد يد المساعدة إلى أمر المستقلين من الثوريين لذلك أنصف الإيمان ، وكان يخوض المأزق عندما يكون الجو ممهدا ويكون الصدام بعيد الاحتمال ، ولما منع من مسودة المأزق إذا ماتت الفرصة وضمن الأمان - وهو ما يفسر موقفه من احتضان التقدميين والاشكاز التقدمية إبان رئاسته تحرير الجريدة المسائية - عندما ضمن صاحبها أحمد حسنة بلشا حمايتهم وكان صاحب تولد التصادى وسياسا !

يصف أحد أسدقاته موقفه السياسي فيقول : « ذكاه كامل الشناوى يلتقي في صيغة « الذكاه العلم » للشعب ، فلقد خاض الشعب المصري عبر تاريخه الطويل آلاف المأزق ، وشهد عشرات الفزاة والمخاطب ، ولم يزل الشعب ولم يستكن ولم يهدأ ، بل ظل يقاوم ويتأصل ، وذهب كل الفزاة ، وبقي الشعب . . . ذلك لأنه أترس ألا يسفل معركة حساسة مع أعدائه قد تنتهي بإيادته » .

وكامل الشناوى برغم مأخذ حصومه كاتب وطنى شريف ، فخطار أن يقف مع الشعب ومع أمانيه وآلامه ، وطموحاته إلى العدل والاستقلال ، وحل يمتي جيلنا حلقه الشعبية الشهيرة التي تردد صدىها في طول مصر وعرضها عام ١٩٤٩ ، عندما كتب بطول مسامحة « صديق - يفرغ - تحت عنوان « الصها » ولا أولها » .

لقد أيدت الجريدة التي كان يعمل بها اسماعيل صديقى بلشا في فوضى المساعدة وكانت لازال مشروعا . . . لكن كامل وقف في وجه أصحاب الجريدة بقوة ، وانبرى



يعارضهم على مطالبات جريدهم ، ويمنح الشعب الى رفض تلك المباحة التي كانت قيدا جديدا يكبل حصر .. ولم تكتمل مؤامرة المباحة وماتت قبل أن تولد .

وكان حصوم كامل الشناوي في السياسة وغيرها ، يحشون مقلاته الهجومية وسخرياته اللاذعة كدفع النبلان ، فلذا ما التي بهم بعد ذلك ، يبادر الى ملاطفتهم بطرفه ونكته وجديته الملعب ، وكان هذا أسلوبه المتمكن في التراجع القليل النظم من خصومه قبل أن يصلح الصدام والاحتجار ، وهل ينسى الوسط الصحفي مدى كراهية صلاح سائمه لكامل الشناوي عندما كان وزيرا للأشغال في بداية ثورة يوليو ، وكيف تحولت العلاقة بينهما الى صداقة وصحة وثقة .

كان صلاح سالم قد تولى رئاسة مجلس إدارة جريدة الجمهورية في السنوات التي كان كامل رئيسا للتحرير ، وبوجي صلاح سالم من كامل الشناوي وفكره في أن ينتار اسما كبيرا يوضع فوق اسماء رؤساء التحرير ، فلذا يكامل ييسر ترشيح طه حسين لهذا المنصب .. وغدا كامل بعد ذلك كل شيء عند صلاح سالم . وفي عام ١٩٤٤ تولى الحكم الدكتور احمد ماهر باشا ، وكانت هذه اول مرة يصعد فيها احد المنتقبي على الوفد الى منصب رئيس الوزراء ، وكانت مناصبه اقام لها احمد ماهر حلا صالحا في بيته احبته لم كلشوم وحضره الملك فاروق ، وكان الملك قد سمع بمهارة كامل الشناوي في رواية الشعر والطرف وتقليد الاصوات ، فطلب ان يلتقي به كامل وكان من الحاضرين ولعجب برقته وسديته الضاحك ايما إعجاب .

ولما علم الملك في هناك انجبا الى ترشيح كامل لعضوية مجلس النواب ، أمر بان يكون ترشيحه في دائرة « الوعتران » ، وهي دائرة تتبع أوقاف الخاضعة للملكية ، كان الملك يملك فيها الارض ومن عليها ، وتيج كامل الشناوي نجاحا سافقا .

ولما وقع الإحيار على عشرين صحفيا للانضمام عليهم بالترتب ، كان كامل واحدا منهم ودال « البكارية » ، وكانت له سخرياته ونكته اللاذعة على الرتبة ، وكان يفضل على وبار الأنجلو ، وصيغ في جلساته « وصح يا فتني انت وهو تساعدة البية » .

ثم نجد كامل الشناوي - بسيد ذلك - لا يستسلم لمحاولات شرائه بالرتبة . حيث يبرز دوده في معركة من معارك الحرية عام ١٩٥٠ عندما حاول الملك أن يورد تشريعات الصحافة في مجلس النواب ، ويعمل كامل الشناوي قلبه كالمضغ يتصلصق للمدون على حرية الرأي ، وترغم حملة القلم خارج مجلس النواب ، وكانت معركة رهبة من معارك الشعب لتتصرت فيها الحرية .

ويظم البض كامل الشناوي عندما يحشون كتاباته وأفكاره وسلوكه تحت مجهر التراب السياسية والايديولوجية لانه فنان أولا قبل أن يكون سياسيا . ويظلمونه مرة ثانية عندما يتهمونه « بالزاحية » ، فلم يعرف عن كامصل الكتاب السياسي ذله وقت يوما بقلبه ضد ابرادة الشعب وضد أمانيه . بل كان دائما مع الجديد من الأفكار والتغيرات السياسية .. وكان مزاجيا فقط فيما يتعلق بذااتوه وطفله وعلاقاته بالمراة والناس .

ولقد قيل انه لم يكن يقبل على العمل الصحفي ولا يسطي اليه كثيرا ، ولذا صحح حلا . فقد كان لكامل الشناوي طاقات وقنوتات انسانية ولطافية تمثل عصفرا رئيسيا من عناصر محبة العمل في أي مكان ذهب اليه ، لقد كان ينشر البهجة أينما ذهب ، وذلك يجعل الصحفي والكتاب والاديب وعامل لطيفة ينتج في يوم واحد ما ينتجه في يومين بلا بهجة ، لقد جعل كامل من البهجة حافزا من حوافز الإنتاج في كل بيئة مسها وعمل فيها .

ويعرّفه سؤال .. هل سميت الصحافة كامل الشناوي على حساب الأمل ؟

يسول الكاتب الأدبي صلاح حافظ ، وهو من أخلص أصدقائه وتلاميذه .
 « كان يمكن لكامل الشناوي أن يترك تروية من المسرحيات والروايات والكتب لو لم
 تستعزف طاقته في الصحافة ، وقد كان هو القضية الأولى لهذا الطريق الذي شغله
 لنفسه ، فغادر الحياة وليس له في المكتبة إلا ديوان واحد من الشعر ، على أن الأدب
 قد كسب في الواقع من كامل الشناوي أكثر مما يوحى هذه التساوية ، فالصحافة في
 بلادنا كانت ولا تزال تمثل للنبر الأول للادب والثقافة ، ومستظل للوقت طويل تقوم
 بهذا الدور الذي يقوم به الكتاب والمسرح في البلاد الأكثر تقدما ، ومن هذه الزاوية
 فإن كل ما كسبته الصحافة من كامل ، قد انتقل تأثيره بصورة أو بآخرى إلى عالم
 الأدب ، وكثير من الأدباء اللاحقين اليوم ، أخذوا عن الانتاج الصحفي لكامل الشناوي
 كثيرا من أسرار الصياغة الفنية ، والنقطة ، وأساليب التعبير ، وأخذوا ما يستر الناقد
 في انتاجنا الأدبي الحديث على نسيج يخلو من بعض خيوط مفرشة منه » .

لقد عالج كامل الشناوي خلال عمله بالصحافة كل ألوانها ، كتب المقال ، والقصة
 القصيرة ، والخبر ، والحديث الصحفي ، والتحقيق ، فأذا بكل هذه الألوان من
 الصحافة نتحول على يديه إلى ألوان من الأدب .

كان الأدبي في يده يفرغ نفسه على السطور .. وانعكس تأثيره على كل هذه
 الألوان من الكتابة الصحفية ، فلم تعد كما كانت قبل أن يطرأها .

لم يجد الحديث مثقالا وجوا . وأما صار حورا ذكيا ، له بناء يعصمه وصفا
 وتحليلا وإحداثا .

ولم يجد التحقيق الصحفي بلاغا بالأحداث ، وأما صار رواية فنية ، تلقى الضوء
 على الإنسان في علاقته بالحديث ، وتحاول أن تنصق إلى ما تحت سطح الحقيقة
 الظاهرة .

حتى أخبار الجرائم والمحاكم ، تحولت على يد كامل الشناوي في « الجريدة
 المسائية » إلى قصص إنسانية جادة ، عميقة الدلالة ؛ الأمر الذي دفع معظم الصحف
 في ذلك الوقت إلى تخصيص « صفحة قضائية » تسير على نفس المنهج .

هكذا تنفس الأدب في كامل الشناوي ، ولكن على صفحات الصحف والمجلات
 وبالشكال الكتابة الصحفية وألوانها .

طاقته الروائية أطلتها في التحقيق الصحفي ، وطاقته المسرحية أطلتها في
 الأحاديث ، وطاقته القصصية أنفثها في صياغة الأخبار ، وطاقته الفكرية والفلسفية
 أنفثها في الكتابات السياسية والتعليقات .
 فهل كان ذلك كله خسارة للادب ؟



● وكامل الشناوي قام في الوسط الصحفي والأدبي والفني بدور آخر أجل
 شأنًا ، كان يساعدها يزرع الورد ويسقيه ويرعاه ، كان عاشقا من أخلص عشاق
 الدبور إذا وجد في إنسان شمة منه ، عندئذ يتجلبب إلى حبه ويتفتن بنبوغه ، ويضع
 يد صاحبه عليها حتى ينطق ويتفهم ، وما من موهوب في مصر خلال ربع القرن الذي
 انتهى برحيل كامل الشناوي إلا وكان له فضل « قصيدته » قبل أن يعرف الناس ، أو
 وسواء أكانت هذه الموهبة جمالا في العقل والوجدان ، أو جمالا في الصوت ، أو
 جمالا في الوجه ، كان يتحسس لكل موهبة حساسا شديدا بلا حدود ، ويتحول للموهبة
 عنده إلى أغنية يرددتها في كل مكان ، يتحدث عنها ويكرر الحديث ، ولم يكن يسام
 التكرار حتى لاخذ الموهبة حلقا وتناقى ؟

بالطبع هناك كثير من الكتاب والمصحفين، يتعمدون بمضي الواهب في وقت أو آخر .. وتلك سنة الحيلة ، لكن كامل الشناوى كان مختلفا عن الجميع في فهم معنى « رعاية الواهب » .. كان يفهم هذه الرعاية فهما علميا عميقا خالصا ..
الاديب النافذ مثلا يحتاج الى كتب ، اذى فليست له هبات الكتب ، حصة لا ترد .

ثيابه ليست كما يجب ، يصحبه اذى الى التريز ، ويكسوه كما يجب .
ليس له مسكن . تخصص له احدى غرفه في بيته يعيش فيها الى ان يجده مسكنا .
لا أحد ينتشر ابتاعه ، ينتشره اذن كامل نفسه . فلذا رفضت الصحيفة ان تنطق
دلع هو من جيبه . وانفى السر عن الاديب النافذ .

وهذا ما حدث لصالح حافظ في قول لقائه مع كامل الشناوى ، اصعب بالتصعب
التي قدمها له ، ولم ينشرها في صفحة كاملة من « الجريدة المسائية » على حساب
صفحة الادب ، ودفع له الاجر من جيبه الخاص ، وجعله يعتقد انها من خزانة الجريدة
.. وكان موقف كامل منه انه صاحب موهبة ، ولاهم بعد ذلك اختلافهما الفكري أو
للموقف السياسي لثيابه ، وكان حال صلاح مع كامل الشناوى هو حال الشاعر
اليسارى كمال عبد الحليم الذي طالب بعض أعضاء مجلس الشيوخ باعدامه بعد سقوط
ديوانه « اصرا » .. يشتري منه نسخة من الديوان ومجلد قصائده بصوته وبخلفية
موسيقية لبتوفز ، فكان يدير جهاز التسجيل كلما دخل على مكتبه الزوار ، وكانوا
يصحبون بالقصائد ويستمعونها ويقتنونها كلها لكمال الشناوى .. فاذا به يقابلهم
باسم الشاعر المصور ويوزع نسخا من ديوانه ، ويظل يردد أشعاره واسمه في
كل مكان ينحسب اليه وفي كل صهرة من صهراته .. حتى ينتشر اسمه ويفسق له
طريقا الى الشهرة .

ولم يكن كامل الشناوى يفرق بين موهوب يسارى أو موهوب يميني ، فالمهم
عنده أن تكون الموهبة فنية وواقعة ، ولهم كذلك ان يكون مطبوع الموهبة والسألا
ووطنيا .

يقول : « الفن الاصيل شجاع وعيد .. لأنه يستطيع وحده أن يقتحم المخلود ،
ويتحدى الزمن . وهناك قاعدة قديمة تقول ان الكثرة تغلب العجاجة .. ويمكن تطبيق
هذه القاعدة في مجالات كثيرة الاجيال الفن .. والفن في »

والطابور الذي خلقه وراءه كامل الشناوى .. طويل .. طابور من الواهب
الصاعقة والمواهب التي صمدت بالفصل سلم الشهرة والانتشار والابداع والخلق ..
ومن أسماء الطابور التي شق لهم الطريق ، نور الهنى وعبد الحليم حافظ ، ونجاة
الصغيرة ، ويليخ حسنى ، وسعيد أبو بكر ، وفي الصفحات محمد حسنين هيكل
وصالح حافظ ، وكمال اللامح ، ولحميد رجب ، وسعيد سنبل ، وحسنى لؤاد وسن
الرماني طوغان ويوسف فرسييس وجورج وايهاب ، وفي الادب يوسف اندريس
ود . مصطفى محمود وكمال عبد الحليم ، وسعيد الفيتوري ، وصهيي يسيمو و ..

يقول مصطفى أمين : « لم يكن كامل الشناوى مستظيا فقط ، ولا شاعرا
فقط ، انه قبل هذا السان فيه من « الانسان » صفة ممتازة ، وهي انه كان يحب أن
يبدع يده لكل من يصو على مسرح المصطفة أو الفن أو الادب ، ان كامل هو « الامير انذرو »
التي اكتشفت كثيرا من النجوم ، واعطاهما اهتمامه وتأييده وتفصيحه ، وفتح لها
الابواب للانطلاق ، وكثير من الكفايات الشبابية التي نراها اليوم ولدت في مكتبه وفي
صهراته ، وفي صالونه الادبي للتفكير ، ولكنه في هذا التفصيل مثل قلبه وهو »

يسلط الأنوار على اللوحوب ، حتى إذا عرف واشتهر ونجح ، راح يبحث عن موهبة مدفونة ، ينفذ عنها التراب ، ويسريها من تحت الانقاض ، إن شاعر الحب لا يستطيع أن يستقر على هوى واحد .. والا لما نظم طول حياته سوى قصيدة واحدة ! »

وكما كان كامل الشناوى مهيأ للواجب القضاة ، فقد كانت قاعدته مهبل جبة ، كان يسم في وجدانهم وأفكارهم الشابة تسائم الجديد ويشائر المستقبل الزاهر ، ولذلك كان متجسدا دوما ، يجلس مع الشباب وتكتشف أنه متجانس معهم ، ويجلس مع أبناء جيله وتكتشف أنهم ميقوء في العصر وسبقهم إلى المستقبل .

يقول الدكتور عبد العظيم أنيس : « في كثير من الأحيان كنت أسأل عن سر كامل الشناوى الذى استطاع أن يعيش بلا غربة من كل هذه الأجيال ، فأخس أن سر هذا الرجل النقى لا سر غيره .. هو للحية .. فلم يعرف الحق طريقه إلى قلبه ، وهكذا عاش أبنا بلدا لهذا الشعب ، مؤمنا بقضاياها ، محبا لتراثه متجاوبا دائما معه في كل قضية من قضايا الفكر والتطور والحرية ، ساعيا بالخير دائما إلى الساس ، فسمى جميع الناس بالخير إليه » .

وهكذا ظل كامل الشناوى الصحفي والأديب والإنسان ، أبنا للعبية وعبدًا عاشقًا لها .

كان من فرط حبه للعبية يصنع الإحياء ، وما تشجبه للناسخين وأخذه بيد كل موهبة ، إلا أن من تلك الصناعة ، قبلًا من أن يصنع الشعر كان يفضل أن يصنع شاعرا ، ويدل على أن يصوغ قصة كان يصوغ قصاصها » .

كان يفضل - على حد تعبير الدكتور مصطفى محمود - « أن تكون ملاته دائما الحياة ذاتها .. لا السطور ولا القوافي ولا الكلمات .. قلنا نقول الكلمات في النهاية أنها في غايتهما لن تكون أكثر من خادمة للعبية ، فلياذ لا يكون في حمة السيد بدلا من أن يكون في حمة السيد » .

وكان كامل الشناوى يردد : « إن الصحافة انحطت وسائل الاتصال والتتقيف في شمع نسبة الأميين فيه تقوى للمنطقين . ولذلك كان اختيار الصحفي المناسب لهذه المسئولية واجبا خطيرا يقع على عاتق القيادات الصحفية . فلا تجوز المجاملة على حساب الواجب الوطنى والأمانة الصحفية » .

ولأن كامل الشناوى ظل عاشقا للحرية .. مدافعا عن حرية الرأي . من هنا كان يحكم منصبه رئيسا للحرير يدافع عن رأى الآخرين كما لو كان يدافع عن رأيه وإن اختلف مع هذه الآراء ومع أصحابها ، وكانت جرعة الجمهورية في عهده منبرا لاختلاف الآراء الوطنية والتعصمية حتى أقصى اليسار .

ويقال إن كامل الشناوى لم يكتب سياسة بعد ثورة ٢٣ يوليو . وإن ما كتب من مقالات سياسية في هذه المرحلة كانت رؤية فنان للحدوث وأدبا سياسيا وقد يكون لهذا الرأى بعض الأهمية فقد انهارت العروش وتحولت الحرية والاحزاب وخرج الاستعمار من البلاد .. وتطلعت معالم الحياة الألمانية والاشكالية الليبرالية .. وتبدلت القضايا والأجراء التى عايش فيها صحنيا ولم ..

لكن أهمية كامل الشناوى الصحفية - برغم ذلك - أصبحت انحطت .. أنها أهمية وجوده نفسه . فإلى جانب مناخ الحساس والتفؤل الذى كان يشهده في كل مكان يعمل فيه والذى يمثل دوافع العمل وخوافز الإنتاج . كانت خبرته أيضا مطلوبة وجاهرة للأجيال الصحفية الحديثة التى تخرجت من الكليات والمعاهد دون أن تتسلح بالخبرة الصحفية والتجارب الميدانية .

لم أن كامل التناول فوق هذا وذلك . كان يمثل أحد عناصر التوزيع للجرائد والمجلات التي يصل بها . فكان يسهل قراءه ورأه حيثما انتقل وكتب ، وكان الملتون من رجال الأعمال وأصحاب المجلات والمصانع والمنتجيين السينمائيين يصرون على نشر اعلاناتهم في اليوم الذي يكتب فيه . أو بجانب المكان المحدد لمقالته في الصحيفة .

وكان يعني دائما بأبواب الأخبار وهو المخبر الهام الذي تفوق على كل المخبرين في عصره وأوانه . فكان يهتم في الخبر بمناصره الاساسية وطقة مصادره . وحسن صياغته . وكانت هوايته صياغة الأخبار بنفسه حتى بعد أن أصبح رئيسا لتحرير .

وأكثر ما كان يهيمه هي الرسائل السماوية جانب الأخبار وأنباء الأولي فيهما ولغة الحديث عنهم وكان يرشدنا الى مواطن السحر والبلاغة في لغة السمر والأخبار التي أنى بها القرآن الكريم . وعافيتها من وضوح وتحديد وتشويق ونهايات ا

شاعر الحب .. وطيش الكهولة



● وصف الأستاذ عباس العقاد كامل الشاوي بأنه « شاعر العصر وأوقع راوية
بشعر على الإطلاق » وقد انفراد بين شعراء عصره برفعة الكلمة المسقة - التي
جاءت ثمره لو من الشعر ، وجبال القصيدة المنظومة التي جعلت شعره المعاصر لونا
من الموسيقى - أما شعره الوطني فكان إيماعا هادرا بالجمال والاقدام والأمل - ولعل
قصيدته « أنا الشعب » التي شددت بها أم كلثوم نوصح بجلاء خاصيته الشعرية
بتميزة في هذا المجال

على باب عصر ، تلق الأكف ، ويطر الفجيج

جبال تنور ، رياح تنور ، يحار تهيج

وتصفي ، وتصفي

فتسمع بين الفجيج سؤالا ولئ سؤال !!

وتسمع

فتسمع بين الفجيج سؤالا ولئ سؤال

أين ؟ ومن ؟

وكيف إذن ؟

نعم .. كيف أصبح هذا الحال

ياقصي مناه

.. حقيقة شبيب

غراه الطفلة ، ولئ طفاة

أصجرة مألها أنبياء ؟

أدورة أرض بغير فضاء ؟

وفي قصائده المأطية - يكاد المرء لا يحس انه يقرأ شعرا ، وانما حكايات مستقلة ،
حتى لكأن حروف المطبعة تنوب امام العين لترسم مكانها علامات موسيقية يطل منها
كامل الشنأوى وهو يروى حاله مع الحب والمحبوبة .

في قصيدته الشهيرة « لا تكذبى » يصور كامل الشنأوى مأساته مع آخر
محبوباته في رقة والم يصغر قلبه ويسقيه دموعا ولوعة :

لا تكذبى ..
انى رأيتكما مما
ودعى البكاء
فقد كرمحت الأدمى
ما احزن اللمع الجسور اذا جرى
من عين كاذبة
فانكر وادعى !!



انى رأيتكما
الى سمحتكما
عيناك فى عينيه
فى شفثيه
فى كفيه
فى قلبيه
ويداك ضلوعتان
ترتمضان من لهف عليه !!
تحديان الشوق بالقبيلات
للذعن بسوط من لبيب !!
بالهسس ، بالآهات ، بالنظرات
باللمعات .. بالصمت الرحيب !!



ويشب فى قلبى حرق
ويضيع من قلبي الطريق
وتظل من راسى القنون تلومنى
وتعد أدلى !!
فلعلنا باركمت كذبه كذبه
ولعنمت هنى !!



ماذا أقول لأدمع صفحتها ادواتى اليك ؟
ماذا أقول لأضلع مرقعتها خوفا عليك ؟
أقول هانت ؟



أقول حاتم ؟
أقولها ؟
بوقنتها أشعني غليل !!
ياويلي ..
لا ، لي أقول أنا ، فقول ..

لا تخلص
لا تفرغي مني
فكنت بئائر .. !
انقذني ..
من ريب إنساني وفقر بشاعري ..
لرايت أنك كنت لي قيما
حزبت الصبر إلا أكسره
فكسرتني !
ورأيت أنك كنت لي ذما
سألت الله إلا يفره
لفارته

كومي كما تبغين
تكن لي تكومي .. !!
فأنا صمتك من هواي ، ومن حوتي .. !!
ولقد برئت من الهوى ومن الجنون .. !!

• أجمع الشعراء والمقاد على أن كامل الشناوي برغم القصائد الوطنية الجديدة التي نظمها يستحق عن جدارة لقب « شاعر الحب » ، وذلك أن الحب كان دائما طمأنينة وهواء وممجر حياته .
وعندما دعا الشعب في نصيحته الوطنية إلى كراهية الانحطاط « تعلم كيف تكبر » ، مكنها كان يحرص نفسه ، ويحاول أن يحبرها عن شيء لا تعرفه ، فهو قد حاول طول حياته أن يكره .. ولم يستطع !
وكان كامل الشناوي تكب في كل أغراض الشعر ، وصفا ، ومدحيا ، وحباسا ، ورثاء ، ولكن الحب استحوذ على معظم اهتماماته الشعرية .
ولأنه لم يتزوج قط ، كل شعره أداته ووسيلته ، يستطعم به الجبال ويتغنى به الحب ، فإذ لم يسفقه ألوحى والخيال شعرا ، استعان بلحمته الشعرية ، وهي رسائل الحب التي كان يبعث بها إلى آخر مشبوقاته ! وكان يكتبها تحت عنوان « ساعات » في الصحف التي عمل بها . وفي قصاصات أوراقه الخاصة التي صدرت بعد وفاته في كتاب « حبيبي » التي ضمت عددا من رسائل الحب التي كان يبعث بها إلى آخر مشبوقاته !

ولأن كامل الشناوي صحفي لامع ، لذا كان شعره ونثره بجذان طريقتيهما

صريحا الى النشر والانفجار ، ليس فقط في وسائل الاعلام ، ولكن ايضا في صالونه
الادبي الذي كان ينتقل منه في مهراته وسجلاته . ومن هنا كان قرأؤه وأصداؤه
يعرفون أولا بأول . آخر تطلعاته ، هل ويكادون يتبينون اسمه محبوباته ، وما وقع
بينه وبينهن من لقاء وصفاته ، وحبر وجد ، وانفصال وقضية .

ولتر كامل الصباوي الأدبي ألوف من القصص القصيرة جدا ، والخواطر
والنماسة ، والتأملات الفلسفية ، والحوارات الذكية . ولد أضفى عليها من شاعريته
موسيقى وعذوبة ورقة وأناقة واتلوة .. حتى تكالها نثر منعم كالأنثى البديع .
كتب نصف انصاله بالجمال في إحدى تفرجات الشعرية :

« لئلا أين يقودني الجمال ؟ وهل الناس جميعا مثلي . يذهبون اذا رأوه ويذهبون
اذا احتجب عنهم ؟ »

« كم أعاني من الفسالات به . انها تثير في نفسي اللقلق ، والرغبة ، والرغبة ،
وكم الهيتني هذه الانفصالات وأضرمت النار في دمي ونبضي ، وما حاولت يوما أن
ألزم منها ، فهي مثل الحيلة كشينا ، ولكننا تعرض عليها وتكتسب بها ، نعرضها
لنحيا ، ونحيا لنمارسها ! »

« انسى أحب الجمال ولو تحول الى خنجر يسكن ضلوعي ، يجرول خيها ، ويتلوى
وينفخ ! احبه في فكرة ، كلمة ، نظرة ، لفظة ، شروق ، ضباب ، حقيقة
خيال ، بحر هائج ، رياح عذبة ، نسيم غميق ، نضرة تنساب من حجرة ، أو آلة
موسيقية ، أو كعب حله ! »

« ولاهتني .. فقد اهتز كيائي ، وأنا أسمع صوت حله عال يسر بجاني ،
ووجدتني يشير ارادة ، اتجه اليه بقلتي عيني .. كان يضم قدمين صغيرتين ، تمهدان
لساتين رشيقتين تترتا بعبور من الحرير .. ملوحا قوام يثنى بشفة في فستان
يصلح برد الشتاء .. وقد يرز من القوام صفو جنب يلو ويهبط في خنجر كيناي
موجه ، أو ضوء شمسة ترفست لتسمة هابرة .. وقد بدأ على الصرعة من اللؤلؤ ، وضج
فيه نهدين مترحان ! ولعل قوله عبق مدفوق يحس التصبير عن لفتاته بسبحر
وليلاته .. واستسلم المنق لوجه ياهر القصبات ، اكتسى بحمرة الورد ، ويسباض
المرمر .. المينان ورقاوان ترقرق عليهما أحداق سوداء ، والنخل ينضبان بالحرارة
كفيلة الفراق ! والأنف دقيق ينسحب الى الشفتين في كبرياء ، والفم ملي بالرقصة
والأذنان الرقيقتان انسلت عليهما حصلات الشعر الناعم الأسفر لتغطي الأذنين
وتحجب عنهما صيحات الاصيل ! »

« اختارت الفتاة إحدى اللوات . وجلمت ، وانتقلنا اليها بنظرنا وألماسنا ،
كان فوق المائدة مصباح القصب يتلألأ برؤاه . انه لا يرسل أضغته في صمت كهذا
للمصباح الجاثم فوق مائدتنا .. ان الحواء تكاد تصرخ ، وتريد .. فالنور المنبعث
منه يتمايل ، ويترقع .. »

« كانت وجدا .. هكذا رأينا ، عندما مضت أمامنا ، وعندما جلست بالقرب
عنا .. وكنا مسمعا صوتها ، هل تحت نضها ؟ وكيف رمتنا مائدتها بأعيننا ، فوجدنا
مبها نضها .. ولم نتعرف بوجوده ، لمحيث يكون الجمال ، لا نستطيع أن نتعرف
بغير الجمال ! »

يقول مصطفى أمين في كامل الشناروي المالحق : « كان يرغم بذاته سريع
الانتقال ، وخصوصا في حبه وهواه ، فله مثل برامج السينما التي تتغير كل اسبوع ،
وكل رواية تعرض على شاشة تليفه هي « آخر صبيحة » وهي « أقوى ما مرضى حتى
الآن » ، هذا لتلقى مرضى الفيلم ، لرؤى الكلام الجديد تنس الثوب ، وتلقى نفس



الأرسية والتياكسين ، وفي الفترة التي كان يحب فيها كامل الشناوى ، يستسلف المحبوبة بكل الأوصاف العلوة والتموت الضخمة . ثم يتبدل الاستوار عن المحبوبة فبات . ونزل مكانها المحبوبة الجديدة ، وهكذا كان قلب كامل الشناوى مثل جمهوريات أمريكا اللاتينية ، مليئة بالانقلابات والتغيرات .

والإنسان مطبوع على الحب ، طغلا وحسبا وشلبا وكهلا وشوها . وكامل الشناوى عرف الحب منذ كان صبيا وكنت أحر محبوقته وهو في مصحة للكهولة . ورغم ذلك نال فيها شهرا شابا منها . وسبها نورا صارخا كضربات ملاك .

من موقته من الحب .. قل كامل الشناوى : « الحب شوق وحرمان . لهفة دائمة . مذهب ولكنه يطلق . الانفصال فيه ليس كالانفصال في كل الأشياء . فلذا وجدنا مانسى اليه كان في هنا بجانبا .. لما هو فعل عكس ذلك .. فلذا وجدناه وحسنا طوي . بمعنى ذلك أنه خلب . والحب ضروري للإنسان . والأديب لو الفطن انسان كبير . لأن للحب بالقضية اليه ضرورة كبيرة . ومن هنا كان لزاما على كل اديب وفطن أن يحب . ولحببت مرات ومرات ١ »

ومن حبه الاول يقول : « لست اذكر على وجه التحديد كيف كانت قصة حبي الاول . كل ما اذكره اننى كنت صبيا لم اعمل بعد مرحلة الشباب . كان حبي ساذجا لم يفته الى غير الشوق والتنهال . كانت تربطني بها اواصر قري . كما نلتقي في منزلنا أو منزلها كل يوم . أحببت نوحها شعورا غامضا . وجدته يلمعني اليها وفي نفس الوقت يبعثني عنها . كنت اتناها زوجة .. ولكنى كنت لتعجب ان أحسب لها بكلية حب واحدة . كان الحديث يدور بيننا قصيرا جدا . وحركت هذه الحادثة شيئا حلوا جيلا في قلبي كنت نسيته لأن السيون حولنا كثيرة . كنت صبيا صغيرا لم يقل يخشى الحب .. وفقرتها . و .. ولما كبرنا التفتينا بمسألة ، جيمعنا المفاجأة المحسنة في منزل الأسرة بعد سنتين طويلة من عدم اللقاء . كانت حبيبتي قد تروجت وانجبت . ولما لمطقت حادثة صلاحتها بما كان في نفس نوحها وأنا صبي - قصصت عليها شعوري زمان . وضجعت هي الأخرى من هولجس نفسي ، وقالت انها كانت تبادلي نفس المشاعر والأحاسيس في ذلك الحين . ولكن الوقت قد فات . وهكذا دارت بي الأيام دورتها . وكما أحببت في صباى أحببت في شبلى .. وإلى الآن مازلت لتعجب بالحب . ولم تكن في شبلى سعيدا بالحب . ومن هنا يمكن الاجابة جلي السؤال : هل أنا في كهولتي مع الحب .. شقي أم سعيد ؟! »

ذلك كل اعتراف كامل الشناوى يوما علم ١٩٦٠ . حب الصبا المكموم الذي ضاع . وشقاء شبابه بالحب .. لماذا بقى له من مؤلات الحب في كهولته ؟

في طبيع الحب في مرحلة الطفولة والصبا .. لذلك لم مفهوم في سيرة كامل الشناوى .. فربما كان السبب يرجع الى بيئته القهنية ونشأته المحسنة في الويف . وربما كان لبداهته والاطواء نقل فيها حدث . فمن هنا لم يحب ولم يشع منه الحب في ذلك العمر الخفى ؟!

ولكن كيف يشقى الانسان بالحب في مرحلة الشباب والطفولة . ولذا نعمل مرة في الحب . فما يصير تجاربه الملكية مع غيرها وغيرها من المحبوبات ؟!



« الفاصل عن كامل الشناوى فيما روى عن نفسه ، وفي روايات الذين خالطوه في مرحلة الشباب ، أن أول حب قاهرى في حياته كان زمقه علم ١٩٣٠ ، ومكافئه « الماشى » وكان اسم المحبوبة « مسوزيل » س « وكان كامل الشناوى لا يزال في مقتبل العشرينيات .

كانت « س » آية في الجمال والرقة . رقة الرد والصوت والسلوك . لكننا
تخطط فيها الكلمات العربية بالفرنسية فتتحوّل على شفتيها موسيقى وسحرًا !
ذهب إلى خالها يتلقى على يديه دروس اللغة الفرنسية استمتعنا لدروسها
الحظوظ في السويون . والفتى بها عدة مرات على انفراد . ويحث من التسلط
ذاتها كما تسلط في الأزهر . . ولم يجد ليلته سوى لوحة ريفية لا شرقية ولا غربية .
ولكنها مريخ حضاري لريد وليل . . كانت قطعة من الفن والجمال . من الطبيعة
والخيال . كلمتها تصريد . وبسكتها نسلم . ونظرنا ضياء البحر . .
لقد غيرت « س » من نفس كليل الحلق لشيء كثيرة . ووفعت بكلماتها أشياء
أخرى . طلب الأزهر ابن أحد كبار الأطباء . وابن أخ شيخ الأزهر ، أصبح شابا
« مسبور » . خلق من قلبه الصامة قبل أن يخلعها عن رأسه . سمع منها لأول مرة
عن نظرية « دارون » . والسبعة الصيفية الخلية ليتوهفن ، وعلمته أصول
« الإتيكيت » . وفصحت لسانه انقاعا على دنيا جديدة !

وليتقبل موافقه معها من طارفت . كان أول الأمر يسير معها فسيبها ويسرع
ليجدها وراءه كمادة الرجال مع النساء على مثلته . وإذا قابلها أحد من رفقاء
ليتمد لها . . فتناجيه فيأتي خجلا كفه فيمضي موقف شلق !
ورأى الرجال في عائلة « س » يقولون أيدي النساء وفكر في أن يقلعهم . وعندها
التي بها نسي نفسه وهو يقبل بها . فهم يرفع يدها إلى جبهته كما يفعل عائلة مع
والده والولد وعمة . ولكنه أدرك حرج الموقف سرعة وتوقف . .
يسكني الأدب عباس حضر . وكان زميلا لكلال الشنناوي في الأزهر . .
كيف لعب هوى المعادي دور « الحاسم في حياة ابن الشيخ الشنناوي . : أكثر الناس
تأثيرا في تربية كامل الشنناوي وتكوين شخصيته . وألمح . ثم جبهة المعادي . .
كانت أسرة والدته على غنى ونفوذ . كان شقيق الوالدة محمد منسعيد بك مدير
الشرقية والشرقية ، وهو من أوائل المديرين الذين حلوا محل المديرين المتجربين . وكان
المدير « كليل » يشعر باعتزاز وفخر بهذه الأسرة ذات النفوذ والمضي . ولكن الوالد
كان حريصا على أن يجعله يدرك القيم المتأصلة التي تقوم عليها أسرة العلم والدين .
كان يقول له : « إذا جاز للإنسان أن يتباهى بشيء فإني به أن يتباهى برجال يفيضون
على الناس بلهذاية والمعرفة . لا برجال يظلمون الناس . . ويلغفون أموالهم . . وكان
للكل أثره في نفس كليل من حيث تقديره للنفس وتفرقة اليهم . فكان أول ما يجيبه
في الإنسان ذلكاه وكبريائه ولا يهم بعد ذلك أن يكون غنيا أو فقيرا !

أما دور الأنس « س » محبوبة للمعادي . فكان لها أقوى تأثير في مجسري
حياة كليل الشنناوي للشعب . لقد شفت بها وشغل حتى من دروس حالها في اللغة
الفرنسية وهي مواصلة الدراسة في فرنسا . وغرق في الشعر وغرق في الحب . وحس
الأزهر بعد أن خلق السامة . وانخط له طريقا مختلفا في الحياة والعمل . . ولقد
سارح كليل حبيبته بأنه لا يفكر في الزواج . لأنه كان يعتقد أن وجوده في الحياة
مشكلة لم يحل ولا يطعم أن يصل إلى حل لها . . فلا يريد أن يتجرب مشاكل أخرى
كان يقول : « كثيرا ما سألت نفسي عندما أصبح شبيها محطما . . هل أواجه
فيديوشتي وأنا أتوكل على عصا ؟ أم أتوكل على زوجة ؟
ولم أتردد في أن أمتني . . تبينت أن تكون لي عصا ! » .

وكامل الشنناوي كغزل في محبوبة الصبا يشعر مزيف لا يميز عن نفسه . .
كان تقليدا وترديدا لمحتلى والفاظ الغزل التي تقرأها في شعر الشعراء . شكا من الهجر

وهي ثلاثة . وعبر عن الغيرة ولم يكن هناك لحد غير . بحث اليها بالسلام على جناح النسيم وهي بجواره .

ويقول كليل الشناوى ان اول تصيدة نظمتها في حيلته تعبر عن مشاعره الحقيقية كانت في حبيبة الممدى للموازيل « س » :

الممدى لو نغمة من هواها
تدفع النفس في خنباها الشجون
الممدى فقد تركت مسؤولدى
في ربابها مشردا يجتوئها



● فكرة الزواج اتخذت عند كامل الشناوى مشكلة . لأنه اصلا مشكلة .. فكيف يخطر بأتجانب المرء من الشكل ويقذف يوم الى تدلار الحياة . هكذا كانت اجابته دائما كلما سئل عن سبب اصراره على الزوئية .. فهل كان صافيا ؟
الواقع يقول عكس ذلك .. لان كامل الشناوى الهم فعلا على الزواج ذات يوم ..

كان ذلك عام ١٩٤٥ . وكانت الفتاة التي تقدم كامل للشناوى نخطبتها هي حفيدة شقيقة الأستاذ محمد النجلى المحطى اللاح . كتبت يومئذ في السادسة عشرة من عمرها . وكانت بارعة الجمال . وثيقة . خجول . شديدة الانفة . بمطوية على نفسها . ووافق أهلها . لتكبل تربطهم به صلة قرابة . وهو قد وصل الى منصب رئيس تحرير آخر سامية ومثال في الظلمة والظلال . ولكن ما رأى كبير المصطفة ؟

وأيقروا الى محمد التامى وكان يصطاف كعادته في استانبول . وأبرق اليهم بعدم المرافقة وعلم كامل الشناوى برأى التامى ولم يوافق بعد عودته في أسباب رفضه ..

وكان التامى يصطاف في رأس البر بعد هذه الواقعة بسنوات . ودعا الى « عيشة » الفنان سليمان جبيب ومحمد عبد الوهاب وتوفيق الحكيم وأحمد الصاوى ومحمد وكامل الشناوى .

وفي إحدى الامسيات كانا جلوسا على اضراد في شرفة « المصفاة » وأحس الى كامل الشناوى متردد في سؤاله عن امر ما .. وأدرك يدكاه هذا الامر .
وبادره التامى : تريد تسألنى لماذا عارضت في زواجك من (.....) ؟

قال : نعم .
قال التامى : انت يا كامل حوّل بالصور طول الليل . تقوم الليل كله . وتنام النهار كله . فبماذا تفعل زوجتك الشابة طول الليل ؟

وأنت طلبها ان تصحبها معك في مهراتك هذا وهناك . لاني أعرف أنك غير جاد ومحافظة جدا .. انك فسوف تتركها في المنزل . هل تعلم ان طعم الحياة يمكن ان تقبلها لثقة تعرف عن نفسها انها جيئة . ثم هي شديدة الانفة والحساسية ؟ ماذا تكون النتيجة لهذا الزواج ؟

وصمت كامل طويلا ثم قال : أصبت .. الحق معك .. ولكني كنت اولي ان تكذب لي برأيك هذا . لماذا القننت به عدلت عن طلب الزواج . وانسجبت .
قال التامى : لقد سألوني برقيا . وكان مطلوبا مني ان ارد ببرقية . ثم اننى

كنت أجهل يومها إني أنت ؟ هل في القاهرة أم في الاسكندرية هل أنت حائض على
يا كامل ؟

ورفع كامل الشماوى رأسه وقال فى لهفة : أنا لم ألقه على أحد فى حياتى ..
فكيف أحقق عليك ؟

وظل كامل ينتهز بالأمم ذكرى تلك اللحظة التى لم يعرف بها أحدًا غيره
من أقرابه . وبعد عشرين عامًا تذكرها . وتذكر كيف اضطر أهلها إلى الإسراع بروجها
وكتب قصيدة يقول فيها : كل ما أذكره أنا انتهيما

وتولانى الضياع

حين أصبحت الرذاع

لاكثر حول ضجيرة

بلقد أصبحت زوجة

هل كان رفضه فى أول اقدم له على الزواج .. سببا فى تصيغه الفكرة بعد
ذلك .. واختياره أن يعيش لعزب حتى آخر أيامه !

ربما .. وربما اقتنع برأي أستاذه التابى الذى وافق رأيه السابق فى نفسه .
أنه مشكلة .. وأن زواجه يمسى للزيد من المشاكل ..

هل أن كامل الشماوى وقد أصبح صخبيا ملء السمع والبصر .. وهما
ذائع الصيت .. مارقته عقدة الانطواء والمزلة .. ظل يبحث عن الحب .. الحبيب

بأنى لمن . كاذب كما للقاهر الذى يلعب ويلعب لهه يوضى بضى حسراته . وكانت
بالحب وفى الحب يهرب من شيء .. أو يبحث عن شيء .

وفى الأوساط التى كان يتردد عليها كامل الشماوى .. بدأ قلبه يتصيد الحب
.. يتتلى المدح والثناء .. يفتنخ عواطفها .. يملو الكلام . ورقة الشمس .

وروعة الصوت .. وقد فتنق عليها لكال والهدايا . وقد يأخذ بيدها إلى أجواء القسوة
.. وقد .. وقد تستجيب وتقع فى هواله .. ولكن سرعان ما يندب الشقاق .

صكلا عاش كامل الشماوى العديد من قصص الحب والعشق . والألم . بضها
توافرت له مقومات الكمال والندية فى مستقبل شبابه . ومعظمها تجارب طائفة ومتشابهة

لا تتجاوز عواطف الصبا البيضاء . حيث تنهى محبوبته فى كل قصة إلى الانقضاء
بالصبر الكامل ، ولزود أنوثتها فى أحضان رجل أو رجال آخرين ..

ولعل البيت الذى يقول فيه : تشتري الحب بالمذاب .. تشتريه لمن يبيع ..
من يبيع ؟ ، يكشف بوضوح أن طلبه للحب والقرب والوصال . كان أكثر مما هو

مروض . وحتاج فى مرحلة الكهولة . وكان يصف نفسه بقوله : الجوز الطائش .
كالسهم الطائش . كالأصايب الوفى .. ياويل من طيشي .

نم كان حبه دائما يتدرج تحت باب « المستحيل » لأنه كان يفقد إلى التكمال
والندية . وللتأمل لمباريات التناجى والهيئات الماطية فى فترة . حتى وبوضوح

حظه الماثر مع الجنس اللطيف . مع ذلك الطراز « البرعى » الذى كان يتعسر
شوقا إلى غرامه . ولغة حياته فى الوفاء بالالتزامات الحب الكامل الذى يروى عطش

للرأة التى تصبى ربيع العمر والجمال :
« اننى أعانى كثيرا رهيبا فى عياني .. جسدى أرقهته الشيشوخة .

ومعاصر لم تتجاوز بعد مرحلة الطفولة . وتكبرى فى عانوا الشيب » .
وكان يخطب نفسه قائلا : « احترق قلبى .. فأحب طيش وشباب .. وأنت

طيش فاعل ! »
- ٥٧ -

كان الحب لكامل الفناوى وقودا للقلب . وسعرا كالنبضاته . والهاما لخياله
 وابداه . وسببا للتملق بالعبادة . وما الذى يبقى له من يعيش من أجله سوى التعلق
 بالحب : « أحيانا تتناهى حيرة الاستطیع معها أن أمزن أو أفرح .. لأن الأيسام
 التى تتلفى من عبرى تزيد من سنى . وتجربنى وثقاتنى . وانفصالى بالجمال . فكيف
 أمزن على النقص .. ولاأفرح بالزيادة ؟ .. اننى دائما ناقص ورائد »
 وكامل الفناوى كان يستغيب الالم فى الحب . ويرتشفه . ويعيشه . ويصطنع
 لنفسه من عذاباتة عالما خاصا من فلسفته للحب . تمتلئها حياته وشغره وسواراته
 اللعابة :

سألنى : الإكزال تعب ؟ قلت : ربما .

— ألا تترقب أنك لم تظفر من الطلب إلا بالطلب ؟

قلت : وما هو الحب ؟

— التعلق عاطفة بملطفة .

قلت : إن هذا الالتئام هو هود القلب الذى يقبل نار الحب فإذا انتصفت
 النار التهمت الالتئام والتهمت أيضا عود القلب .

— قل لى أنت ماهر الحب ؟

قلت : الحب كى تتعلم وحده ولاتقرضه المطلب على سواك

— وعنى تتعلم وحده ولاتقرض المطلب على سواك ؟

قلت : ألا فى المطلب أناى .. أعتاكى به لنفسى .

— ما اسمها .

قلت : ما اسمها . وما اسمك . فقد يصحح ضميرها ذات يوم لقصائى عذائى .
 وتتركنى وحيد بلا عذاب .

يوما زاره الممثل سعيد أبو بكر وعنه احمد أريائى . وجلس تجالوز الخمسين
 ترى من أترابه الصويى ، جاد الرجل يسمى الى شاعر الحب يعرض عليه حاله مع
 حبيبته التى هجرته .. وخاتته .. يسأله ماذا يفعل معها ؟ وماذا يفعل مع نفسه ؟
 كانت تصغره بأكثر من عشرين عاما . رقيقة وجذابة ومثقلة . وكان قد بذل
 فى سبيل حبها وقربها وذرارها الآلاف .. وطلب النصيحة والمقورة ممن كامل
 الفناوى .

وفوجئنا بأجابته : « هى لم تقل إلا الصواب . فبالقدر شمية حواء . وإذا لم
 تكن قد فعلت ما فعلت لهى ليست بالمرأة الكاملة الأثورة . المتعبوية الماطلة . لقد
 فازت بالحري وتركت لك الألم .. يايتحك ! »

وذلك أيضا كان موقفه من الأنثاة التى تهجره أو تكفره أو تفوته . كسان
 لا يكتف عن مواصلة سبه لها . مادامت قد وقعت فى بؤرة الضعف من قلبه وذابت
 فى أعصابه ووجدانه . بل ربما كان ذلك ادعى لاضرام النار فى القلب المجسود .
 فيتوهج . ويطغى .. فى حواره مع حبيبته يقول :

سألتنى : هل تعب الجمال ؟

قلت لها : اننى فيه .

قالت : أى أنواع الجمال أحب اليك ؟

قلت : الجمال الذى يكرهنى .

قالت : وهل أنا جميلة ؟

قلت : وأحببك .

وكامل! الشناوى عرف : الحب الكامل • وشرب منه وفوق فيه •

ولعل أعرق قصة حب لكامل في حياته وأصدقها ألا كانت في السابعة والمئتين من عمره • وهي التي أطلقت ملكاته الشعرية من عقالي الماطني • وفجرت مشاعره المكتومة فلم يهتم لا بالتقاليد للرونة ولا بالهجرة أو للكانة الاجتماعية ••

كأن ذلك عام ١٩٤٧ وكان لا يزال يملا الدنيا أملا وشعرا وهناء عندها حلما • كانت غانية • وكان اللقاء في كباريه بديعة صباي • ذهب إلى هناك يستروح مسيح أصمداقه عذراء السمل الصحنى • فوجدما تنهاوى إلى مائدة • وكان الصحفيون آنذاك لهم من الأهمية في هذه الأماكن ما تتجار الحرب والتطن والمعد وبنود الحلفاء من يريق جاذب • ونظر إلى وجهها كالأصباغ • وإلى يدها التي سرفت أصابعها بالسجائر • وكراسة إلى أفه وأهجة الخمر كروح من فيها ورغم ذلك وقم في هواها • وأجدا ••

هل يتنقل منها بعيد من كباريه إلى آخر • ثم يصحبها في آخر الليل بعيدا على الأضواء • وظل على هذه الحال عامين • وأدرك أخيرا أنه غارق في الحب الكامل • وإن غانيته مرحة أكثر مما يجب وطروب مع من يدفع أكثر • ولما لكرامته وأدرك شذاه وتسامته وقرر أن يهرب • وعلى نفس مائدة اللقاء •• شربا ما نهب القراق •

وكانت له كلمة الشعر والأواني وقفات وزيارات للاطلال الماطنية • وكثيرا ما كان يحلو له أن يقبل في اليوم ذكرياته الماطنية •• ويصن إلى ملهى السهرة والسطاء المتبادل •

صحيح ذات مساء إلى أحدهم • لبنانية الأصل • أوردية الاسم وعرجية بالعربية • زهور • • كان اللقاء في بار أتيق في أحد الممرات الجانبية من شارع شريف • تحبل مسحة من الجمال الفارب • وسمات السهور وأصال الليل • شعرها النجيب أصبح كالح الصفرة ووجهها مصبوغا بالمساحيق • وقودها رغم اكتنازه مازال يتقن فن التفتي • ولكن عينها ظلنا يرغم الزمن شابة في الثلاثينيات • تلعب في الضوء العائت يريلا • وصعرا ولذا •• و •••

« أزيك يا كامل بك » و « أزيك يا زهور » •• وذكريات وشحكات كان صداها يصلني في المكان الذي جلست فيه بعيدا •• ولم أسأله عنها ولا عن ذكرياته معها • ولكن سهرة جيمعنا بالهذانة تحية كارويكا في شقه ذاتي استعجرها بالإسكندرية صيف ١٩٦٣ في الأثريلة كلمت من حوية « زهور » وعلاقتها الماطنية بكامل الشناوى •

وكان قد فرغ من الشراب • ومن لب « البورك » مع جلال معوى وأيلي فوزي وصالح ذو الففار وحرم وألسيد بدير وشربة فاضل •• كان سميذا بالصحة الحولة ونسحات البحر تندي جلست • عندما طلبت تحية كارويكا منه أن يروي قصيدة الميوت •

وكانت تحية كارويكا تعرف الكثير من غرائباته مع الفانيات والفنانات • وكان يحترما ويخفي لسانها • وذكريتها • ولكنه تامل وحسول أن يشدا إلى حديث آخر •• وإذا بحية تسأله : ملعتني « زهور » يا كامل بك •• من فضة بار ••

و ٠٠ كانت لم يسمع سؤالا ٠٠ وتخرج على الكتبة ٠ وفي نبرات متهجئة بالآلم والذكرى
بدأ يروي قصيدة الميوز :

لا وعينيك يا حبيبة زوجي
لم تعد فيك هائما فاستريح
سكنت ثورتى ، فصار سواه
أن تلينى ، أو تجعنى للجوع
واحتمت حيرتى ، فسيان عندي
لم تبوحى بالحب أو لا تبوحى
وخيال الذى مسا بك يوما
يا له اليوم من خيال كسج
والحنان الذى غمرتك فيه
ضاح منى ٠٠ وخالنى فى جروحي
والفرح الذى سكنت الحشايا
منه ٠٠ أودعته موب الرمح

...

...

لا وعينيك !

ماسلوكى صبرى

فاستريحى ٠٠

وحاذرى أن ترحى

وفهمت كما لهم الجميع ٠٠ فقد كانت القصيدة معنى « زهور » واحيدة من
قصص البوى الشهيرة التى عاينها الشاعر مع الغانيات ، إبان ميمة الشهاب الواحد
بالأمل والمحب الكامل !

لكن هذه القصيدة لم تكن الوحيدة التى لقيت فيها كامل المشجوى بحبيبته
« زهور » ، فقد جمعتنى الصدفه بصدى شبابه المصور منير فريد ، ووجدته يحتفل
بمسودة قصيدة أخرى كان قد نظمها وجه لها فى الرمح الأخير :

أن ياعنى أن تنهض الفموج
أن يا قلب أن تتر الفضلوج
أن يا ليل أن يطوب الهجوج
كم شقينا به وكم فرحينا
روسلنا نراينا بسلووه
ونكينا فكان يفسك منا
سأخرا من عهودنا وعهوده
من ندير اليه يخبر أنا
قد نسونا حتى احتمال وجوده
خبت النار يا حبيبى وقلبي
فلفتن كيف شئت حجرا ودلا
لست بالموت حتى لقيت شمري
شمعة من دم كما كان قبلا
ته دلا كما تشبه الآن

وأعبر الكون رقة وجدانا
لن ترائي للقلب الأوليات
لن ترائي يقبل الدمع حدي
لن يثير الفرق شجوى كهدي

وإذا كانت « زهور » « نسق » حبه لكامل الشناوى ، فلأنه هو قصة حب على هذا الصعيد كان مع الفنانة كاميلى .. مارلين مونرو الشهية البسوة . ذات الجمال الصادق وعشيقه فاروق ذلك مصر . والتي أحبها كامل الشناوى وفتى بها وطلب يمشقها إلى ما قبل أن ينتهى عمرها القصير بقشرة قصيرة ..

كانت قصته مع كاميلى على كل لسان . جمالها وشهرتها كانت دائما تلصق للاحما في لى مكان ذهباً إليه .. فكان شعر كامل الشناوى فى توصيف جمالها الفريد . كأنه ضرورة سهلة الحل .

وقد يعتقد الكثيرون أن أغنية « أنت عبرى » كانت أول قلبه فى بين عبدالوهاب وأم كلثوم . وهذا غير صحيح فقد سبق هذا اللقاء . قلبه فى آخر .. موضوعه « كاميلى » .

كان ذلك عام ١٩٤٥ . وكانت لثناوية عيسىلاند صديقه الاستاذ حسن الأحمور .. وكان بين المعززين أم كلثوم وعبد الوهاب وتوفيق الحكيم ومصطفى أمين وتكرى أباطة والدكتور عبد الوهاب مور .. وكامل الشناوى وصديقه كاميلى .

حاولت أم كلثوم أن تلصق كامل الشناوى .. فاتفقته بأنه يتحيز صحفياً لكاميلى ويحابيها باستناداته الصحفية وحاول أن يقطع عليها طريق الترفقة .. فاعترف أمام الجميع بأنه متحيز لـ كامل لكاميلى .. ولكن أم كلثوم أحسرتة وقالت : « إذا كان هذا صحيحاً قل فيها شعراً » ..

وبادر عبد الوهاب وقال : وأنا مستعد أن ألحن هذا الشعر فوراً .
وقالت أم كلثوم : وأنا سأغنى اللحن فى الحال .
ووافق الجميع .. ولم يجد كامل الشناوى بدا من أن ينتهى جانباً ونظم أبياتاً من معنى اللحظة عزلاً فيه كاميلى :

لست أقوى على حوائج دماي
أمل فيك .. فأرقتى يميني
إن يسطى الجمال يهمل قلبي
عن ضلوعي .. فكيف كل الجمال

وأما عبد الوهاب القصيدة ولحنها على السود . وغناها أم كلثوم . واستمعها الحاضرون مرات ومرات حتى مطلع الفجر ، ولم تكن كاميلى تقوم اللغة العربية القصوى فكان توفيق الحكيم يترجم لها الأبيات إلى الفرنسية .

وللتحيز لقصة كامل الشناوى الملتصقة مع كاميلى . يلاحظ أمرين ههما -

الأول : أنه ولذلك فاروق . كانت لها علاقة بالفنانة كاميلى فى لترات متقاربة فهل كان ذلك مانعاً من آخر قصائده فى كاميلى حين انقرا .. الشهور بالكبرياء والإحساس بالخطر ؟

يا كبريتي لقد كلفتنى خطيرا

فيه الثأيا مطلات بانيساب
نمرد الليل لا تخفى به أيساب
حتى أرى القبح مستوحا على باهى

والأمر الثاني : أن حلالاته العائقة بالثانيات وغيرهن في هذه المرحلة من
الرجولة والفحولة ، كانت لا تتوسم ملايح معينة في العجوبة أو ثورتها بعينه
والسمة الوحيدة التي جمعت بينهما كذلك - الجمال ذو المسحة الأوربية - والسلوك
للتحرر فحسب .

وكامل الشاوي ربطته بالطرية اللبنانية نور الهدى قصة حب عادية أواخر
الأربعينيات .. وقد لعب دوراً هاماً في شهرتها وتآلقها الفني في عالم الضياء والسيما
عندما قدمت إلى مصر مع والدها .. لكنه لم يواصل قصته معها بعد أن تصرف بالفنانة
كاميليا . وظلت العلاقة بينه وبين نور الهدى قصيدة على التبتني لوحيتها والاعجاب
بصوتها .

ويوما قطع والدها الجلب لكامل الشاوي .. وتهادى من داخل الفتنة صوتها
يبنى .. وقال لكامل لوالدها :
- شير قى دناش .. نور ملها .. عيانه ؟
وقال والدها : صحتها منيعة والحمد لله !
قال كامل الشاوي وكان يصيحاً آنذاك : أصل صوتها من بعيد كأنه صوت
أم كلثوم !



● وتطو مرحلة الفسباب النزق والبرودة . وتأتي الكهولة مبكرة . وكلاهما
استنفذ معظم « الكوته » على حد سخرته . كان قد استهلك من صحته وطاقته الكثير .
عبلا وسهرا وعشقا ومالا وطيلما وشرايا . ولم يبق يقوى على الحب للتباعد ..
للتكسل .

ولأن قلبه ظل ناضيا بالحب متوجها بالحنينة والحنن . إذا به يرتد في تجاربه
الساظية إلى مضاعف الضياء والبراقة . وإذا به يبحث في كل محبوبه عن نموذيل
« س » فأنه للمضيق عودها النحيل . وشاقتها كصفتور الريح - صوتها الهامس
كفيف الغمائل . لفظها . مكناها . وقتها ..

ولأنه لم يكن من الممكن أن يستعيد حبه الأول . فكان يبحث عنها أو عن بديل
مما في امرأة أخرى .. وهكذا كانت السمة الغالبة في كل ميديات كهولته : التحولة
التي تصل إلى الضعف والهزال . كراهيته للمرأة البدينة والمملقة التي لا تخرى قلبه
الرقيق . وأما تنير مصارعا أو ملاكيا .. لقد كره بذاته لماولى به أن يكره البذلة في
المرأة ؟

كانت المرأة « الترانستود » موضع رضاء . وسبيل إلى الفسق واللطفة .
لأن المرأة الهزيلة فيها فن . فيها حلاقة إنسانية . أنها تشكو . في حاجة إلى مساعدة .
إلى حب . إلى شفقة . إلى إنسان . وكل هذه نواحي إنسانية يستطيع أن يلبيها
ويشبعها معها . أما المرأة القوية فلا تريد أسدا إلا لتسحقه .

كذلك كمال الشاوي يطلق على هذا اللون والشكل في ميدياته « كوكيست »
و « مبيون » وهي كلمات فرنسية تحسب نفس الاوصاف التي كان يبحث عنها
في المرأة .. بل إن صالح جودت نظم قصيدة بعنوان « مبيون » أحدها إلى لجانة
الصغيرة أرضها لصديق صباه .. وكان عبد الوهاب قد بدأ يلحنها بالفصل ولكنه



توفيت بعد وفاة كامل الشناوى . يقول مطلع القصيدة على لسان الفتاة « لثنيون »
تخاطب حبيبها البدين :

أحبه . أحبه . . . وردهيني حبه
وورثته تمجيني . . . وقلتي تمجبه
كأننى فى أصبحه حينما أكرمه
سببجاءة تؤاسه . تفعله . قلويه
كأننى عسلوه . ذكزفتى تطريه
يضمنى فى يده . ويصغرنى جيبه
أكسبى من تبي به أكله . . . لثمره

وكانت علاقة كامل بهذه الأحجم والأناط الأندوية التى عرفها فى كهولته
لا تتجاوز الحب الروسى لا الحسى على حد وصف الشاعر العربى القديم .

أمرى للملاح . وأمرى أن أجالسهم
وليس فى حريم منهم وطير
كذلك الحب . لا أتيان مصصية
لاخير فى لذة . من يعضها مسكر

ولكن هل نجح كامل الشناوى فى كهولته العاطفية مع هذا الطراز البرعى من

النساء ؟

عندما صدر ديوانه « لا تكذبى » . . كان صرخة عند خيالة المرأة . كتب أحمد
الشمره مقالا يعلق فيه على الديوان تحت عنوان « شاعر يحب الخائنات » . أحصى
أحد الكتاب عدد محبوباته فى الديوان بأكثر من قصائده الثلاثين وصفحاته التى
بلغت ١٠٦ صفحات . . . وكتب نقالا يفتخر فيه على كامل الشناوى تغيير العنوان من
« لا تكذبى » إلى « لا تكلفى » .

وعندما طلب كامل الشناوى من الفنان يوسف فرتميس أن يرسم له خلاف
ديوانه - فى طبعته الأولى - قال له : « أريد أن ترسم لى امرأة مسخرة الجبال ، لا تميل
لها . ولا وجود لها أيضا . ولكنى أريد كل من يسلطه الرسم . أن يعجز بأنها واقع .
وبأنها حقيقة . وأن علم المرأة للجولة لها اسم . ولها عنوان لا أحد يعرفه سواها » .
وعندما شاهد استقلوه خلاف الديوان . . . صجيسوا . . . فهم يعرفون كسبل
ملوماته . . . وحاولوا أن يعرفوا منه أسما . . . فتركهم فى دهشتهم ولم يجيب .
وأوعزوا إلى عبد الحليم حافظ أن يطلب منه مقابلتها ليرى عليها بطولة فيلم . .
ورغمه كامل بالاتصال بها . . . ولم تكن الصورة أكثر من خيال . . . خيال المسيرة
المشوقة فى أنثى الفاضل الكهل .

وكامل الشناوى الذى ذلعت شهرته فى نظم الفسحر منذ عام ١٩٢٢ ، أى
٣٣ عاما حتى صدور ديوانه ، كان إجمالى ما نظم على مدى هذا العمر لا يزيد على ٣٢
بيتا معروفا للقراء بسبل عشر أبيات فى السنة الواحدة .

لقد ضاع الزم عندئذ لحسب الكيف ، لكنه استطاع بهذه الأبيات المحدودة أن
يبدل التاريخ ، ويجمع على عرش الشعراء الرومانسيين فى هذا العصر . هل أن أول
بيت فى ديوانه . كان بداية لنهاية أكبر حب . وأشهر حب فى كل مراحل حياة
كامل الشناوى :

لا تكذبى الى وأنت كما مصصا
ودعى اليكاه لقد كرهت الأوصا

ما أمعن النعم الجسود إذا جرى

من عين كاذبة فأنكر ولدى

والحديث عن بطله القصيدة « لا لكذي » كثير . ومتناقص . فمن قائل أنه ضبطها متلبسة بالجيب مع صباح قتيبي مدير تليفزيون دمشق . أو الشاعر لمرار قياسي ومن قائل أنه لم يخرج عز الدين ذو الفصار . والكتبيون يجزمون أنه كاتب وأديب شاب يعتبره النقاد أقدر من كتب القصيدة القصيرة في مصر والعالم العربي .

ورحل كامل الشناوي ولم يفسح لسانه بتفاصيل الواقعة . ولا باسمه ؟ بطلها . ورفض كل محاولات استدراجه . وإن كان قد هجلا وسبها ولمنوها نشرنا كلما كتب بابة الاسبوعي « ساعات » : « هل ألحقها أو لمن ألحقها ؟ كانت تتخاطفها الأعين » .

« أنها كالدنيا .. لا تبقي ولا تجدد إلا إذا خرج من حياتها ناس . ما أكثر الذين شهدتهم وهم يغادرونها .. وما أكثر لولايه الذين رأيتهم وهم يطرقون بابها ؟ » . ويوم يسترضيها ويسترحم قلبها : « ألهمني على حقيقتي . انني لا أجرى وراءك . ولكني أجرى وراء دعوي . وأنفاسي . وحطجات نفسي . أريد أن استرد ما بعد ما خسره على مائدة الحب . كلما كلما يصل للقلب الذي يخسر أمواله . ويبرز خسارته بسوء الحظ ولا يخطر بباله أن من يلعب بهم لصوص .. وأنهم كلما لا يعبوه تضاعفت خسارته . المني مرة ولي أبالي سوء حظي .. ولكن لا سرقيني ! » .

ثم يتخيل لكلام وجواهره بها ..

قالت : « ملي مستكتب قصة حياتي ؟ »

— عندما أمارس حياتي .

قالت : أكتبها الآن أم لا .

— كيف ؟ وأنا لأعطي ولكني أوت ؟

فصاحت غاضبة : « هل تعتقد أن حيك لي موت ؟ »

وقلت لها : « أعدني .. لا ترضي صوتك حتى لا يسمعك الموت . فيظلميني . »

ولكن ملي حكاية قصيدة لا تكذي ؟

وبما كانت تلك التي شهدت بعض أحداثها .. والتي لا تتخلف في تفاصيلها

عن غيرها من الروايات التي تردت حولها .. الاختلاف فقط في إحم المتلبس بالتيانة

مع أشهر محبوبات كامل الشناوي إلى جانب انفصالاته الذاتية التي ضمنها قصيدته

الشهيرة « لا لكذي » . تصوراتها الحالية للموقف الذي جسيها مع الرجل الأخير !

كان ذلك — هل ما أذكر أوائل عام ١٩٦٢ . صحبته في ذلك اليوم إلى

« جروبي » . ودفع لثورة حساب بمئة وخمسين جنيهاً . ولذا بثلاثة عمال يعملون

أمامها صناديق « الجأجوة » تورقه بيشاء من عدة أدوار .. ثم تقع عيناى على مثلها

من ليل .

كانت للناصبة عيد ميلاد مطربة مشهورة « منيون » صغيرة الحجم وراقية

الصوت . وفي حفنها بالزمالك . كان الطفل الذي دعت إليه عندما سمعوا مسن

الأصدقاء والصديقين والقنايين .

وجاءت لحظة إطفاء الشموع .. ولذا بحبوبة كامل الشناوي وملمهته تختار

كاتب القصيدة القصيرة وتمسك بيده لمساعدتها في قطع الثورثة الضخمة بالسكين .

وكانها كانت تقطع لي أوصل للب الشاعر الكبير .. وحاول طوال الحفل أن يستر

لله واشغاله .. وهو الذي دخل حل للمعربين منذ قليل حالما باشا يكاد يرقص

طربا ومرحاً .. وحاول أن يكون طريفاً وهو المطبوع على الثوب والسخرية . لكن قلبه المرحف لم يحتل وأنصرفنا وكان لا يزال في الليل ساعات .. وذهبنا إلى شمسة عبد الرحمن الخيمسي في حي معروف - وطلب لهما . وطلب سعيد أبو بكر . وأطل الخيمسي من البلكونة وتلقى سعيد أبو بكر وكان يسكن في العمارة القابلة . وقال له الخيمسي - وكان مغلساً - « تعال حالا .. كمل بك هنا . عوزك ضروري . هات معاك ثلاثة كيلو كلب وزجاجة ويسكي » .

ورغم أن سعيد أبو بكر كان حقيقياً في اتفاق المال . إلا أن صداقته الوثيقة بكامل الفنلوي كانت تبدل من حرصه كرماً .. وجاء ومعه الكلب وزجاجة الويسكي . واستيقظت فأتت الشويشي زوجة الخيمسي .. ووصل بليغ حمدي .. وأصبحت الجلسة مثاقفة .. والجو مهيأ للفرح والحوار والمزاحمة ..

ومضت ساعة وكامل الفنلوي لم يتناول سوى قطعة من الكباب . ولم يرفع كأسه إلى فمه سوى مرة واحدة مجاملة لأصدقائه . ساهبا .. شارداً .. وفجأة استأذن في الانصراف وأصر على أن ينادي للكل وحده الأمر هام . « خاص » .. ووعداً بالعودة بعد ساعة .. وخرج معه « فكري » مكرتير الخيمسي وتابسه ليحضر له « تاسي » .. وانتظرناه .. ولكنه لم يرد ..

بعد أيام عرفنا القصة .. قصة ذهابه إلى منزل للطرية الصغيرة .. فق الباب، فتحت الخادمة . لم يستأذ في المرور كعادته و .. و .. رأى كل شيء .. للطرية وكاتب القصة القصيرة .. و .. و ..

لا أحد يعرف كيف كانا .. وكيف كانت اللواجة .. ولكن القصيدة « لاكدي » قالت كل شيء . وتوضحت المستور . أو هكذا أراد كامل الفنلوي أن ينظم منها شعراً !

والمرور بان احسان عبد القدوس كتب قصة الشاعر الكبير مع محبوبتي جريدة الأهرام تحت عنوان « عاشت بين أصابعه » . ويقال أنها توصلت إلى احسان أن يغير من بعض تفاصيل القصة بعد أن نشر منها قصائد . لأنها فوجئت بلمعات الناس تنهال عليها في التلفزيون وفي خطابات الذين خرجوا القصة وعرفوا المطلب والآلام التي عانها كامل الفنلوي في حبه لها من طرف واحد . وكان حبه لها كما صوروه بدقة في كلماته التي قال فيها :

« أنها تحتل قلبي ، وتصرف فيه كما لو كان يبعها .. تكسبه ، وتبسبه وتميد ترتيب الآلات .. وتكابل فيه كل الناس .. شخص واحد تهرب من لقاءه .. صاحب البيت .. »

ويقال أيضاً .. أن مصطفى أمين هو الوحيد الذي حكى له كامل الفنلوي تفاصيل القصة وأنه كتب القصيدة في بيته . وكانت ذنوعه تختلط بصبر القلم الذي يكتب به . وبعد دقائق نُسك التليفون وجاء صوت للطرية الصغيرة .. وقرأ عليها القصيدة وهو ينتحب .. وعندما انتهى .. قالت وكان الأمر لا يثبتها : « كويسة لوي .. ممكن أغني القصيدة دي !! »

بعد ذلك كتب كامل الفنلوي في باب « ساعات » جانباً من القصة بعد أن شير في بعض التفاصيل : « كان المفروض أن أكون معهم ، أنازكم الاحتفال بسيد ميلادها . فهي صديقة . وهم أصدقاء . ولكنهم نسوا أن يدعوني إلى الاحتفال . وتداركوا نسيانهم فذكروني في مبهرتهم . ولبسوا إليها هداياهم . وكانت سيرتي أبرز ما في الهدايا . وضروا أمامهم الطورطة .. ومع الطورطة من فرحوا بالسكين . ثم أكلوا .. أكلوا الطورطة .. وأكلوا سيرتي !! »

ودعهم إلى العناية عزقت كامل الشساوى نفسيا لا لأنها أضرمت النار في قلبه أكثر
فأبدع أجمل قصائده ابدائية وأكرها صلقا وشعورا .. وكانت قصيدته « حبيبها »
التي غناها عبد الحليم حافظ

حبيبها ، لست وحدك
حبيبها .. أنا قبلك !!
وربما حثت عليك
وربما كسب منك !!

فلم أرب سقاني
وستبيح حذائي
بلهقة في الفناء
برجعه في الوداع
بدمعة يس فيها
كالدمع .. إلا البريق !!
برعشة هي ينقض
ينقض بغور عروق !!
حبيب ردت لي
ما كان منك ومنهم !!
فهم كثير .. ولكن
لاشيء تعرف عنهم !

وعانقني ، وألقت
براسها فوق كتفي
بدمعة وتدايت
كأصبعين بكفي

ويحترق حب قلبي
بالنار ، بالسكين
وهاتف يهتف بي :
حذار يا مسكين !

لاسرت وحدي شريفا
محطم السلوات
تهرني أنفاسي
تحيفني بفتاني !!

كهارب ليس يندوي
في أين ، أو أين يمشي ؟
شك ! ضباب ! حطام



بطنى يمزق بطنى 11



سألت عقل فاصنى
وقال : لا ، لن تراها
وقال قلبى : أراها 11
ولن أصب سواها 11



ما أنت يا قلب ؟ قل لى :
أنت لمة حبى
أنت قلعة دوى 11
الى متى أنت قلبى 11

ومرت شهر من التغطية . وحاول بطنى الاصدقاء أن يصلوا ما بينه وبين
الطرية . وبينه وبين عبد الحليم حافظ . وكانت لمة جفوة بينهما سببها تلك الطريقة .
والحكاية أن كامل - من أجلها جند لها الفنان عبد الوهاب وبلغ .. واعتبر
عبد الحليم ذلك تحيزا ضده .

وكان عبد الحليم قد سافر مع سعاد حسنى فى مشاعرتى العرب الفنية
لاحياء عدة حفلات فى المغرب العربى وأوروبا .. وعاد عبد الحليم ليبدأ الانشغالات
تلاجر الدائرة حول قصة زواجه بسعاد حسنى . وبدأت الإشاعات تنتشر حتى على
صفحات الجرائد والمجلات . حول انفصالهما فى أوروبا باختيار جمال الزبيدية وعلايس
الفرح واتهم عبد الحليم كامل الفتاوى بالملاقاة على الانشغالات .
على أية حال . فقد كانت منامية عيد ميلاد سعاد حسنى كفيته بتصفية الأجواء
والذين تجمعوا لى الطفل كلهم استقبلوا ومتازفون . كان بينهم احسان عبد القدوس
وسليم النورى واحمد حشوش وحرمه . والشمسى وفائق القسويلى . ولويس
جريس وحرمه مناه جليل وعبد الحليم حافظ وبلغ حسنى وصلاح عبد الصبور
وعلى فهم وجبال حسنى ويرمى زوجته وأنا . وكان هناك أيضا شقيقتان لسعاد
حسنى ونجاة الصنيرة . 1

أقبلت سعاد تحمل : التوركة لا لفصاء يشموع كماله عشر ربيصا . وتجمعت
من حولها الرؤوس وفى نفس واحد انطأنا الشموع . ولغى لها عبد الحليم بالانجليزية
: هاينى نارت داي توي . 11

تبادل الجميع التحيات والولادة والامنيات الحلو . ورغم أن الشهرة كانت ملائمة
تماما لصلواته وجولاته . الا أن كامل الفتاوى ظل ساعيا . فارغا فى بئر احزانه
وذكراته .

الى صلاح عبد الصبور بطنى أشعاره . وهنى عبد الحليم ونجاة بضم من قصار
الغالى . وعيم الشمسى على لطيف كماله قبل أن يمين موهب القلم . ولغى
ياكل لامتة متلفا عاجا . وذهب احسان الشمسى وفتح الفتاوى حول منه . ولسم
يعد كامل الفتاوى هذا من أن يخرج عن صمته وقال : مبلغ علمي أن الشمسى تولى
له ابن بالشيخوخة 11

وشج الجميع بالمشكلات . وذاك كامل يسأل احسان : بالنسبة أيها اكبر .
أنت أم الشمسى ؟

واعترف احسان لأول مرة .. انه يكبر الشيسى يستلجى . ثم طلب احسان من كامل الشناوى ان يروى آخر اشعاره فاعتذر ، لكننا الصمنا عليه بالسؤال . وفي شجن وانفصال كان يهتز له يسعد وتبذل ملاصحه .. ألكى قصيدة ولا تكذبى ، كاملة لأول مرة .. وكانت عيناه كعادته عندما يضعك أو يتألم .. ترفد دموعا .. كانت كالكها دم يتنصد من قلبه .

استأذنت نجات الصغيرة فى الانصراف وانقضت السهرة .. وخرج يواصل السهرة مع عبد الحليم حافظ فى كافتيريا فندق مسيراميس . وليتها أهدى القصيدة الى عبد الحليم .. وغنى لا تكذبى بعد ذلك بنفسى لى عبد الوهاب الذى كان قد لحنه لنجات الصغيرة ..

ولم الصلح بعد ذلك بينه وبين مطرته ، ثم عادا الى الصملم والفرق . لكنه لم يتوقف عن تنقيها فى مساوراته ومتأجاته لها فى يلب و ساعات .

و ماذا تحاولين أن تحرقى يامى منك ، بعدما تبعد أملى ؟ ألك لا تريدن لى أن اسرح ؟ لقد أصبح التنكيل طبائنتى حواية تمارسينها بخلة وبراعة . ا اى خاطر شفى أخراى بأن توقظى تلفونى من ظفوت التى اسمرت خلافة شهور ؟ لقد احسست وأنا استمع الى صوتك فى التليفون .. أنك تحرقين بئيراك التى تفصل النار فى مشاعرى كلما سمعتها أو تذكرتها ا

ولكنك لن تستطيعى أن تحرقى قلبى .. فلقد احترق .. ولم يبق منه الا الرماد ا

دعى تلفونى .. أنك لا تريدن لرقما ، ولكنك تهرين راسى ولهيبته ..

هل تريدن بعدما أسرقت قلبى .. أن تحرقى راسى أيضا ؟

ترقنى يى بأفقتى .. يا حبيبتى .. يا حريقى ا ا



كان كامل الشناوى قد ترك على مكتبه عشرات الخطابات التى كان يزعم ان يصت بها اليها . ويبدو ان كبرياءه منه من إرسائها فى آخر لحظة . وترك أيضا مسودات لرسائل يصت بها اليها .. وقد ضمها ماسون الشناوى مع بعض خواطر شسقيه فى كتاب « رسائل حب » وقسمها بكتابات قال فيها :

« ترجمت طويلا قبل أن افرج فى تقديم هذه الرسائل ..

فصاحبها الشاعر الفنان كامل الشناوى لم يكتبها لتنفرد على الناس . وانما كتبها لتفراما واحدة من الناس .

كتبها واحتفظ بأصولها لديه ..

ولعله لم يرسل بعد بهذه الرسائل ..

ولعله يصت بها كلها .. ولكن لاشك ان ثمة رسائل أخرى كثيرة ذهبت الى من وجبها اليهم دون أن يحتفظ بأصولها ..

لقد حسنت تردى واقنعت على نشر هذه الرسائل . به ان رفعت منها الأسماء وبعض الوقائع التى ربما قد تشير ولو من بعيد الى من عندهم بها .

ان كامل الشناوى الذى احتل مكانا بارزا فى تاريخ الأدب والفن فى هذا العصر والذى عاش حياته حب لكل ما فى الحياة من جمال وخير . وأسفا على كل ما فى الحياة من قبح وشر ، والذى ذرع المرحمة تنقى على قلمين ، وإنسانية لم تتوفر لغير قليل من البشر ، لا يبتغى أن تترك رسائل الحب التى كتبها بدم قلبه نهما للضياع أو النسيان وإن نشرها لواجب يدفعنى اليه حبى له . وحبى لفن ، وحبى للحياة والاحياء ..

وبعض هذه الرسائل أبجد نفسى فى حل من نشرها - بعضها نقرته من الله الى

ياله ، وبضربها اكتفيت بفنلوات منها .. وكلها رديت فيها علاقة الشقيق ، وحب الصديق .. لقد كان لي خير شقيق وأوفى صديق ، ..

في إحدى هذه الرسائل إلى مطرته الصغيرة .. يقول كامل السنهوري :
وحييتي ..

انفري لي هذه الحقيقات .. انفري لي حبي .. وولائي .. واصفني من قلبي للسكبي . فقد أحب بالصدق .. ولا عيب .. ولا سيق اصبر ، وانسى كسل التفاهات الكثيرة المتعددة التي طمأنا خضعت بها أذنيك مبررا عن لبي وغفوتي ا

فما كان لي أن أتألم .. ولا أن أغار ؟ وما كان لي أن أدع شعوري بالألم والغربة بطرق سمك الرقيق الذي ماتتود غير كلمات الريبة والخداع والثناء ..

لا تظني بي المسوء أو الشر .. فما كنت ميتا ولا شريرا !

كل ما هنالك انني أردت أن أرفع روعي إلى سمائك فوجدتني في الهاوية .. ولست أدري هل استطعت الطريق إلى أسمه فهويت .. أم أنك لم تكسولي قط في (لسماء) ؟

إني أكاد أفني خيلا وحياء كلما نظرت كلمات الطهر والبراء والقداسة التي اتعبتها من طول ماهرت بشفتي ، ولم تستطع الكلمات ولم تستطع شفتاي أن تجعلها تتجاوز لبي إلى أذنيك ..

لقد كنت أطمح في أن أصبح في مكان الاعتراف من نفسك .. وأنجلبته من هذا الفرد .. ولكن يمزيتني أنه لم يدع طريقا .. فلقد عرفت في وقت قصير أنني لن أكون في هذا المكان .. لا لأنه لا يوجد في قلبك .. بل لأن قلبك ليس له وجود ! ذهنت أنني قد أكون حديقا .. فأنك تصنعين لغائي وتبتسعين لي وتقدمين علي كفي بقوة وانفعال .. وهذه معاملة الأمهات ..

واسترحمت قليلا لهذا الزعم الذي خلصت به عواطفك .. ثم إذا بي أرتكحمتين لقله الناس جميعا .. وتقدمين علي أكلهم جميعا بقوة وانفعال ..

ما أكبر سوني .. لقد تشبعت أن هذه الإلتصاقات .. وهذا الحنان وهذه الرقة تخصينني بها وحدي ، ولم أدرك أنها موزعة أمام جميع الأنظار .. وكتاب منشور لأقره .. أنت كالوردة لاظفن بصيرها على من يردعها في حديقته ، ولا يغسل من يسرقها من حديقة الجيران !

طلما اتهمتك بالفضاء في المصلحة ولياقة التصرف وقيامه السلوك .. أبدا لست كذلك ..

إنا أنت حمية جميلة صنعت هكذا ولاحيلة لها في نفسها .. ولاخير عليك وإياها الضرب على أولئك الذين طنوك مغلوبا يحس ويقتل .. ولكن كيف تكونين حمية ؟ وهذا الجمال كله .. أيكون من صنع بشر ؟ أنت من صنع إنسان ؟ كلا بل خلقك الله كما خلق الشيطان واللاقي ..

ولقد أحببت من أهلك كل شيطان وكل أممي .. ولست أسفا .. والعز أنلي سيطر على نفسي .. سأعرف كيف أسسمه بنوعي ..

.....

.....

حييتي ..

لقد أحببتك من قلبي .. وكرهتني من قلبك !

معتك دمي ووقتي وعقلي .. ثم كتبت لك شعري لأظلي أومسة وهباتك .. لرشحت مكان الأومسة سهاما مسومة ..

لقد فصح لك ذراعي الجملي بولائك مايتهما من فراخ .. فإذا أنت تملئين هذا الفراغ غبرا وحقدا ..

• • •

◆ ◆ ◆ ◆

[illegible]

کیف یکمے من عتای ؟

لأول مرة في حياته يرى النسوة تبكيه !

أدلهن، إن أرى الروح الكريمة تستشعر الألم وكثائم

لعلك مظلومة .. ولكن لماذا تلجئين للصمت وراء النجوم ؟

لماذا لا تتكلمين ؟؟ فربما قلومت الأقدار التي كتبت لك النضر. وكنت في الوفاء ؟

اصارحك يا نبي، فسمعت امام جموعك .. فسمعت انا وبقيت للشكيلة قوية كما هي

بل اقوی ..

1111

● ● ● ●

◆ **重要事項**

أصبح من أكثر أعباد صناعة التليفون إلى مكانها يعود إليها إلى

• • •

الإمام زين العابدين عليه السلام

... فإلّا صارت

فمازلت على خطبك الهائكة وأساورك اللامعي ..

الذي أسسمه هو لك في التلمون فيكبر في أنك تخاطب فيها آخر ٥٠ لا صديق

عاطفة .. بل لاصوت .. وأتينا هي أسفء جديدة في آلة من حديث ..

● ● ● ●

● ● ● ●

• • •

الشمس على رؤسهم سدين وسنتين ،، أنك تفكر بـ : مستلك • ولا أندري حل انت ذكبة

ة • كل ما أدركه أن عقلك كبير وثير • فهو يريد أن يحصل من القيم والمعامات

تدبر سمعه وتلعبك الر شيفقي .. وتصلن به علي غايك ..

وما من هذه الفاية ؟ فن يحبك الناس جميعا ٠٠ وإن تتركهم جميعا !

صديقتي التي لا افار الا من ايمان قنصينه بحبك .. والله لا اخصين بالحب

٩٠٠ : فہرست اشعار منقذہ

مصلحتی • • لا ی

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100 101 102 103 104 105 106 107 108 109 110 111 112 113 114 115 116 117 118 119 120 121 122 123 124 125 126 127 128 129 130 131 132 133 134 135 136 137 138 139 140 141 142 143 144 145 146 147 148 149 150 151 152 153 154 155 156 157 158 159 160 161 162 163 164 165 166 167 168 169 170 171 172 173 174 175 176 177 178 179 180 181 182 183 184 185 186 187 188 189 190 191 192 193 194 195 196 197 198 199 200 201 202 203 204 205 206 207 208 209 210 211 212 213 214 215 216 217 218 219 220 221 222 223 224 225 226 227 228 229 230 231 232 233 234 235 236 237 238 239 240 241 242 243 244 245 246 247 248 249 250 251 252 253 254 255 256 257 258 259 260 261 262 263 264 265 266 267 268 269 270 271 272 273 274 275 276 277 278 279 280 281 282 283 284 285 286 287 288 289 290 291 292 293 294 295 296 297 298 299 300 301 302 303 304 305 306 307 308 309 310 311 312 313 314 315 316 317 318 319 320 321 322 323 324 325 326 327 328 329 330 331 332 333 334 335 336 337 338 339 340 341 342 343 344 345 346 347 348 349 350 351 352 353 354 355 356 357 358 359 360 361 362 363 364 365 366 367 368 369 370 371 372 373 374 375 376 377 378 379 380 381 382 383 384 385 386 387 388 389 390 391 392 393 394 395 396 397 398 399 400 401 402 403 404 405 406 407 408 409 410 411 412 413 414 415 416 417 418 419 420 421 422 423 424 425 426 427 428 429 430 431 432 433 434 435 436 437 438 439 440 441 442 443 444 445 446 447 448 449 450 451 452 453 454 455 456 457 458 459 460 461 462 463 464 465 466 467 468 469 470 471 472 473 474 475 476 477 478 479 480 481 482 483 484 485 486 487 488 489 490 491 492 493 494 495 496 497 498 499 500 501 502 503 504 505 506 507 508 509 510 511 512 513 514 515 516 517 518 519 520 521 522 523 524 525 526 527 528 529 530 531 532 533 534 535 536 537 538 539 540 541 542 543 544 545 546 547 548 549 550 551 552 553 554 555 556 557 558 559 560 561 562 563 564 565 566 567 568 569 570 571 572 573 574 575 576 577 578 579 580 581 582 583 584 585 586 587 588 589 590 591 592 593 594 595 596 597 598 599 600 601 602 603 604 605 606 607 608 609 610 611 612 613 614 615 616 617 618 619 620 621 622 623 624 625 626 627 628 629 630 631 632 633 634 635 636 637 638 639 640 641 642 643 644 645 646 647 648 649 650 651 652 653 654 655 656 657 658 659 660 661 662 663 664 665 666 667 668 669 670 671 672 673 674 675 676 677 678 679 680 681 682 683 684 685 686 687 688 689 690 691 692 693 694 695 696 697 698 699 700 701 702 703 704 705 706 707 708 709 710 711 712 713 714 715 716 717 718 719 720 721 722 723 724 725 726 727 728 729 730 731 732 733 734 735 736 737 738 739 740 741 742 743 744 745 746 747 748 749 750 751 752 753 754 755 756 757 758 759 760 761 762 763 764 765 766 767 768 769 770 771 772 773 774 775 776 777 778 779 780 781 782 783 784 785 786 787 788 789 790 791 792 793 794 795 796 797 798 799 800 801 802 803 804 805 806 807 808 809 810 811 812 813 814 815 816 817 818 819 820 821 822 823 824 825 826 827 828 829 830 831 832 833 834 835 836 837 838 839 840 841 842 843 844 845 846 847 848 849 850 851 852 853 854 855 856 857 858 859 860 861 862 863 864 865 866 867 868 869 870 871 872 873 874 875 876 877 878 879 880 881 882 883 884 885 886 887 888 889 890 891 892 893 894 895 896 897 898 899 900 901 902 903 904 905 906 907 908 909 910 911 912 913 914 915 916 917 918 919 920 921 922 923 924 925 926 927 928 929 930 931 932 933 934 935 936 937 938 939 940 941 942 943 944 945 946 947 948 949 950 951 952 953 954 955 956 957 958 959 960 961 962 963 964 965 966 967 968 969 970 971 972 973 974 975 976 977 978 979 980 981 982 983 984 985 986 987 988 989 990 991 992 993 994 995 996 997 998 999 1000 1001 1002 1003 1004 1005 1006 1007 1008 1009 1010 1011 1012 1013 1014 1015 1016 1017 1018 1019 1020 1021 1022 1023 1024 1025 1026 1027 1028 1029 1030 1031 1032 1033 1034 1035 1036 1037 1038 1039 1040 1

● ● ● ●

44

وهدتش: ۰۰ یازده ۰۰ وکنز کماذتک انخلت وعتی ۰۰ ویدلرت باتک مرضا ۰

وتشاء الأقدار أن أترك في نفسي اليوم وعد الوعد بقتل هناك على شاطئ النيل

المكان الذي أعد للأحياء والمضيق

في شهر أنت ؟ أي حنابة ؟ أي حمية ؟ أي منامة ؟ .. منطرة أجبها الملائكة ..

• **حدود الجريمة والجناة والمأساة** •

[illegible]

عن ذلبي لم يتركه . يستغفرها الصفيح والرضا ، واستخرج مكالته التليفونية معها
ساعاتي . ولم تصح شيئا بالطبع !
وفي نفس اليوم جاءت توية الأصدقاء بسند « حلة الصلح » الفسيفساء
وأصبح بين الحياة والموت . وأمام غرفته بمستشفى قصر المينى . تجمع أهلها وأصدقاؤه
وكان بينهم احسان عبد القدوس وهيكى وفصحى غانم والضمير والمصباح
وموسى صبرى ووليخ وعبد الحليم . وخرج الدكتور أنور لفتى وبشرنا بالأمل .
« الأمل في حياته » . « والباقي على الله » . ولست في رأس احسان فكرة أن يتصل
بمطربته الصغيرة . . . وتأتي إلى قصر المينى . وتدخل عليه غرفته . وتجلس على
أطراف سريره . ويلبسها ببيوته الفاخرة . وهو بين الحياة والموت . وينفض قلبه
بالحب وحقيقتي بالحياة . . .

■ ذات يوم مشمس . والوقت مبكرا . وبوكيات الورود تصطب في ممرات
مستشفى الكاتب وكانت أميأت تتصني له الشغل . كان يوحى الله يقرب من سريره
« بوكيات » الورود بلور محبته لأصحابها . أما الذين أرسلوها دون أن يكلفوا
أنفسهم زيارته . فكان يصرها إلى خارج غرفته .
وجاءت محبوبته الفنانة « لقيون » ودخلت غرفته على استحياء ونجلى . ولم
يكن قد رآها منذ زيارته في قصر المينى . ونهض من رفاقه شايأ مثلها . وغادرناه .
ثم خرجت بعدنا . ولكنها ظلت ببرسوره على « الكوموديتو » يورودها الأبيض
والأحمر اللاني .

كانت قبل ذلك خجلى أن تواجهه على سريره للرضى . وهي التي ألقت به إليه
أو أسلمه له حبه لها . أرسلت تسترضيه يورودها . فأمر بوضعه في الممرات .
أرسلت صوتها على أملاك التليفون . وبها انشأ الرقيق من روحه مرحا وقده وحبا
وغرما أنتله وجاءت إليه .

وزاره بعد قليل للوسيقار محمد عبد الوهاب . ووجدته نضفا متيقظا فرحا . لم
يستغفر منه عن المرض والعلاج . ولكنه سأل : عامل إيه مع الحب يا كامل ؟
- أنا مش عامل مع الحب . حواء التي عامل فيه يا محمد .
- وعامل فيك الحب إيه يا كامل ؟
- احتم الأطباء ببيوت الله . واحصلوا القلب . فيه الله نفسه !
- سلامة عليك يا كامل .
- دواء القلب كفى هنا من شوية .
- طبيب ميروك يا كامل . . ميروك علينا قلبك .

وكان كامل الشنولى قد كتب قبل لقائه الأخير بمحبته يسأل « إيه الحب
مثل القانون - يعني الثيرة وعقب النجوم . وقد كان يصبها فاصبح يتقلبها .
تعالى . . لا تخافى أن تذكرنى بلأخى . . اتنى عننا أناك لافوس في أيام
ذهبت . ولكنى ألسنك مابقى في من أيام !
ليس في حياتى ماخى وحلندر ومستقبل . حياتنا فترة واحدة هي بلأخى .
الأمس حتى . واليوم حتى . والفد سيمضى . تعالى ولا تترددى إه فلم يبق من
عمرى مايسمح بأن تترددى إه » .

وفاضد كامل الشنولى للمستشفى عام ١٩٦٤ . . وظل يرودها عن قلبها وحبها
ورسائلها نرا وخبرها ورسائل ومكالمات . . وكان يلتقى بها . . وكان يلتقى عنها . .
وكان في ذلك كله يعيش الحياة الماطلة ويتغنى الحب ويفضل . . .

وفي تلك المرحلة الأخيرة من حبه لها ومن حياته .. كتب ثلاث قصائد .. الأولى
يكنى فيها أطلال حبه وكانت بعنوان « لها ودعوى » .

أحببتها وفتنت إن قلبيها

نبتسا كلني

لا تفيد الضلوع !!

.. أحبتها

.. وإذا بها قلب بلاهني

.. سراب خادع

.. لها ودعوى !!

فتركها ..

لكن قلبي لم يزل طفلا

يساود الحلق إلى الرجوع

وإذا مررت ..

ببيتها

تيكى الخطأ عني !!

وترتد الدعوى !!

والقصيدة الثانية كانت تجسد مأساة الساطرية معها .. بعد أن تكلمت بينهما
أساليب اللقاء .. ولم يبق له منها سوى رؤى وأحلام اليلة :

أنا لا أعرف حشا لهوينا !

أنا لا أعرف حشا لهوينا !!

.. كم عيني ألوم منها حبا

فتنته يفتني

ودعوى .. ومسجونا !!

شعبا صغرى

ومسحت شعرا .. راحتني

وبرتقت شعرا !!

وعليها من ذراعي ونسج

شعبه قلبي

وأرخته يسدايا !!

فإذا ما نظمت عيني الكرى

لم أجد بين ذراعي سوايا !!

في كانت قصيدته الثالثة « رفات » ولها عنوان « حبه الذي دفعه في بحر الحرمان
والذكريات :

قد خلت منك حياتي

وخلت مني حياتك

ما نرى منك وعني

رفاتي .. ورفاتك !!

في الفقرات المتقطعة التي كانت تمر بسلامة كامل بلطرية الرقيقة .. خصوصا .
وصيرا . وصدا . كان يستوحش السب .. ويكفي حبه .. ويبحث عن يدبيل
يشغل قلبه ويحرك شاعريته .. وكان يقول : « إن قلبي لا يطيق أن يتسكن في شلوعه
بلا عيل ! ولذلك فهو حريص على الابتزال السب .. حتى لا يتعرض للبطالة » .

سأله مرة الفنان عبد الغنى أبو الصيتى مدعبا : المزاج الإيمام دى عامل ايه
يا كاندل بكه ؟

ومضيك قائلا : استياجتي 1
وكانت المرة الأولى التى سمعته فيها يشبه المرأة بالطعام . وكان يعنى حبه
الطائش الحسيفة شابة فى كاتيريا الهيلتون .
كانت مصرية الجنسية إيطالية الأصل . كتأرجح لهجتها بين جنسيتها وأصلها
فى حيوية ظل نبات الأبيض المتوسط .
كان يسيبه فيها كبريلزها - وودها - وودقة صوتها - واختزار عينيها . وقد
بنا مايمتدحها أياها من « البقشيش » حسيين غرضا لم خسة جانيها وكانت ترد
البقشيش دائما فى أدب وحياء .

كانت تعز بلحنها الماتمة تقع فى منطقة حشمتها كل ليلة . حتى أنها طلبت
من إدارة الفندق الصل دائما فى « وودية » الليل . حتى تخطى بقائه ومداعباته
وشعره ..

كتب فى محبوبته الحسيفة قصيدة بعنوان « الكفائيريا » ... مطلعها :

مرت بنا كالطيف تسألنا
مالا تريد ؟ فقلت بالصمت
وددت لتسألني على حشة
عما أريد ، فقلت لها : أنت !
فخصبت وألقت نظرة نزع
قلبي وشدته إلى فمها
بأليته يقوى يقبلها
بأليته يتساب فى دمها
.....

ولدت أرضيها . فقلت لها :
هل تعرفين . ومن أكون أنا
أنا يا ضيعة شاعر هرم
قد جد يسعوى الشباب هنا
.....

أريد الهامة جديدة
بقدر ما أنظم القصيدة
وتصيدتي ما زلت أنظمها
وأطبل طول العمر أنظمها

ولم تكن ضيفه الكفائيريا على صورة الجبال الذى يستهوى كاندل الشداوى .
كانت مبتلثة بضى الفى ، ولكن سبه لها كان يكمن فى سلوكها الرقيق . ويبدو أنها
ذكرته بلحاحات من فائقة المصاوى وسلوكها الآدوى . وكبرياتها ..
وكان دائما يفاخر بكبرية محبوبه الكفائيريا . وكان يراهن أصحابه على
أنها ترفض « البقشيش » على ماأدته .. وكانوا يعجبون دفع الحساب والبقشيش .
فتأخذ الحساب وتترك البقشيش .

ولم يستمر الحب .. كان كما طمام الكفايريا . تناولوه صريحا . وتعرض
مكانك لفيرك . وكسب أحد مصنفاته الرحمان ذات ليلة . عنفما قبلت حسنا
الطبات والبقصيش معا . وتخلت عن كبريالها . ثم انتقلت فجأة الى عالم السيماليين
بعد « غدا » تناولها على عائدتها ضابط سابق في سلاح القسمرسان أصبح
مثلا سيماليا شهيرا ..

وعندما دخل عليها بصرحها - وكانا نسير في منزل عيدر الحليم حافظ
بالجزيرة - تطلعت الميرون الى كامل الشناوى وضحك قائلا : « انها لم تكن « غدا »
وانما « غدا » للقارس القديم »

وفي صيف عام ١٩٦٣ - وشقة كامل الشناوى المطل على البحر - كمية
لصداقته وأهل الفن والمصطفات والشعراء والفرقاء . كان الخميس يزوره يوميا
في قصصان الشهاب للثورة - متطلعا . مريدا . يلتهم بهجة الحياة وملذاتها . وكأنه
لوقف عند سن العشرين ولم يفرح

وزارت كامل الشناوى شاعرة بدينة صروفه لم تزل غداه يروح لملهمها
التي تطلعت الاربعين .. جاءت ومها الجمال التي يستهويها - شاعرة مبتدئة
تسل مدينة بكلية الآداب بالاسكندرية -

كانت شابة . آية في روعة الجمال وروقة وذكاؤه . حيلها فاضلة . ملونة
حيوتها بزرق البحر . وهجرها بلون الرمال .

كانت تلمح زيارتها أن تخطو بتجربتها الشعرية الى حريد من تجارب الشعاع
الكبير .

ويوما بعد يوم .. لم يرض أن تقتصر التجربة على الشعر - طامح سعيها بها
ولما يملونها . ولكنها بلبانتها وولارها لتبكر لصحت باعتزلها عن الحب .

وكتب بعد أيام يحكي لقلبها :

« في مشاعري حمص جديد ، لذيذ ، غليظ .. أحاول أتبينه فصعبه على
لثرة التجارب ، وفضول التكريات :

هل هو حب ؟ هل هو نزوة ؟

أنتى مغمود من قلبى وعقلي إليها ، الى جمالها السيفرى ، وأورلتها اللذكية ،
وملامحها الموهوبة المتقدة :

قالت لي أنها تتقبنى فى كل شئ . الا عندما انحطت عنها .

ومالتها . لماذا ؟

قالت : لأنك تعاملنى على حساب الواقع ..

قلت : أخشى أن تنهينى بالبلابة إذا قلت أنى أجمال الواقع على حسابك !

قالت : هذا خيال ..

قلت : بل هذه حقيقة . وما تظنينه خيالا هو مبالغة ليس الاحترار . لاني أهدر
من الحقيقة بأسلوب داللى : «

ويوما دخل الخميس على مجلسه منها .. بصيغة والقصاصة الشجاع للمجبول
.. يشابه الذى يذوق الرمن . ويلسع على عائدة صغيرة فى الصالون هذا من زجاجات

الادوية الكثيرة الخاصة بكامل الشناوى . وفتح كل زجاجة وأخذ منها بعض الحبوب
وابتلعها فى جوفه . ثم بدأ يروي أمام الشاعرة الشابة بعضا من تجاربه الشعرية

وحكايات مثيرة مضطربا لم يستطع قط . ولكنها فنية العبكة مشوقة : التفصيل ، والبهرة
الشاعرة بالخميس و .. لم تكرر زيارتها لكامل الشناوى بعد ذلك ..

وكانت أجلس معه نراقب أمواج البحر وهي تعبر في الأفق في اليوم الثالث بعد يوم وعصفه وخلفت موعدها . وكان قد كتب في نفس اليوم بعض سطور في باب « ساعات » .. « عقارب الساعة تنتقل ببطء وكسل ، في خاطري عصفارب من الشك تجري ، وتقفز ، وتلدغ ، تذهب الوقت للحدس للغائب » ولم يبق لي إلا ياخيل مما صيرني إليه زمني ، كل شيء يلعب ، ولاشيء ينجي » ١ .

وقد كنت ما كنت بالفضيل . ولاشيء تودت إلا اقتنع عليه حياته بالفضول أو بالملاحظة سائلة علوا : أيا أكثر سعادة لك . الحب . أم الصلابة . أم البهرة ؟ قال بعد لحظات : « كنت فود أن أكون الخميسى . أرى ذراع الحياة كلما تاندت » . ولكنها دائما تلوى ذراعي » .

وضحك كأنه ينهي أحداث فيلم من ألوية الجديدة . ولكن يبدو أن القصة لم تنته فقد كتب بعد ذلك نصف الخميسى ووضح سره : « عرفت منذ ثلاثين عاما .. شعرا شائبا خواطره ذكية مشرقة ، وجهه غبي الملامح .. مبتلع اللون .. وكان يطيع على فترات من الزمن ، فإذا التقيت به أدهشني أنه يرداد على مر الأيام قوة ونضارة . ولأبانه اليوم .. فتخيل لي وأنا أصفحه أنه ليس هو .. لي عمره الذي تجاوز الخمسين قد اتخذ في قلوب شباب رياضي حقول المضلات ، للملاحم الغبية صارت ذكية ، والظن للمتق أصبح كحيرة العجل .

وقلت له : أنت ابن فلان ؟ ضحك وقال : أنا فلان نفسه .

ما أعجب صديقي .. أنه مثل الأجل .. يكبر .. فيصغر .. ١ .

وقد عرف كامل الشناوي الخميسى عام ١٩٢٨ .. فأصيب به واختاره صديقه وواقعا لأحلامه التي كان يتساعها لنفسه . وقدمه إلى الصحافة لأول مرة محررا بأخبار اليوم ثم انتقل إلى جريدة المصري .. وانتقله من احترام كتابه الأغاني لشعراء مشهورين مقابل ما يتيسر من المال ، والتشكيل مع فرقة المسميري التي كانت تجسوب القرى والكفور والموالد ..

وكان - رحمه الله - يقول مسامحا أنه تصب من حسد الخميسى دون جسد . لقد كان مثله الأعلى في الفسولة والهمة والشباب وجبايته الحياة بقلب شجاع .. يصنع الحب ويستغفر به ويرتشفه حتى الكمال !

وقد قصص الحب الرومانسي التي تنفج تحت باب « المستحيل » كثيرة في حياة كامل الشناوي وكلهم يحملون بعضا من الملامح « الترانزيستور » التي كانت عليها مدحواويل « من » فاتنة للمادى .. حبه الملوى الأول .

عرفت متون مطروحة لبنانية غندوة . كانت يوما فتى « دوتير » مع زوجها الطرب اللبناني ، راقصة « متيون » تحمل لقبها فرسبا كانت تعمل بفرقة رقصا ، وفنانة إسكندرية « بلوند » سمعته يصادفها مرتين كل يوم .. عندما غابت عنه أمبوعا تستدج فيه من عند الميناء في بلاج « السخنة » ..

وقد بدأت علاقة كامل بهذه الفنانة بعد سوء تقاضيه وشجار في حفلة عيد الحليم سافط بالمجوزة .. ولكن العلاقة بينهما تحولت بعد ذلك إلى صداقة وتقاضى واحترام متبادل .. وتحولت حشيتها في باب اللوق إلى صالون أدبي لكامل الشناوي .. ينتظم فيه أهل الفن والأدب والصحافة .

فنانة أخرى سموا . ذات صيون في لون الضفيرة النظرة . كانت يومها مدية للأطفال في البرنامج الاوذي . ثم انتقلت بعد ذلك على يد صحفي شير متضمن

في المجتمعات والأفكار إلى عالم السيدما • حيث تزوجت بمنتهج كبير •

كانت فنانة مثقفة • غاية في الرقة • وكان كامل يردد عليها ويحاورها وهو في قمة النشوة والإطلاق • وربما دخل عليهما الروج للنتج ووجد كامبل الشاوي يجلس بجوارها ويتهامس معها • وتلثرت غيرته • وكانت النهاية • • نهاية إحدى قصص الحب الطائش للشاعر الكهل •

قصة أخرى ••

• عندما أضاعت شلثة التليفزيون المصري لأول مرة •• ورأى صورتها الجميلة • وسمع صوتها الرقيق • وحاورها فودود مع شيرلها •• قرر أن يتعرف على هذه اللذبة •• ومنى إليها • واكتشف أنها تقول الشعر بالفرنسية • وأن شعرها مرهف الحس • وتطوع لترجمته إلى العربية •• وهكذا وجد طريقه إليها والقرب منها والحوار معها • وكانت والتي يقال تسم القصيدة •

في قصيدته • أعضاء • التي غنتها بطريقة نداء والتي استوحاها الشاعر من قصيدة كتبها اللذبة الشاعرة بالفرنسية يقول :

هذه الأنسواء كم أكرهها
فيمتد حسرتي قبسدا عنيها
ابعدوها •• ابعدوها عنها
تصبح يبدو لعيني متيها
فيظنني تمسك ساقني ويني
قصص يجبس عصفورا فسميها



ليفتي أحيا حياة مثل الفكرى طليقة
أنفست الوردة في ظل حديقة
لافتي لذي سوي حصة انسام وقيقة
وصدى تظو حماشتي في الأرض طريقة
أنقر الأرض ينظرات ونظوات وشيقة
تصني في الرمل غاصت وتصرت كالصيقة



في ثبايا الشسب أنفست بالفتي
أنفست الزمكة في الشسب الرطيب
وعلى طهري استلقي وألقى نصبي
وأودى في الثرى علف السريح الخصب
فيمتلئ ضلعت بالناس وضاقت الناس بي
جنفت تلك ففينا أنا لا أذكر نفسي
ليس لي يوم ولا أعرف ماذا كنت ليس
نفسه كمالا وحي وفراغ ملء رأسي



عندما تصبح لي الجشة وحدي
أزور الجشة أصابها ونيفسا

أوتدق القلوب القى أختاره
لا الذى ترفضه الافواق فرفضاً



لا حزنم لسوق خصرى
لا قسود حوول خصرى



ويروجى الأبيض الخالى من الأصباغ .. من أبة زينة
ويشعري التأثير اللامع كالاشراق فى السحب الحزينة
وبازيائى وافكارى التى نضجت عنى التفاهات اللعينة
سوف أحيائى حياتى حرة تقصر الروح وتضائل السكينة
وإذا جسمى طليق حار يمتلئ ووسى من حياقات للدينة

وكلما كانت اللذبة الرقيقة تظهر على شاشة التلفزيون .. كان يأمر كل من فى
للنزل بالقبض والتوقف عن الحركة .. وكان يبعث مقبلاته إليها فى الهواء كلمسا
فجعت فيها بالحديث .. وكان يقول عنها : « كلما رأيتها .. أيقنت ان الله فرغ عمل
الفر من خلقها »

.. وفى هذا الغنى كتب يصف انتماله بجمالها ورفقتها وذكرها
« كلما رأيتها تخيلت ان الله خلقها فى هذه اللحظة .. فهي دائما فاضرة ، جديدة ،
متأللة ، كشمس تنهى للأشراق !

انها تمثال من طلال ، وأحاسيس ، وأضواء تفننت الطبيعة فى صنعه ، زرعها
ذات حوله ، وأطاعت لى روعته ، أراحته عنه الصغار ، لتفتن الناس بالتمثال ،
وبالتدرة التى صنعت التمثال !

ما لهذا التمثال الرقيق لا يكفى بالوقوف أمام عينى .. إله يصرك فى مشاعرى
يهرحها ، ويشيرها فاهيم به ، ولكنى لا أستطيع ان أوجه إليه كلمة من كلمات الفرح ..
لأن المؤمن بالله يعبث به ، ولكنهم لا يفاركونه .. وقد أصبحت فى مس لا تسمع لى
بغير الإيمان ! »

وهكذا عاش الشاعر الكبير كامل الشناوى الحب .. فى براثة الصبى .. وميعة
الصباب .. وفتوة الرجولة وطيف الكهولة ..

كان دائما وفى معظم حبه عظيما .. حسيا .. بهوى الجمال .. يقتسرب منه
وسرعان ما يصير كالفراشة كلما اقتربت من الضوء للتهيب .. ولكنه بالحب ..
حب الجمال .. عاش وأبدع فروع أدبه وفنه .. كان يقول : « ان لى بالجمال لا يقف
عند حد .. فانا أحب الجمال لى الطبيعة ، والفن ، والأخلاق .. وللمرات ..
وهذه الاشياء أكبر بصق من جمالها .. أما لرائة ففى وحدها القدرة على التسبب
عن الجمال بغيره !

والصنف يطحن صورة مستقيمة للجمال ، والأغراء يطحن صورة ملتوية ..
ولكى هذا الالتواء يشدنى من مشاعرى ، ويلوينى منه !

يحب الناس من يمتنى هذه التجربة حبا ، ويصعب من يسميها وحدا .. ولقسمة
عشت التجربة أباما ، ولا أدري ان كنت أحب .. لو كنت أتوهم ! »

على أن كامل الشناوى الذى أنقى حياته لأهنا وده الجمال فى المرات .. أو بمعنى
أدى انواء الجمال فى المرات .. الذى كان فى حقيقته وظروفه التى رولها لى شعره ونثره ..

ورسائله ٠٠ ليس أكثر من اقراء وقتته لحرب ، كان له أجدد الأثر في حياته وصحته
والفعالاته وأحاساسه الدائم بالإحباط وفي هذا الحسى يقول :

ذكريات رسمت في أدمعي

وشجرتي

ولمست في دمايا ١١

ذكريات حطمتني

ذكريات لم تدع من أجل بقايا ٠٠



وفي الليل خوف وحديث وضحك !



● عن مدى ربع قرن أو يزيد .. كان خلالها نجم ليل القاهرة بلا منافس . ليل الصحابة والأدب والفن . ليل الجلسة السجوية . ليل التصرح . ليل اسكنة الساهرة والحوارات اندكية والنقشب اللاذعة والمغالبي المحبوكة التي لاتسى . وكانت صالونات ومقاهي ومسلمات ما بعد منتصف الليل . دائما على أهب تنظيره . يث فيها من روحه روحا ومرحا ورقة وصحيا .. فبعد كان يرجمه الله مجدنا ومؤاسا من أبرز وأظرف طرفاء زمانه ! وكانت كلماته كأها الصعف السبابة . ما أن يصوغها بوجدانه وطلقها لسانه . حتي تنتقل الى حيث يريد لها أن تطلق . وتمتد وتؤثر .. في ابدان . ويدبك . كان لسانه مارا على أعدائه . وكان فرحا ويردا وسلاما على أحيائه ومحبيه . وعمل كثيرة ما فاض قلبه شعرا نابضا بالحياة . أو مترا يتعقب الحياة . فلم تكن دواغمه الى التصرير الفني . سوى اشتراقة تحب . يمتطي اليه بساط السوي والالهام . أو الدهشة من تقنيات الباس وتقنيات الزمان . وربما نفسا عن استغراق بالفتح .. أو حياء متدعا لخصومه قلاء الطل . وربما كان عينا مع الذين عيشت بهم الأقدار ..

ذلك هو كامل الشاوي . وذلك كان ليل زمانه ..

رأيت أول مرة في حياتي أوائل الخمسينيات . ذات أمسية صحفية في كاريبو بدعة مصابحي الصبحي الضهير وكنت آنذاك أحسن طريقي الى احتراف الصحافة . جذبي الفضول الى مجالسه الليلية . ما كان يردده الوسيط الصحفي عنها في الصباح .. من روايات ونواد متيرة للخيال والتأمل والضحكات .

صحبته إلى سجنه الزملاء على جمال الدين وحسنه لعلهم ويرسمهم فكرى
والرسل طوغان . واحترقا مائة على مفرقة منه . وكان كامل الشناوى يصعد مائة
كبيرة . . . حافلة بالفاخير والنجوم . . . بالعلم و « الأبريق » وصنوف الطعام
والشراب .

لم يكن مقصدا المائة بحسبه للهيبة لمصعب . . . ولكن أيضا بصوته وصوته
« الباريتون » وضحكاته للجليلة التي كانت ترقى إلى أسماعنا بين الحيين
والحيين . فتجنب إليها الأسماع والأبصار . . .

كانت هي « السهراني » في الكازينو معلقة بمائدته وما يجري حولها . ولهم
العدو . . . كان معه محمد عبد الوهاب ونظرب عبد الفتى السيد وعازف الكمان
أنور منسى . . . وآخرون وأشريات . . . والحديث سجال متصل . . .
وفجأة . . .

إذا بالجليلة تحمل حديقة الكازينو في ركاب مطرب شمسى . كان يوما أحد
المشغدين في تحت عبد الوهاب . وكان قد عاد بعد غيبة طويلة من العراق أدمن خلالها
الخمر وغرق في الضياع . وما أن يلح المطرب المصور أستاذ محمد عبد الوهاب . حتى ينهال قلفاوسيا
علنيا في الموسيقى الرقيق .
كان يترج وسط الموائد . وهو يردد اتهاماته التي لأول لها ولا آخر . ولا أصل
ولا أصل . . . وكيف أن عبد الوهاب ينار منه . . . وكيف أنه لا يكف عن قطع عيشه على
الاذاعة وفي غير الأذاعة . . .

انطلقت الضحكات هنا والتفصبات هناك . ثم تمخل يلتفتلون لتهدئة المطرب
المصور . . . و « تمسح » الخمر في رأسه أكثر . . . ويرتفع صوته أكثر . . . وجلبه
أكثر . . . ثم جاء دور « الجارسونات » عندما بدأ في سب كل الزبائن . . . وإلى حيث
القت 1

التمى المشهد للقاضي . ولوشكت آثاره على التلاشي . وهاد الزبائن إلى
حديثهم وفراهم . . . ولكن ضحكات كامل الشناوى ظلت تزجج حولها الضحكات . . .
وتلك كانت موائته في الثورة الفد والمجنب بين المقلد والمجانين . . . بين اليقطين
والخسورين . بين الوعي واللاوعي . . . بين الخير وتقيضه .
والنكس يصفه على المائة . وكتب بضع كلمات على فاتورة الحساب . ثم بدأ
ينلى ضرا هجائيا في المطرب المصور :

ما أصعبه

ما أزعجه

ما أعجبه

ما أغربه

يا ليت انساها بعد الكف كان عليه

وعلى الرصيف وضبه

وشده واختصبه

وقال منه حاربه

وضحك عبد الوهاب وقال : « نظ يا ينى لله » ولملت الضحكات حول المراد
بينما كامل الشناوى يطوى فاتورة الحساب بأصابعه ويلقى بها أرضا . . . والتفتلها
« . . . دون أن يشعر » . . . وحفظت بها حتى الآن .

ومند ذلك الصيف البعيد .. وأما أحفظ بكل ما يقع في يدي من « أشعار
للمسللة التي كان يكتبها من وحى اللحظة على فواتير الحساب وعلب السجائر
ومناديل الكاريونومات والكفائريات .. وبعد سنوات من كتابتها .. كنت أقرأ عليه
بعض هذه الأشعار .. وكان يسألني عن مؤلفها .. وكنت أقول له .. أنت .. وكنت
أذكره بالمناسبة التي قال فيها هذا الشعر أو ذلك .. وكان يضحك قائلا : « افتركه
لواحد من بطوخ الشعر البعيد » .

ويوما صالني بذلك : أنت تلويها يا أبو حجاج ؟

وأجبت في حماسة : ماوى على أية يا كامل بك ؟

قال في بسمة رضا : لاوى تكتب من إيلك متى ؟

ودعوت له بعدة كان يجب .. ربما يد في عمرك ١٠٠ سنة يا كامل بك .

ذلك أنه حتى ساعاته الأخيرة .. كان يتشبث بأذيال الحياة ويضرب عليها
بالتواجز ، فهو لم يسيح يد من مباحج الدنيا ومسراتها .. ولم يسيح في قليل أو كثير
أن يتبدد انتباهه الفكري والشعري وسخرياته الذكية في أجواء مجالسه وسهراته .
كما يغير الندى مع أول ضوء للصباح !!

وكان أحمد رجب ممن يعيهم كامل الفناوى ، فهو على شاكلته ساخر وطريف
وكاتب يركز أفكاره ويختصر كلماته .. وكان دائما يلج على استناده أن يدون كلماته
وأراءه واشعاره التي يتبدد مطلبها في ليل القاهرة ولن يسفرها في كتب ومجلات،
لكن الحاجة ذهب ادراج الرياح .

واقترح أحمد رجب أن يتردد عليه في منزله .. ويجمع ماله من الأدواق المبعثرة .
في مكتبته .. وأن يبوب مافيه من أفكار وأشعار .. ووافق ..

وذهب أحمد رجب إلى منزل كامل الفناوى .. نفسا .. متحفزا لانتاج صفا
العمل .. وإذا بالشاعر الكبير يحدثه عن ذكرياته .. ويحكى له عن تلك اللذيسة
التليفزيونية التي تطلق بها .. وقتها .. صوتها .. شاعريتها .. وكيف أنها مهدبة السلوك .
لدرجة أنها تطلق باب « درج » مكتبته قبل أن تفتحها ..

ويضيئ الثالث وكامل يرائخ أحمد رجب ويحاوره .. حتى جاء موعد ظهور تلك
الذيسة على التليفزيون .. وغاب كامل بوعيه عنه .. و.. ضامتا للعصاولة حياء .
وكتب أحمد رجب في اليوم التالي يلوم كامل الفناوى على أفكاره المبهمة ..
وكتب كامل الفناوى يرد عليه « أنت على الأقل تصغرني بمشروع علما .. وسستيش
بعض كثيرا .. وعندما تحترق سيجارة سيانتي ويرشع القدر آخر نفس فيها .. بلاهرح
إلى يميني وخد ما تجتمع من أوراق وانفصر على فئانس .. وما أتوله لك ليس مداعبة .. ولكن
وصية أسجلها هنا علنا وعلى رؤوس الأشهاد » .

وعندما رحل كامل الفناوى .. ير أحمد رجب بوعده .. وحاول تنفيذ شروط
الوصية .. وطارده شقيقه الشاعر مامون الفناوى على صفحات الأخبار .. وفي المساكن
التي يابى والمجالس التي يهتجى فيها والكتاب التي يتردد عليها .. و .. و ..
ما زالت مطارداته مستمرة .

على أن ضمير مامون قد استيقظ .. على ما يبدو .. فجاء وأصدر أربعة كتب جديدة
من مؤلفات كامل الفناوى ولورائه للبعثرة ، وأضاف إلى ديوانه « لا تكدى » قصائد
جديدة لم تنشر من قبل ، وبقي الكثير والكثير جدا ، التي يستحق التسجيل من ذاكرة
أصدقائه وتلاميذ الشاعر (الكبير ، الذين شهدوا لياليه الطويلة وسعوا أحاديثه وأملاته
الفلسفية واشعاره التي كان يفضل بها وينظمها من وحى الوقت واللحظة !



● تغطي سنوات الخمسينيات صافية الإيقاع .. حافلة بالأحداث والتطويع
 الملامحة . تنهار الملكية وتزجج الجمهورية على عرش مصر .. وتبدل هيكل الحكم
 وتُسندل الستائر على عهد الصراعات الحزبية . وتسلط نجوم وتلمع نجوم جديدة في
 عوالم السياسة والفن والصحافة ، ويظل كامل الشنواوي كما عهد تلاميذه وحوايزه
 فارسا مبارزا لا يفسق له غبار ولا يتزجرح عن مكاته .. مجددا لأصلحته وأساليبه في
 حلبة الصراع من أجل البقاء والحضور الإنساني الثمر .
 وفي تلك السنوات السجاف كان يغلب إحزازه لتقلبات الزمن وتحويلات الحياة
 والناس .. بالمواقفة والتوافق والانسجام . كان يخشى أن يصبح سلفيا أو متها
 بالحنين للماضي والأفاته ركب للمستقبل وتختلف عن مكان الصدرة ، ولذلك ظل كامل
 الشنواوي دوما .. جديدا ومتجددا يسبق عصره وشبابه !

كانت بديعة مصابني قد جمعت تحويشة العمر من جنود الطفلة وأثره الحرب
 واجتدت لبيبة عن عيون السلطات وقربى الضرائب . وتظهر لنبهة أيضا مربية الفراخ
 في بلدة « شعورا » ببلنق .

ولنهال المساول عندما في معنى كازيتو بديعة الصيفي . ونسحق الأرض عمن
 ناطحة معمارية لأحد أسره البترول تتحول بعد ذلك إلى فندق « الشيراتون » .
 وتمتد يد التطور الماطقة إلى مطعم (الباربريتا) الشهير في شارع الألفي ..
 ويلفت رباته وعشاق مأكله ومشربه « على الحساب » . وترتفع لافتة جديدة على
 واجهته إيلانا بافتتاح معرض للمربوليا .. وتستولي حكومة الثورة على فندق وملاهي
 ومياض « حلبية بالاس » بمصر الجديدة . وتسكنه مكاتب عليها موظفون وشباب
 ومسؤولون .. ويلقى يار الثورة بالفضة والفنجان وتنفض مكاته عمارة اللوا بباب
 النلق ، وتختفي ذرفة فندق الكوتنتال خلف صف طويل من المحلات التجارية ..
 و .. كان فندق شبرد القديم يشاوع إبراهيم بلقا قد تلاشى إلى ذوات متطحة الر
 حريق القاهرة للقبوه .

وهكذا شيئا لشيئا بندثر المديد من التنتديات التي انصهرت رحيق ليالي كامل
 الشنواوي وشهدت أمجاد لقطات مسره وذكرياته التي لا تنسى . ولكنه لا يستسلم
 للزمن . يخلع عنه رداء ذكرياته القديمة . لينسج ذكريات جديدة .

في خضم هذه التحويلات التي شهدتها مصر على كل صعيد . كتب يقول : « تعطل
 أيتها الأيام .. لا تفهميني في طرقتك بهذه السرعة المبتولة . بلقي لا أجري . ولا
 أمشي ولكني أسهر بخطواتي الكبر الذي سيضعني . »

ما أشبه طريق حياتي ببتي . نصفه مفروش والنصف الآخر حال من الأثاث
 اتلفت وداني فأجد الأيام تغطي طريق . والطرق لأملي بقارى الطريق عازيا إلا من يوم
 أراه ويوم لا أكاد أراه .

يلفتوني من طريق .. يخبر خوفي كلما تكلمت خطوة . ولا أستطيع أن أراجع
 إلى الدواب لهذا حال .

حل أقت مكاني وأجد حتى لا أصل إلى الرء الذي ينتشر كالتلال القاتمة ؟
 إن الوقوف والتجسد كليهما موت . وأنا لا أخاف الموت لكنني لا أسمى إليه .
 وعند أن يبلغ كامل الشنواوي الخمسين من عمره .. ولم يفارقه الاحساس بالزمن ..
 سبته . وسرعته . ومتغيراته .. وأدرك أن يقاس على حلبة الصراع مع الزمن وفوق
 قبة الحياة أمر يحتاج منه الكثير .. الحضور .. والتجدد .. ولزيادة من الأصمغة
 .. ولزيادة من الحب .. وأدرك أن الهجوم أفضل وسيلة للدفاع .. ولقد أن يقهر
 الزمن وأن يحسب تحوه سهله ليل .. وأن يترك عنه نومه للنها 11

ولذلك فإن مناجاة كامل الليل وفي الليل وثاقته في أجوائه • كان انكساراً لتلك
للأثر التي طمنا صوت في رأسه وهزت مشاعره • وأثارت شجته وأحزانه • •
كتب يوماً وهو في أسر الرضوخ والتزام الفروض مضطراً :

« أيها الليل ، يا حبيبي • • ألم يعد لنا مكان لتلقى فيه الإغرفة نومي ؟
أين الشوارع ، وللأهلي ، والفتاح ؟ »

استرجعي من بيتي كما كنا تفعل أيام الشباب • • وأسهر مني حتى أرى أصدقه
عمري • • السحر ، والفجر ، والصباح !

أيها الليل يا حبيبي • • أتري عناء نومي للذهاب ؟ » •

وعندما بلغ عامه الثالث والأربعين • • تلفت حوله فوجد أن كثيراً من أحيائه وقرانه
جيلة قد رحلوا الواحد تلو الآخر • • فما باله وقد أزعج جسده وأتعب قلبه وبعد
مشاعره واستهلك نبضه • •

وفي هذه المرحلة من حياته • • كتب كامل الشناوي ونظم الكثير من نثره وشعره
الفلسفي المشائم • • الواعي لهذه الحقائق والمآل • •

كتب يصف انطباعاته وأحاسيسه في عيد ميلاده :

« قلى أيها الأيام ، انك لا تقطين طريقتي ، ولكن تقطين عمري • • استرجعي
وأرجعيني ، فقد ظننا نجرى مما أكثر من ثلاثة وخمسين عاماً • •

ولكن • • كيف نتوقف من المضي ؟ إن معنى ذلك أن نموت ، وإذا أتقيت بحياتي
وهي مهبطاً قرحتي • • أحياء ، اننا نبكي منها ، وإذا حددتنا بالتخلي عنا ، بكينا على
الفسسنا !

ما أعجب العمر ، إنه القوي الوحيد الذي إذا زاد نقص • • وفي هذا اليوم ينقص
عمري ، فقد أضافت إليه الأقدار عاماً جديداً ! ! » • •

وبعد يوم فوجئ كامل الشناوي بمؤثر خلو • • ساعة جبهة المضطربة التي
فاشت منه ذكريات الشباب والكهولة ، بدأت تتباطأ حيناً وتسرع الحظي أحياناً
وانزعج لها المحدث أشد الانزعاج • • حاول أن يصلح من عقوقها لعلها تعود إلى الانظام
في ركب الزمن وإيقاعه • • ولكن شيئاً ذهبت مسلولاته • • ودون أن يغير أحداً بحث عن
ساعة جيب تكاد تتطابق أوصافها مع ساعة القديسة • • وحسبك في « كاتينة » الساعة
القديسة ، وأومر نفسه بأن شيئاً لم يحدث • • وهكذا كان حاله دائماً عندما يواجهه
الحقائق التي لا تروقه ولا يجد في إزادته أو عاكه أو فكره سلا لها !

قال يصف حاله مع ساعة العاقبة

« أصبحت ساعتني مثل • • أصابتها الشيفوخة ، فقلت توافنيها ، تريد أن تسبح
لذات ، تحولت دقائقها المنتظمة إلى مسائل متقطع !

كل يوم يبدل الساعاتي معها • • ما يبدلها الطيب مني ولكن الزمن القسوي من
الساعاتي ، ومن الطيب !

حاولت التخلص منها • • فمالاً أصعب بها ؟

• • آه من يوم أرى فيه الناس يحاولون التخلص مني • • لاني أصبحت مثل
ساعاتي ! »

وعندما توفي يوسف حلمي المعامي صديق صباه وديبائه وكهولته • • انزعج
وكثيراً ما كان يتزعج في كهولته للمخاضات الموت • • وخلاصة موت أصدقائه ومعارفه
وأبناء جيله • • وكتب يوماً بعضاً من عباراته الفلسفية الحائرة :

« إذا كانت الحياة حقيقة ، والموت حقيقة ، فأين - نحن البشر - من الحقيقةين ؟

هل نحن أحياء ننتظر الموت ؟ هل نحن موتى تركنا مرحلة الحياة ؟

ولكن .. لماذا لسأل عما لا جدوى لي أن نجعله ، أو لا نجعله ؟
 ليعني أعجز عن استخدام هذه الكلمات ، لماذا ؟ و كيف ؟ و « قيم » و « علام »
 فلما شواكيتي تطرق رأسي كلما حاولت أن أعرف من أنا ؟ - من أين ؟ - و « ولي أين ؟ »
 و « إلى أين ؟ » كانت إحدى قصائده المأثرة أمام ثلوث ولبيجول

إلى أين يمضي أيها البحر
 بعد ما قصير هبناه
 لأضجيج ، ولا سميت ؟
 وينسل منا الصب والغير والهوى
 وينسل منا البحر والقرى ولقنت ؟
 إلى أين يمضي شيبنا وشبابنا ؟
 إلى أين يمضي الوطر والنبض والصوت ؟
 .. ولي أي قلب منك
 خبأت من مضوا ؟
 وأبمدت مثولهم
 فراحا ولم يأتوا
 وفي أي يوم تلقى بهم
 .. أجب ؟
 فقد هدما شوق .. وعدجتا كيت

وحول و ثم ماذا ؟ غير كامل الشناوى في قصيدة أخرى عن تأملاته الفلسفية :
 ثم ماذا يا دهر ؟

هل من جديد
 أجتنى منه لوعى وعنائى ؟
 هات ما قلند القضاة علينا
 ولتلفز كأس حيلنا بالفضاء ؟
 لست أخشى القضاء
 فن قصد العدل
 ولكن ...

أحلف ظلم القضاء ؟
 وطمينا بالنظم
 ... أو أن دهرى ينتهي ظلمه
 بهذا الرضاء ؟
 مسخرات حلى الحياة
 ومصر ..

لم يزل غلضا على الأكياء
 أي معنى للورد
 يولد في الروض سباسا
 ويتهوى في الفضاء ؟
 والجبال التي تحول فيه
 .. نبض قلبي جبرا من البرجاء ؟
 كيف يتعب طيباه
 .. حتى كان ثم

يك بالامس بالوطني الرواء ١٩
 ٠٠ وترى حملة العتق اليه
 حول النصر ميوجها للرتة
 وب ليل طلعت أرفف فيه
 كل حاشيت من رحيق اللؤلؤ
 وأتى الصبح بالخطوب التوغل
 ٠٠ من غلاب ، وكوعه ، وجهه



٠٠ أين قلبي ١٩
 فقدت في غرلي
 أين عيني ١٩
 أذيتها في بكائي ١١
 ورجاتي
 أضاعه في دحري
 ٠٠ في قبابي
 يلرمصا للرجاء ١١



لسواء على عفت صبيها
 لم قضيت الحياة في يأسه ١١
 فالرحور التي ذوت ظلمات
 كالزهور التي ذوت في لؤلؤ ١١
 والطيور التي تفرد في الأيك
 ٠٠ سرورا
 نصيرها لليكه ١١
 عفت في عالم
 تهيج نسجوني
 كلما ليل عالم الأحياء ١١



علموني كيف الشب لآحيا
 هانفا بينهم حياة رخاء ١١
 واعتنوني بعض الرباء لعل
 أرتوي لذة بعض الرباء ١١



● في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات كانت القاهرة قد بدأت تصرف
 لأول مرة موضة « كاليفورنيا » الفنادق الفخمة التي تفتح أبوابها ليل نهار ٠٠ وكانت
 كانت أحد أحلامه وأمنيته التي طال انتظار تحقيقها ٠٠

في البداية اختار لنفسه مائة في كاليفورنيا « هيلتون » يطل وده زجاجا

البطلاني ميخائيل الصغرى .. وليلة بعد ليلة بدلت كتاتيل عليه وفود من امسكناه
وتلاميذه وجوارحه .. من مشاهير الفن والصحافة والأدب .. وصالحاتها وبهاتها
أيضا ..

ولد حجر كامل الفناني كاتيريا الويلتون بعد انتقال محبوبته المصونة الى عالم
السينما والسينمائيين - وأسس برادة غامرة في كاتيريا - نابت ألدني « بنفسه
سميراميس - فكم من الذكريات المزيه عاشها صغريا وحاشا وجلسا في بحر الفندق
« الاستيل » العريق - وكم كانت لوحته بطلانه القوي « ليلته » يصور في
« مسلوقات » الويلتون الأمريكي .

وفي ليلة الافتتاح قال لنا فيما يليه الاصرار : « سوف نصلهم يتكلمون شيئا
المعينا من « ارمسترونغ » الفنادق الكبيرة الى بسلطة المقاهي ، وقد كان له ما جرد .
استطاع له السمر في الكاتيريا شتله - وفي « تراس » الفندق المثل عمل
الليل صيفا . وكانت المقاهي تتزايد حول مائدته على امتداد ساعات الليل الى حين
مقنا في بعض الاحيان .. ولانطقه الطليات والطبولة وجلساته ما بين طلمه وهراب .
وعلى حسابه في معظم الاحيان . وكل يثمنه لطيف « اليس كرم » على امتداد الليل
يعتف طلول بعد ان اتبع من العرب في المكتبات العامة - فقد كانت من ليلته
الحياة وكان يعتبر نفسه انسانا « لذائذ » على حد تعبيره .

وكان كامل الفناني لا يطيق التفاهة ومضى الثقافة وأصناف الاكليه او اصناف
الاقبيه - وكان دائما منجوبا بالجميل لتكرره وللبينات الكلامية الساعرة - التي
أثبتت معلوما الاكيد في « تطهير » مثل هؤلاء المتكلمين على مجالسه .

كان الجارسون يأتي الى مائدته .. وسأل كامل الفناني جلساءه واحدا واحدا عما
يحب ان يقرأ او يأكل - ثم يتخطى من لا يعلم في مجالسه .. فلا يوجه لهم
السؤال - اما اذا كان المتكلم « ارجوزا » بشريا او مجبورا حليف الظل - او هالكا
من الوحي - او قلنا للارتان الاجتماعي - فاعلا به وسهلا .. وعلى الوحي والسمة .
ولفت صخرة .. اقبل على ميسله واحد منهم .. كان يضع على راسه طربوشا
عقرا كانه خارج من مقبره - وكان يركض بلبلة كاملة برغم قبض الصيف .. تلتصق
بجسده النحيل في خوف ونجبل - تصارت وكاتيا جلد طبيعي يكسو عظامه .
تصافط حشر الرأس والطبييين المراسين يهرش « التلمبه » .

اقبل علينا نداحة الحشر الرخيص تسببه الى اتونفا وكاتيا هاربة من اماله .
ودون سلام او كلام .. اقبلت يده مبالغة الى اكواب البيرة المعدنية لتندائرة عمل
للأائدة . واخذ يصب منها في جوفه الواحدة تلو الأخرى حتى أتى عليها جميعا - ولعن
في دغشة من امر ذلك القريب .. بينما كامل الفناني في قمة نفوذه وهشكاته
للمرة بوله للفاقة الساهرة و .. أدركت انها ليلة ليلته !!

صق ينادي الجارسون - طلب له مقضا - وطلب له زجاجة بيرة - وثانية ..
و .. خامسة - وكأنه أفق من قاتر الحشر الرخيص - إذ بدأ يطرس في وجوهنا
ثم تسأل : « من ذل يا كامل بك ؟ » بينما الجميع في حيرة من أمره هذه الرجل .
عندئذ قمعه أينما كامل الفناني : الاستلا « » رئيس صغرى « حس »
جريدة « » وأزعمه لزيغ للصباب الوغد ..

وصلق تحية له .. فصلنا جميعا .. ثم قمنا اليه واحدا واحدا .. بلينغ
حنى . أصبح اسمه الدكتور ذكي البتاتوني الطبيب في قصر النيني . وقال
الكلام للمجهول : « طبيا .. طبيا .. من جويل الدكتور البتاتوني .. ده فلنا عائل

عسيل معدة بنفسه . صلاح عيد الصبور أصبح على الأبراش الجنس في البلدية .
وقال : الله يرسم والدك كل من الصالحين . فزكيا على . . والله كبرت وبنيت بأجل
.. وارى عليك . . لسه عايش في عزته في القيوم ؟ وجه دوزي في تورع الاسماء
وأصبحت يوسف السباقي وقال للمخور : شيه أبوه الشاقي الدلق .. كل من زلما
للجنة وأرهاب القلم .. و ..

و رئيس تحرير الجبس : مجلة مفروعة عرفتها الصحافة العربية ودحسا من
الرمز . إبان عهود الانجليز والسراي والقلم السياسي في وزارة الداخلية باللي كان
يضعف عناصر الحركة الوطنية آنذاك . وكان وضع اسم رئيس تحرير الجبس بمثابة
تويه وتسمية لأعيس السلطات عن رئيس التحرير الحقيقي . وعند المسألة أو التحقيق
حول مقالة أو خبر ضد الملك أو الحكومة أو الانجليز .. يساق رئيس التحرير للزيف
إلى الاعتقال أو شيايب السجون .

وإن أجد وصفا لذي . ولا أصدق ما كتبه كامل الشناوي عن ذلك الرجل في
لحاته الثمينة في يابه : مساعيات في جريدة الجمهورية :

« عندما رأيناه لأول مرة في هذا المكان الهامح . اتعابنا الفزع . تصورناه جلة
تسللت من أبواب الرقي . صيغاله حراخ . وصحافة أمين .. تنكس الألفاظ في له
من كثرة ما يخطئ عليها بحلقه وأسنانه . في صوته فحيح أضي وعواء ذئب . ونواير
نور يوشك أن يهيج .. فإذا وصل إلى إذليك أصبحت أنك تسمع حجرة أنفاس
وهي في الرق الأخير !!

لذا انصتبت قائما فهو ضيق . وإذا تهاوى في مشيته فهو لضي ليس وراء
مشيمون .. وإذا جلس مكانه فهو ضريح .. لا يرتقي ملاسبه ولكن يلتف بها كما
لو كانت كلسا .. يري عربة الزمن وهي تنطلق فيلسفيا ويقول في خياله : بلهاء :
لو شئتوني ملوكيت هذه العربة !

توقفت عن الحركة . ولغاية . وتسلل جهاز عقله . فهو مازال يحدث حس
للندوب السلسي البريطاني . وطالب بالجلد . ويصيح كيف أصبحت الحكومة بهذا
لكنات قصر النيل . لأنه لا يدرى أن الانجليز خرجوا من بلادنا .

أحيانا يصغي . وينظر . ويقرأ . ولكنه لا يسي .. ولا يري .. ولا يفهم ..
الألفاظ التي يستعملها بنثر فيها السجع والموسم . وتراب القاموس . الأسماء التي
يودعها تسبقها دائما كلمة « للرحوم » أبرز معانيه أنه بلا معنى .

يقاسي محنة الصقوف في الماضي . وعجتا حارونا أن ننتقله من محنته . كنا
نفسه إلى اليوم لينزلق منا إلى الامس . نعلقه إلى الأمل فنهض أننا نصله فيشور
لكرامته وينهال علينا بالصياح والمويل !

كل مانيه غاير . معلقه . عتيق . الأمثلة الركيكة التي يحفظها . الثمر التاله
الذي يخرم به . الطريوش الراسع الذي ينكتي . على وجه كمظلة . أو يستقيم فوق
رأسه كظطور .

كلما أخطأ بنا أصبحت بالفتيق والالتباس . ولا أدرى ماذا أصنع به ؟ هل
أسفر عنه ؟ أم أكني عليه ؟ أم أكني عليه ؟

من هنا كانت خصائص « رئيس تحرير الجبس » مؤسسات كاذبة ليتمثل
هذا الرجل الظاهر الغائب عالم كامل الشناوي . وصبح مائة سنة للصحف
والسخرية والسر الهجمات !

أليس لديه ملكة التصوير والخيال .. الذي يظلا يعيش سببا غائرا لم يتحقق
أليس لديه بطولات طوق كيهوتية « مقطوعة الصلة بالحقبة » فهو مازال يستند

ولم يكن في المستعبدات أن يزعمه قد صاغر إلى الاستكثورية وقيم في « ساق استيغالو »
 ويدير الحكومة في « بولكي » - أليست لديه ملكة التصور والخيال - وهو محبة
 القوي القويبة - أليس القوي هو الإنسان الوحيد للسوح له بعض الجنون .
 وبدأ يرحسه الله يدبر لعبة الصراع بين الوعي واللاوعي - بين العقل والجنون .
 تعتمد ليالي هذا الرجل منا أسابيع وشهورا ..

ويستغيب كامل الشناوي الدكتور لويس عوض إلى محطته - ويقدم له ذلك
 الرجل على أنه أستاذ في التاريخ المعاصر - ولكنه يحتمل الجامعة والناس بعد أن لاقى
 صلوب التصنف والنظم في دملته بالحكمة .. تماما كما حدث للدكتور لويس عندما
 كان أستاذا للآداب الإنطيرى في كلية الآداب .. وفتح كامل الشناوي أبواب النقاش
 بينهما حول مقالة أثارت موجة من التمليق والنفد - كان الدكتور لويس عوض قد
 كتبها حول دور الجنرال يقرب إبان العملية الفرنسية على مصر ..

وبدا الدكتور لويس في عرض وجهة نظره بالصحة والحق وهو يتناول ما كتبه
 في مقالته عن الدور الحضاري للجنرال يقرب وأنه لم يكن على الإطلاق مهيلا أو
 جاسوسا .. والرجل المصور يبادل بلا منطق ولاوعي .. حاذيا ومخفيا .. ويشهد
 وطيس النقاش بين الوعي واللاوعي .. بين العلم والخرافة .. وإذا بكامل الشناوي
 يندبر من أعماقه بالمشكلات المتروكة .. حتى تأتيه غوبة « الزخطة » .. وعندما
 يكشف الدكتور لويس أنه كان ضحية لأحد مقابله التي لانتهي منه .. وطسحك
 مع الضاحكين !

وكان جلسة كامل الشناوي يحاولون عبثا إيقاف ذلك الرجل المصور البني
 دلي عزم في فيبوية مفتوحة السينين - ولعند أجميته بأوامر غاضبة وفيه صريح ..
 غير أنه لم يكن سلبيا إزاء ما يفسونه ، ليس فقط بالثقف والسبب المعنى .. بل
 والأدبي من ذلك أنه كان يثبت بمقولنا بالفصل - ويشوشها ويهتجها بالجهل والبسود
 وأنكار فضل الزعماء والكتاب والمناضلين من أمثاله .

وأشهد أن كامل الشناوي كان يخطا دوما لحججه من مساوئنا علم .. وكان
 يقول لجفانته : « وما الذي يبني لنا إذا ألقا من لوعلمه وفيبيوته المضمورة . وقد
 تغير زمانه وولى رجاله - دعوه بالله في أحلامه السقيمة ولمجاهد الكاذبة » .

والغريب من أمر هذا الرجل - أنه عندما يشعر بانتهاء السهرة وموعد دفع
 الحساب - وأنه لا مزيد من زججات البيرة - كان يثور ويستعصم صبغيا وجبته تحصل
 إلى الأدوار العليا في فندق سينوالميس - وكان للرحوم أحمد حسني وزير العدل
 الذي يقيم بالدور العلوي يستيقظ في تلك اللحظة ويحصل بشرطة النجفة - حيث يحمل
 الرجل المصور إلى سيارة الاسعاف في الطريق إلى قصر العيني لإجراء عملية جراحية
 معدة - وكان يرفض أن يحمل على قتاله .. ويصر على أن يحمل فوق الاعتساق ..
 ويستجيب رجال الاسعاف طلبه وعندما يندى صوته كزعمة المظاهرات في الماضي
 « اليوم حرام فيه العلم .. الاستقلال أو فلت الزؤلم » ..

وكلت أسأل نفسي : لماذا لا يتقبل كامل الشناوي بمحطته البليل الذي يطمس
 انصطبيص والآداب والقوانين إلى مكان آخر ويحجب هذا الرجل للوهم - ولم أحمد
 تفسيراً لذلك سوى رغبته الباردة في السخرية من الحياة - وفضج متناقضاتها وزيفها
 وكسر رتابتها .. وربما كان يريد في تصرفات مثل حمل الرجل وأمثاله .. بعض أسرار
 القموض - فليتخيلني في اللويس ربما .. فقد كان رأيها دائما أن الإنسان يبلغ قمة
 السعادة حينما يفقد القدرة على التهم والتفكير .. فما علم يفكر فمضى ذلك أنه يجري
 وراء السعادة ولا يصل إليها .

ويوما سألَه إسمان عبد القدوس بأحب ورقة للخطبة بين التلميد واستاذهُ ..
عن سر قبيته عن سجنسات الفن والصحافة .. وعن سر تعلقه بذلك الرجل المخمور ..
وفي اليوم التالي كانت إجابته :
« انكاري التي تؤرقني تمنني أن تنطو علي وسادة » . اننا في حاجة الي كسل
الناس .. حتي لو كان هذا الإنسان نالها .. أو أحق . إن الناس هم الأردية التي
نلبسها في الحياة . فيبذلهم ربطة الحق التي تزين الصغر . وبينهم الحداد الذي
يحمي التلميع من الحفظ . ولقد شعرت وأنا أبحث عن ذلك الرجل يأتي اسير حالي
اللسنحس . فلما عثرت عليه فرحت . ومددت يدي اليه في حرارة . صلاتحه
صوت مسوم . وخيل الي أنني وجدت الحفظ الذي وضعت فيه قدمي . ولا ريب
لضافحة ليس الا لرقعة حذائي وأنا ألقى في الطريق » .



● على المناويل الورقية التي تحمل اسم « سميراميس » . كانت آخر مسهراته
المصاحبة مع رئيس تحرير « الحبس » بعد أن عاش مجلس كامل الشناوي الليل
أسابيع وشهوراً . كانت مسهرة حافلة بالخطابة وشعر المهملات . بمناسبة انتخابه
الرعيم الأوحده الذي يستحق ثقة الشعب . الزعيم القائد على إعادة المستور وإخراج
الانجليز الذين كانوا قد رحلوا عن مصر منذ عشر سنوات !!
كان من شهود المسهرة للرحوم محمد أحمد محبوب وزير خارجية السودان
آنذاك وهو شاعر مرموق . ولطيف الشاعر مأمون أبو شوشة . والشاعر أحمد
عبد المصطفى حجازي وعدد كبير من الأصدقاء .. و .. عشرات للتفرجين من زبائن
الكافيتريا .

وعلى عادته في ترتيب وقائع المسهرة .. قدم لي وزير خارجية السودان ذلك
الرجل المخمور ضاحكاً : « أقدم لك زعيم حزب زمش .. وهو ليس اسماً حركياً ..
ولكن زمش .. اختصار لمائة رى ما انت ضايف أ » .
وكان الرجل المخمور قد تجرع عندا من زيجات البيرة .. واشد يهني بمباراة
متقطعة عن مواقف الانجليز من النحاس باشا عندما قرر اللهاب في السودان ..
والفتت اليه كامل الشناوي وقال له بلهجة تنسم بالجدي والحمم « اصبح يا أخينا
اليوم جد لاهزل ، فاما أن تؤكد رهامتك للشباب الوفى أمام الزعيم السوداني . واما
أنك غير جدير بما تدعيه من مجد غابر .. هذا هو زعيمنا - مشيراً الي الفنان سميد
أبو بكر وعليك أن تتبرع منه الرعاية » . والا أوصدنا إذاننا من سماعك . وشجعت
جويونا من دفع ما تترجعه كل ليلة من زيجات البيرة » .

وبقى الفنان سميد أبو بكر وكأنه على حشية للمرح . متددا بالزعيم للرحوم .
متددا ليأبه الطويل وتاريخه المرفى في قيادة المظاهرات الوطنية . واعتقاله ..
وسجنه .. ثم أختتم خطبته بالدعوة الي تحكيم الشعب بينهما .
وتنور غائرة الزعيم المرحوم . وبعد مقدمة طويلة شكر فيها الجماهير التي جعلت
لنايده .. حليم سميد أبو بكر .. وتحدث في تناقسه في معركة انتخابية فاصلة .

وعلى الفور بدأ كامل الشناوي في توزيع الأوراق على جلسائه وعلى رواد
الكافيتريا الذين كانوا يتابعون المشهد . ثم جمعت الأوراق في جردل معدني . وتولت
لجنة معانة فرز الأصوات . وكانت النتيجة بالطبع . فوز زعيم حزب « زمش » بكل
الأصوات .. حتي صوت منافسه سميد أبو بكر .. وحل الجميع وصفقوا له ..
ورفرف الزعيم للتخطب على أحد للقائد سلمة . وكأنه يتطلع الي جوارق الشعب

المحتشدة ليسمعوا. قوله الفصل في قضية الساعة .. ثم محمد الله ورحمى عليه از
ولفه في كسب الحركة الانتخابية . والفوز بإجماع الشباب الوفدي في تلك الظروف
المصيبة التي تعيش فيها البلاد .. ثم يصف غريبه سعيد أبو بكر بمالاة السراى
والمالاة للتخطيط .. ويهذى .. وهلى .. ثم يختم خطبته بـ «صالح الله : د مصر
والسودان لنا . وانجلترا لن أمكتنا » .

ويصفو كامل الشناوى صديقه محبه أحمد محبوب إلى تحية الزعيم الموصوم
بقوله السابق في الانتخابات وينظم بيتين من شعر المهملات :

فهرت كل المرشحينما
فخذ يدى وأهملنى يمينما
وأخطب لنا وقل كلامنا
يمله الناسي أجيمينما

ويغري كامل الشناوى إلى التهنئة ويقف مستعدا بكلمات يديه على المائدة كعبادة
شعراء أئمة في الماضي ويقلى قصيدته الحماسية :

أى مولى صرت مهيمه
أجها الفاقه وضعمه
ما الذى أعطاك د ينى ؟
ما الذى ضيقت عنقه
كلما أتفكك الذى
هاتلا تطلب وعنده
يا أمينا فى ههروه
ضبح الخمار ههروه
أنت فى الأوزن كسر
أنت فى الأحرف ضمه
ليلى أبكى عليه
ليلى أختار بهمه

ويقدم الشاعر مأمون أبو شوشة قريحته ويلى قصيدة زجلية يهني فيها الزعيم
للخمرور :

الكأس فى الكأس
والفرقة فى رأسى
وانتو كترى
غليان محتاس
أل ايه يقول : - كان مرة زعيم
وزمانه قديم
ومتامه عديم
وحقيقته جهيم
وعامل آل ايه مستطى نعلنى
وزعيم آل ايه كل الأجفاس
المجد أموراج
والخلاق نورتاج
ولفاتوا لو جوراج

خالقة صيفاح
وشمعية بقية الحق يا يوليس
مجنون بسأهيه
وأغل مدينة
تأخذه مطية

ورسدهجيب الشاهر أحمد عبد المولى حجازي لئله الواجب الوطنى للزيف ويقول:

للجناديف
للجناديف توتول
تهلل
وتنادى
انت عيل
هامنأ شخص مفضل
ومفضل
أين راح

ياريسا
يا أغاريد الصباح
أسألوا « يلى » فبلى يمرله
شاربا من فون ترفى .. يصرقه
فاذا أذن الليل راحا يلقفه
والرصيف

اللوئيس البشاي تلقفه
هو في الصبح فائق لمرله
وهو في الليل ويزق لنفسه
وكانت آخر قصائد التهنئة لأحد رواد الكفاكيرا قصمها إلى كامل الشناوى اسمها
في السهرة فتولى القاصم بنفسه :

الصراصير والمناكب •
انت رأكب
وتسللت في الرايا صارب
انتهى هيد الأجانب
فهو صارب ثم صارب
عبر البحر دون قارب

ثم كان الختام للمجاد السهرة والفجر يوشك أن يبرز وسيارة الاسراف تصل
دون أن يستدعيها أحد .. إلى باب سيرايميس • والزعيم يحمل على الاعتناق • بينما
وزير العدل يرقب المشهد من غرفة غرقته بالدور العلوى وضحك • وضحك الجميع •
وانتظروا خدومه في الساعة • يوما وأيضا • • وانتقدته كامل الشناوى وعلق عليه
وكتب يقول :

« أخيرا إنجلي ، وظففت أنى لن أذكره حتى بالنسيان ، وإذا بي أبحث عنه •
كما لو كان صديقا القطعت اختياره • • أحسست أن عقليعى تريد أن تكتأب ، وكلمطري ،
وتستخرى على أريكته من جنوته • • ومن أفكاره التي تمبى في غيبوبة ا • •
وكما انتقدته كامل الشناوى انتقدته رواد الكفاكيرا بفسدة • وطننا مكسروما
أصابه • وركبت مع كامل الشناوى سيارة صلاح هيد الصبور • • وبسختنا عنه في كل

يلو وصبارة وروثة .. ونحيرا وجدناه في بار شعبي نخيش يواخه مسرح الأزيكينة اسمه « خمسة باب » !

كان يعرب كويا من الفنى وسط السكرى والضمورين .. وعنصا رأى كامل الشناوى تهلتت أساريره بالكاء .. و « أنا خلاص خبيت يا كامل بك .. أنا لازيم ولا حاجة .. بطلت الخمرة خلاص .. نلبي اشتغل .. نلبي اشتغل .. نفسى اشتغل .. نفسى خيانتها ! »

وفي اليوم التالي كان هذا الرجل يُرقد في مستشفى الإنجليز على نقلة كامل الشناوى . وعرفنا بعد ذلك أنه شفى تماما من الخمر وكابوس الرعامة وأمراضه الوحشية .. وتوسط له - رحمه الله - فالقطة بوظيفه مفتش تحقيقات بإحدى المؤسسات العامة .. فقد كان الرجل صاميا ..

كان كامل الشناوى كصاوية .. إذا لسا بالقصا .. استعدت يمينه بالصفح والإحسان ..

ولذكر قيسا أذكره عنه . أن بليخ حدى هبط علينا ذات مساء برجل فى منتصف الصبر . شاربه كيف كبا الأناظر الذى يرتديه . وجهه الصامد المصالح كثيرات صوته . نصب عقله غائب ونصبه الآخر لا يكاد يطر حتى يهيب ..

عرفنا أنه سينساقى مظلوم ومضطهد . والحقبة أنه كان عاطلا بسبب إدمانه للخمر والكبوف .. تهلتت أسارير كامل لهذه الهدية العشرية التى وقعت عليه من السيد . لذلك القادم الجديد من رواء الوعى . وأجرى معه عدة اختبارات عقلانية . أدرك بعدما أن الرجل مشكلة السالية لا أكثر ولا أقل . وليس حالة فنية درامية يمكن الزج بها فى صراع مع المثل . وإن عوموه وأزماته كثير الانشغال أكثر مما تثير الرغبة فى السخرية والضحك وتفيد رثابة الحياة .

وتوسط كامل عند بضى الأطباء لمعالجة . إلا أن إدمانه للخمر كان يلوذ وقبفه فى الشلل . وتوسط له عند أسفاته السينمائيين . فكانوا يكلفونه بأعمال ومطبوقة أجره مقدما . وهم يعرفون سلفا أنه لن ينجزها .. وأصبح حالة مستحسنة كثير الأسف والفيلما . ولم يجد فى النهاية إزاء سوى الاستسلام لصحبته .

وذات سهرة فى بيت القنائة نادية لطفي . لم يكن ثمة سمر من أن يصطحبه معه .. لقد جاء مع بليخ حدى الذى كان يطف على . وكان كامل الشناوى فى تلك الليلة فى قمة تالفه .. شاعرا ومحتفا وطريفا ووليا الليل . وبينما الجميع أذواقا صاغية لصوته يتهاوى وجهه بالفرح . إذا بنظره الثانية تقع على السينماتى للنمن ورسنه تمتد إلى أحد أذراج « الباهى » وطمع شيئا فى جيبه .

وكان شيئا لم يكن . يتنقق شعرا وعرضا .. متفابيا عما حدث . ثم يهمس إلى بليخ بكلمات . يستأذن بعدما فى الانصراف مع صديقه السينماتى للنمن بسجدة أنه على موعد هام فى بار « زورو مافى » فى شارع شريف .

وتحاول نادية لطفي أن تستغيبه . ولكن الشمسى يرحل قائلا : « طيسا .. طيسا .. حتى لليلاد بالإامره مع « الجنرال نايليون » وهو اسم الكورتياك الذى كان يحقسه بليخ .. »

ويضحك كامل ويقول : « يا جباعه ربما كان وراء الهام بلس جديد .. أوسب جديد .. » وما أكثر قصص الحب فى حياة بليخ . حيث لسب الضاعى الكبير فيها دور للمحرف لهفته الماطفة وللتنقد - أيضا - من وقوعه فى التهلكة الماطفية . وعندما كان حيه للمطربة وردة الجزائرية فى بداياته - كان شديد الضيق من شقيقتها التى كان يفرس نفسه على المقام حتى عندما يحتفلوا بالهامة . ونصحه كامل الشناوى أن يرتدى

بالطو ويضع في جيبه الحطايات الماطلية التي يكتبها لها . وكانت وردة تد يدما إلى جيبه وتأخذ خطابه أو تضع خطاها دون أن يشعر شقيقها .
 على أية حال فقد مضت السهرة بعد ذلك . بوجهة وكنا ونسرا . ووجهة يضعك كامل الشناوى من وراء قلبه ويسأل نادية لطفي . « حل ضحك منك شيئا الليلة ؟ »
 وتجيب في ذلك رثيق : نعم . فقدنا من سهرتنا بعض الأصداغ الأزهرا .
 ويعود يسألها : هذا عن السهرة . . فماذا عن الباهي ؟
 وتر لمحات وهي في دهشة من سؤاله . . ثم تخطر ببالها : « الباهي » وتفتح
 لدراسة . . تتسبح دهشتها وتقول : « أيوه صحيح . . كان فيه عشرة جنيه ؟ »
 وتنفجر ضحكات كامل الشناوى للصنوعة . . ويقتنها بأن ماحدث ليس أكثر
 من مقاب مدير . . ويرد إليها العشرة جنيهات من جيبه الخاص و . . « أبقى خللي
 بالك يا منام . . المال السائب يسلط السرقة » .
 وهكذا تخلص كامل الشناوى من هذا للآزق بلباكتة وإنسانيته . ودون أن
 تعرف نادية لطفي بحقيقة ماحدث . ودون أن يتال من كرامة ذلك الفتان الباس الذي
 دلف موجهته في كؤوس العسر ودخان الاصل .
 وتلك كانت حقيقة كامل الشناوى . رحيما بارا يمن يستحقون الططف
 والمساعدة . مداعبا للأراجوزات البصرية . والقائمين عن الوعي . قاسما مع البلهة
 والفالدين للخص الإيجاعي السليم . . وكانت مغالبه أو سهراته مرآة قضيح هيوب
 البهر وأخطاهم . . وتناقضات الحياة وعموضها . ووسيلته إلى اغتيال مساعا
 الليل . سهرها وأنسا ومرحها .



● وقد عرف كامل الشناوى الليل في طوخته فكرحه . لأنه كان يبنى المرة
 في البيت . والقراءة الإيجارية . والانتعاج عن ملاعبة أطفال الجيران في الليالي
 اللعرة أو ليالي رمضان . ولكنه في صباه وشبابه في حي السيفة كان الأمر مختلفا .
 عظم الليل والسهر والناس . .

في الليلة الختامية لولد السيفة رنوب . كان يصحبنا في جولة على الأقلام في
 جنبه « ماميش » وشارع الخليج وشارع السد الجواني والسد البراني حيث عاش
 أجمل سنوات نضوته وشبابه . وكنا نرحم منه أمواج البهر ونحن نتفجر على حكايات
 الذكر وسراقات التواشيع والمديح والفنائه الشعبي وسيرك الحلو . .

وأذكر في ليلة من هذه الليالي عام ١٩٦٢ وكنا في قمة النشوة ونحن جلوس
 حول في أحد المقاهي المطلة على ميدان السيفة يروي ذكرياته عن حياته في
 ذلك الحي . . هنا كان يقف عم اسماعيل يأنم الكبد بالدهشة كل مساء . وأشار إلى
 مكان يقم عند منحل حي طولون . . وروي كيف تعرف على محمد عبد الوهاب
 أمام عربة هم اسماعيل . . وكان قد جاء للفن الشاعر صيد الأسمر مع أحمد رامي .
 وهزم عليهما عم اسماعيل بأطبق الكنية . وقبل رامي الدعوة وأكل . بينما تألف
 عبد الوهاب معتبرا بأنه لا يتناول طعام السوق . وخصوصا « الحايك المرقاة » علا
 بتصيححة أحمد شوقي أمير الشعراء . . وروى قال عم اسماعيل غاضبا : « الرجل
 ده ميهوريش ناسية المربية تأتي ! » . فقد اعتقد أن محمد عبد الوهاب يتعالى على
 لكاه والطعام !

وسمعتا - بوله للماسبة - رايأ جديدا لكامل الشناوى في محمد عبد الوهاب
 بمناسبة هذه الواقعة الطريفة .

قال : (هذا هو الفرق بين عبد الوهاب وأم كلثوم . عبد الوهاب يصدق عليه

لذلك القائل : « الذي يضاف من الضمير يطلع له » . يخالف البرد . والممدود . ولذلك أصبح يخالف من مواجهة الجبالير .. ومخالفة الناس .. ولكن أم كلثوم ولدت في القرية .. وعاشت وسط الناس . وأكلت من طعام الموالد والأسواق .. ولذلك عاشت مطربة أطول من عبد الوهاب لأنها لم تكن تهيب الناس !!
وعندما سألناه رأييه فيها قال : « كلاهما قصة لم يصعد إليها أحد غيرها » . ولبيت القصتي قد التفتينا في شمرخ الشهاب . لأن لابننا للنفس لنا أهلنا وأجلد . ولكن المشكلة أنهما خلا لفرقة طويلة ينتقلسان على عرش الفناء . وكل منهما يحاول أن يوصل اليه جمهور الأخر . فلهذا أم كلثوم للجنس الخشن . وفي عبد الوهاب للجنس الناعم ؟
وفيما . فلم حديثه ووقف قائلنا . وسبقنا إلى السيرة . وركبنا معه . وعندما وصلنا إلى آخر شارع لتبديلي قال مستنرا لنا :

« أسف .. لم أستطع يدوني أن اسمع الفجر من مثذنة السيدة زينب !!
ولكننا لو : ولكيك يكامل بك تصب الأذن .. وقد سمعنا في بيتك تسجيلات نادرة لأذان الشيخ على محمود ومحمد وفست ومحمد سلامة » .

فصاد يقول : « تذكرت والذي فجة » . كل فابوتييس للعبة الفرعية بمناهلنا حي السيدة وكانت أواخره للشهدة في دون بقية آخرتي بعد السهر في أيام مولد السيدة . ولم يكن ذبني أن عصبته أومره . كنت أعلق السهر في تلك الليالي الفريضة وسط حلقات الضاء والصوفية والمجازيب والسمراتين في رحاب أم هانم . وكنت أتناول مع الفجر إلى حنونة ويشعر والذي يوقع أقداني على السلام . وكان تومه خلييا - برحمه الله - ويخرج من فرقته ليبدني أمامه . وعلى الفور كنت أتحول من الصعود إلى الهبوط . وكان يسألني : « على فين يا كامل ؟ » وكانت أجايني حاضرة :
لنزل أصلي الفجر حاضر في السيدة ويطلبني وهو يقول : « رينا يفتح عليك يا بني ! »

وفي بعض الليال كان يشعر بمركني وأنا أفتح باب غرفتي . وعندنا أطول براسي إلى أسفل السلم والذي بأعلى صوتي : « مين إلى طالع ؟ نيسال والذي : مين يا كامل » وأقول : « متجالي سمعت صوت طالع !! ويخرج من غرفته ليتأكد بنفسه . ثم يقول وهو يربت على كتفي : « خيش حد يا بني » . روح نام !!

وعد تفتحت مواهبه في اجافة فنون السيرة في مجلس القاهرة بعد أن استقر المقام بالأسرة في حي السيدة زينب .

كان والده الشيخ السيد الشناوي متزججا لأن ابنه يحوى التمثيل وكان يخشى أن يصبح « مشخصائي » . وكان له صديق حميم هو الدكتور محبوب كابت رئيس حزب العمال آنذاك - وكان يزوره في منزله بالسيدة كل أسبوع . ثم انقطعت زيارته فجأة عدة أسابيع . وعلق الشيخ وتوقع أن يكون السبب مكرها أو مرضا .. وخطر للفتي كامل الشناوي : أن يغير مقلبا . وجب استشارة في جمعية المسرح التي كان يرأسها . ووضح على وجهه : « لكيان » . وذلنا مستمرا وطربوشا على رأسه وتوكلنا على عصا على طريقة الدكتور محبوب . ثم قصد زيارة الشيخ الشناوي وسط حاشية من استضافته .. تلبسا كيوكب الدكتور .

وصعد للزوكب إلى غرفة الاستقبال ووجه الشيخ الشناوي وسلم وجلس ثم دار الحديث من الصنعة والأحوال . وقرعت « الكافات » على لسان الدكتور للزيب . وكان الدكتور محبوب يتكلم دائما بالكاف . حتى أن الصنعة الفكاهية في ذلك الحين . كانت تكتب اسمه مسبوفا بلفظ « الدكتور » .

ومرت ساعة قصت فيها التهرة والحلوى . ولما بالوالد يكتشف صوت ولده

بين اللغات للتجاسة • وهجم على عصمه وانتزعها منه • وأسرع كامل الشنواوى
واسدقلؤه بالجرى على السلم •

وذكريات كامل الشنواوى فى حى السبعة •• كتب علم بالعديد من قسمين
الماناة والنسب والأمل •• والضحك والسفرية •• فقد كانت مرحلة ظهور مواهبه
ولفتها وصقلها ••

• وكامل الشنواوى ليس مغلول الجفود بالطرف والنكتة واللقالب • فكل أفراد
أسره طرغوا وأبداء نكتة وأصحاب مقالب • ولكنه كان أيرغم جميعا بشكافته وخبرته
وذكاته وظروفه الخاصة بالنسبة والعكوز • وقيل لمن يقع غريسة ومسط آل الشنواوى
•• فإذا لم يكن بينهم غريب عنهم •• فويل لهم من يضخم اليهم ••

يذكر المحتز بالله الشنواوى - وهو أخ غير شقيق وأكبر منا من كامل - يوم
تخرج صاميا • وأحواله لافتة ضخمة كتب عليها « للمعلم امام للحكمة الشرعية »
تسلسل كامل ليلا إلى اللانقة • وأزال كلمة « مسلم » وكتب بدلا منها كلمة « دوراء » وطلبت
اللائقة هكذا عدة أيام قبل أن يتنبه للمحتز وبشكوه إلى والده • لكن كامل نجا من
المقلب عندما قسر تصرفه بأنهم يسكنون فضلا خلف الحكمة الشرعية وليس أمامها •
وزعم أن هذا هو المسمى الذى يقتضيه •

ويذكر مأمون الشنواوى يوما أراد فيه كامل أن يشتري كسافته مبيجة • اللطائف
للصورة • فلم يجد معه نقودا • ولكن مأمون لم يبدد مصروفه بحد ولم يكن ممن
يقبلون على شراء هذه اللجة • فلذهب إليه قائلا :

- ألم تعرف ؟ مبيجة اللطائف نشرت صورة جميع تلاميذ مدرستكم •

واسرع مأمون يشتري اللجة ليرى صورته • وبالطبع لم يجد صورة أى ممن
تلاميذ مدرسته • ولكن لهم أن كامل فاز باللمعة مبيجا •

ويذكر عبد الرحيم الشنواوى فترة تصعب فيها الطبيب كامل الشنواوى أن يأكل
كل يوم طبقا من اللبن والخبز للجنف • واعتاد عبد الرحيم أن يتناول مع شقيق
آخر ويلبسا نصف الطبق فى حفلة منه • وحار كامل وقرر أن يكتشف اللص •
فانتظر ساعة الاطوار • ووضع يده على قبة متوجسا • ولما سألته أخوته ما به أجاب :

- استأنى ! فزالت تزلجى بالزوم من • كمدت • اللبن والخبز الذى استعملها
كل يوم •

- أى كمدت ؟

- الموجودة فى غرفتى • كل ليلة أبل قطعة من القطن • واضمها على أمتالى •
ثم أضعها إلى الطبق وأكرر الصلابة !

ولم يكن بحاجة إلى أن يكمل حديثه • فالصبيان حيناً عن الاستمرار فى تناول
الطعام • ونهضا بالفلان مالى جوفيهما • كاشفين بذلك عن جريمتها •

ودخل الشيخ سيد الشنواوى يوما على كامل • ووجهه يلبس الورق مع عدد من
تصدقاته الصبية فصاح غاضبا :

- ايه ده ؟ •• بتلبسوا قمار ؟

ولم يتردد كامل لحظة • كان يعلم أن والده ظل طول حياته من البيت للمسكنة
وبالعكس • فلا علم له بالقمار ولا يثيره من المحرمات •• وأسرع يجيب :

- أبدي يا بابا •• ده بوكر ••

- صحيح ؟ نوعى يكون قمار ؟

- والله العظيم بوكر ••

واقفنت الزوائد الطوب •• وغادر الغرفة وهو لا يعلم أن طفله ضحك عليه •

• نمت ملكة الظرف في كامل الشناوى ، وصقلت مواهبه الضميمة وأجاد فنونها بعد أن أصبح صحنيا وشاعرا مرموقا . حيث انتصت أمامه مغاليتى المجتمعات وقلوب البشر .. وكانت صداقته لئيشا الظريف حضى محمود شقيق محمد محمود باشا زعيم المستورين مضرب الامثال فى الثلاثينيات والاربعينيات .

وكان محور هذه الصداقة - عشق الليل والسهر وحبك القالب ورغزة البشر . وكسر المألوف فى التقاليد أو السلوك الاجتماعى - وكانت لسهرات الصديقين دوى مسجوع فى ليل القاهرة . مما يحدث خلالها كل مساء من طرائف وصغريات تفوق خيال اعظم كتاب الفن الضاحك !

البقى كامل الشناوى ذات يوم بشيخ طريح عجيب الأطوار ولتسمه الشيخ « الجندى » بضم الجيم . قاصه ينتهى بلقب مرادف . كان يعمل خادما « مفضه » فى أحد المساجد . وقرر كامل الشناوى على الفور أن يكون ملهاته والموبة يبدد بها رقابة الحياة وجودها - ونجوى - قراء صحيفة الأهرام باسم الشيخ « الجندى » يذيل بعض التحقيقات والأخبار . ثم إذا به فيج لامع فى مجالس كامل الشناوى وصديقه حلى باشا محمود فى بار اللواء .. يستمعون إلى نوادره الرقيقة وغرامياته النسائية وذكراته مع الفقر « حراية » الأزهر وهى بعض أرغفة السيف الياپس التى كانت تودع كمين يرمى على الطلبة « الجاويرين » فى الأزهر الشريف .

وهما بعد يوم .. تفلت ذكريات الشيخ « الجندى » ولم يعد لديه جديد يفتح به مكانا لنفسه فى مجلس كامل الشناوى وقلبه ، حتى أصبح عبثا على الشاعر الكبير نفسيا وماديا .

لم تكن طلباته تتقاطع عن توظيف أقربه الرقيقين فى دولوين الحكومة عملا بلئلل القائل « إن ماتك الميرى » الترخ فى قرابه « . ولم تكن طلباته على حساب كامل الشناوى وحضى باشا لتتقاطع مأكلا وشربا .. صولا فى حضورهما أو غيبيهما حل الحساب !

وكان - رحمه الله - يسأل الشيخ الجندى سؤالا محمدا عند قدوم الجارسون « تشرب ايه » وكان الشيخ « الجندى » يتغاضى عن السؤال ويجيب « الكاددة » بأكمل بك .. رز بالكلاوى . ويقول له كامل الشناوى : يابنى آدم يسالك تشرب ايه مفي تاكل ايه ؟ . ويقول الشيخ الجندى : « بقى كنه » .. طيب سلطانة شربه واحد اسكالوب يابنى من فضلك .

وشاق به كامل الشناوى شيئا شديدا ولم يكن هناك بد من الانتقام العاجل .. كانت عادة الشيخ الجندى أن يعرف حقيقته وسلمة تضم مغاليتى مكتبته وشقلته على لائمة - وينرج ليضى بصى الأعمال ثم يعود لواصله جسطه فى بار اللواء . وخلع حضى محمود منها محتاج الشقة ولعطاء لساتته وأمره باستخراج لسخة منه على وجه السرعة .. ثم أعاد المفتاح الاصل إلى السلمة . وفى اليوم التالى عاد الشيخ الجندى إلى مجلس كامل الشناوى وحضى محمود حزين ميتش .. وعندما ألقا عليه بفسرفة أصباب سزله وابتئاسه .. استخفهم بالله ألا يذيموا السر .. وحلوا .. وعندئذ أنقضى اليوم بالسر الخطير .. فقد عاد إلى منزله وفتح باب الشقة . ليجد على سريره ورفه عليها شمار عصاة « اليد السوداء » لتكون من الجسمة وعظمته وتضعه انذار

بمقدارة الشقة خلال أمبوع واحد والا كان الاغتيايل والموت من نصيبه . فلذا نلنا في تنفيذ الأمر أو أخير أحدا بما حدث جعلت المصابة تنفيذ الحكم !

وطمأنه كامل الشناوى وحظى محمود بأهبا لن يفيرا أحدا بهذا السر الخطير .
واعتاده بالبحث فورا عن شقة أخرى .

وجاء الشيخ الجندى الى مجلسه ذات مساء مهلهلا : مختلاص فرجت يا كمل بك ..
لنبت شقة واسعة وكريمة ورحيمة .. شقة عال المال على الحسية في منزل
تسكنه أرملة وحيمة .. عاوزك تأخذ حطنى بلشا وتقابلو أخوها الجزار وتوسيطول
عنده فى تأجير الشقة الله يصبر بعتكم ..

ولمحت المعلومات عن الشقة والأرملة والجزار فى رأس كامل الشناوى وحظى
محمود كالكمبيوتر .. وكانت النتيجة أن هناك احتمالات قوية لتدبير مقلب آخر أكثر
يعلما للشيخ الجندى .. واستفسرا منه عن عنوان المنزل المذكور ووعده خيرا .. وحلى
الثور ركب كامل الشناوى مع حطنى بلشا محمود فى سيارته الرسمية التى ترلوف
عليها أعلام الدولة .. وكان يومئذ وزيرا للمواصلات و .. الى حى الحسينية ..

فتحت لهما باب المنزل بلايس الطور والترمل . بوجه حزين وقور . يجسده
مترهل فقد الأمل فى الزواج وألقى بهومه الأتوية فى الصلاة والعبادة والطعام . فتحت
سيارة الوزير وأعلام الدولة وأبوة الضيوف وقالت مرحبة ومى تلتح الأبواب على
صايرها :

يا التميمت مرحبة بقتاس الأكابر .. انتظروا فى فودة المسلمين (الصالون) .
بعد ربع ساعة شربا القهوة المحرجه .. وجاء شقيقها الجزار مدهولا من محله
بعد أن أرسلت فى استعجاله .. واختليا به وفاتحه فى الموضوع .. ولكن .. أى
موضوع ؟

— يا معلم احنا جايين فى خير .

— خير أن شاء الله .

— طالبيين أهد السيدة لصونة شقيقكم لأخونا الشيخ الجندى ، وهو راجل
من الصالحين مثلكم وله مركزه الصغرى المرفوف .

— على المين والبراس .. اتحم تأمروا واحنا علينا الطاعة .

— احنا لنا طلب وحيد نظل أنه فى إمكانكم .. يكون عقد القرين بأذن الله
مساء الخميس القادم .. لأن الشيخ الجندى مسافر فى مهمة صعبة إلى الشام يوم
السبت .. وكل طلباتكم من الشبكة وناهر مجابة بأذن الله .

والقسم الجزار أيمانا مغلظة على أن تكون نفقات الفرح من جيبه فلا تلتصحن
والحمد لله .. وهو لا يطلب إلا الصبر لمصيقته الأرملة .. والشقة موجودة وجهاز
للمرحوم مازال جديدا ..

وخرج المعلم يودع كامل الشناوى وحظى بلشا محمود حنى ركبوا السيارة
الرسمية .. وهنا تذكر كامل الشناوى أن هناك خفرة ما فى القلب للنتظر .. والتفت
نحو الجزار وقال له : هناك مسألة نصب أو تعرفها من الآن .. وهى أن الشيخ يمانى
من مرضى النسيان لأنه دائم الخلوة فى ملكوت الله ولكنها حالة طارئة لاستمر سوى
بضع دقائق .. والأمر يحتاج كما قال الطبيب إلى خبطة فوق رأسه وسرعان ما يسود
إلى حالته الطبيعية ويذكر كل شيء ..

وجاء الشيخ الجندى يسأل عن نتيجة المقابلة .. وأبلشه بأنها فاشحة المعلم فى
الموضوع وأنه وشقيقته فى انتقاره مساء الخميس لتوكيح . عقد وإيجار الشقة ..
وفى الموعد المحدد .. كان الجندى « متقلبا » فى جيبه « مقلوفا » عمامته

صائرا عينيته ينظره جوده ونم أن الوقت مسه .. ولم يكن في حاجة لأن يطرق باب الإمرة الوحيدة .. كانت مزينة حسب الله في شرف استقباله ، وسلام مريم ياجدع للمريس .. وزغاريد .. تلمع .. في النوافذ .. والجزائر يأخذه بالاحضان قائلا : أهلا بابو حسب .. بينما الشيخ الجندي في دهشة مما يحدث حوله .

وفي « أودة المسافرين » وجد جسما حائشا من الرجال في انتظاره .. جزائرين ومصلين وأندية مصاحفهم « مبروكي مقفلا يمولانا » .. ويطاول الشيخ الجندي أن يتخلص من النازق موشعا أنه لم يأت لتوقيع عقد الزواج ولكن لتوقيه عقد اختيار الفتاة تنهال على رأسه خبطة قوية بقبضة الشقيق الجزائري إحدى بالله ياشيخ جندي ومعضضناش .. قول انك المريس ووقع العقد ..

- يا معلم أأنا جاي هلمشان عقد الفتاة -

- وتنهال الخبطلات فوق رأس الشيخ الجندي تباعا كلما رفض الاعتذار بهاته

المريس لموعود ..

- يا معلم ده مطلب .. صديقي ..

- وكمبان حاتيب في الناس الأكاير ..

وتتتابع الخبطلات فوق رأسه من جديد .. لم يصادف الشيخ الجندي بعد ذلك التردد على يار الثواء ولا أكل الرز بالكلاوي على حساب كامل الشناوي وحفني محمود .. ولكنه عاود سكتي شكتي في العظمية بعد أن فهم حقيقة المقلب الأول ومغزى للمقلب الثاني !



● ومقابل كامل الشناوي في الوسط القسي .. كانت ومازالت حديث أهل الفن من عرلوه وحاشوا سهراته .. ومنازل للأسف على هذا الرمان الرائق .. وكان الله حينما خلق الهوم ، شاء .. من لطفه بمباحته .. أن يخلق قوما موكلين بأذلتها ومن طلائعهم كامل الشناوي وأمثاله من الظرفاء ..

كان يسهر مع المغرب عزيز عثمان وزوجه الفاتنة ليل فوزي في فندق مينهااوس . وجاء الخرمون يحس في أذن عزيز عثمان : تليفون هلمشاك يا مسعدة اليك .

وتوجه إلى كايينة التليفون ليستمع خبر حريق غرفته التي كان يسكنها في فندق الكونتيننتال . وركب سيارته وتوجه إلى الفندق على عجل - وفتح غرفته ليجد عددا من آثاره سيكون وينتحيون ، ومقرنا يتربع على سريره يقرأ القرآن على روجه ولهم عزيز عثمان المقلب الذي دبره كامل الشناوي ليثار به من كلمات تناثرت على لسانه ذات ليلة في حق الشاعر الكبير .

وكل صاحب في المحلل سعيد أبو بكر فنه ووفاه لإصداقائه . ويسفر من نظامه الدقيق في التعامل مع المال . ولم تكن حلايا سعيدة لأصدقائه تتجاوز نصف كيلو من الجبن المدبل كريم أو نصف كيلو زيتون قبرصي . وكان يرحمه الله لواقعة - يعرف طريق كل جيد من الطعام .

وبما حادته بالتليفون وأبلغته أنه دعا خمسة من أصدقائه العرب لتناول الشواء وطالب أن يكون الطعام رفعا مضوية وضلة وسلطات متنوعة والأكهة وأيس كريم . ثم قال له : عاود المزومة كاملة ..

- امت تأمر يا كامل بك ..

- حانوصل الساعة 8 مساء ..

- تقدر ..



وحضت الثامنة .. والمطهرة .. وعند منتصف الليل حصل به كامل الشناوى
شاحكا : أسد جدا يا سعيد .. الضيوف تبتائين من السفر .. ابقي وزع الأكل
على للمسافرين وأبناء السبيل .

مقابل أخرى سافرة .. كانت لكامل الشناوى في الوسط الفني .. لما معروف أن
قصائد كامل الشناوى في معظمها من الشعر الذي يصلح للتصريح والفناء .. بل أن
أحد الموسيقيين اكتشف أن بعض لشعره كانت استلهاما للموسيقى الكلامية
التي كان يجرى صياغها .. وأنه استوحى - على سبيل المثال - السيمفونية الخامسة
لبتهوفن حيث تعبر حركاتها عن ضربات القدر وإصراره في البيت الذي يقول فيه :

ثم كانت سمرة كالنار .. كالنهار .. كالقدر العتيق

وكامل الشناوى له كثير من القصائد التي تحولت إلى أغنيات - وكان يكره أن
يطلب منه مطرب أو موسيقي أن يكتب أغنية خصيصا له - وكان يقول : « أنا شاعر
أنامل بتجربة أو أخرى وأكتب شعرا - ولست يشاعر » ترقى » يصلح القصر على
مقاس الأصوات والأحضان »

وكان للمطربون والمطربات وللشعراء وللمتلحنين بعض قصائده الصالحة للغناء
والتلحين ، وكان يقدمها حفايا لاستغفاله .. ولكن عندما يكون الأمر متعلقا بالتجارة
والكسب ، تتبدل طلب كامل الشناوى إلى للجور لمرأته من القصر .

من أشهر أغنيات كامل الشناوى « الخفايا » التي غناها محمد عبد الوهاب
في فيلم ، لست ملاكا » - وقصيدة « أنت في صمتك مرغم » والتي تحولت بعد
ليرة ٢٢ يوليو فأصبحت « كنت في صمتك مرغم » وغناها محمد السوهاب أيضا ،
وأغنية « حبيبها لست وسدا » وغناها عبد العظيم حافظ . و « على باب مصر تبتق
الألف » وغتها أم كلثوم و « لا تكذبي » وقد غنتها نجمة الصغيرة وعبد العظيم حافظ
وعبد الوهاب . وسجلت بصوت كامل الشناوى في الاذاعة ، وكان هناك اتجاه لطبعها
على أسطوانات وكاسيت .. و ..

وكان كامل الشناوى أكثر ما يكون اتصالا وتأثرا عندما يأتي يوم عيد ميلاده .
وكان يشعر في ذلك اليوم بوليد يكاد يسمح إيقاعه لمرحلة الساعات والشناوى .
وذكر في إحدى مناسبات عيد ميلاده أن يهرب من الدعوات والحفلات والتهاني
والهدايا التي تعودها في ذلك اليوم .. وقرر أن يسافر إلى قرية ومناطق رأسه
« نوسا البحر » وهناك زار ملاعب الطفولة والصبا .. واسترجع ذكريات البراءة والفجل
والانطواء .. والأمل للنشوء . وعاد إلى القاهرة بعد أن جمع حصاد حياته وهو في مرحلة
الكهولة .. فلم يجد أمامه الاكومة من الآلام والجراح والنموح .. وكتب قصيدة عيد
ميلاده يرثي فيها نفسه :

حدث يا - يوم مولدى
حدث يا أيها القسوى .
الصبا ضاع من يدى
وغزا القسيب طسرى
ليت - يا - يوم مولدى
كنت يوما بلا حسد !
ليت أنى من الأول .
لم أعض هذه الحياة
عشت فيها ولم أزل
.. جاحلا أنها الحياة !!

ليست أنى من الأزل
كتبته روحاً
: ولنسب أزل 11



أنا غير بلا شيب
وحبيبة بلا ربيع
أشبهتني الحب
بالصنابل
أشتره

لمس من يبيع 12

وعندما نشر كامل الشناوى قصيدته استأذنه فريد الأطرش أن يلحقها وبقيتها ..
ووافق كامل الشناوى رغم أن الصداقة بينهما لم تكن قد توقفت بعد .. فقد عرف
فريد الأطرش كامل الشناوى متأثراً جداً إلا أن فريد الأطرش حذر له أن موافقته تمنى
مجرد حدية بدون مقابل .. وحاول إقناع فريد الأطرش - بعد أن قسمها إلى حفل عرس
الربيع استغلاً بقسم السهم - بفتح الجبر ولكن لم يفهم .. وعندئذ وسط جليل البندري
لافهامه .. وتفتح في مهمته وعاد يشيك بمتى جنيته .. إلا أن كامل الشناوى تاروفض
قبول الضيعة لأنه أقل بكثير مما يستحقه كضامر له مكانته للمروعة واعتبرها مسوء
تقدير لفته .. وبدأ يشعر صلاحه اللاذع في وجه فريد الأطرش .

ورى لنا أنه كان يجلس مع فريد الأطرش في يوم فتنق «سيسيل» بالاسكندرية
وحمل عليهما المفكر الكبير لطفي السيد .. وتهنى كامل الشناوى بصاحبه وقدمه
لفريد الأطرش : لطفي السيد استاذ الجيل .. وإذا بفريد الأطرش تبسو عليه
أمارات المحبة والتعجب وهو يسأل كامل الشناوى : ياه بقي الراجيل المجرود ..
هو اللى جابوه بدل أنيس منصور في مجلة «الجيل الجديد» .. و .. لم تكن القصة
يرمها أكثر من تضيعة ساخرة .

وتفق أصداؤه فريد الأطرش إليه ما يرويه عنه كامل الشناوى من تشبهات
وسخرات لاذعة .. وأدعى الأمر وقدم للضامر الكبير ألف جنيه ثمناً لقصيدته
«عيد الميلاد» وهو الثمن الذى كان يتقاضاه كامل الشناوى آنذاك مقابل تصانفه للفتاة
ولكن فريد الأطرش حاول أن يثار لنفسه من سخرياته وتشبهاته حين قدم مسودة
مشهورة للصحفيين في فيلم «رسالة من امرأة مجهولة» الذى قام ببطولته ..

وعاد كامل الشناوى يشعر فساخته .. وقال أطمع أحد النقاد الفتيين رايه في
الفيلم وشحن مبرحاً عتيقاً منه لأنه أمان الصحفيين ثم اتبع حديثه بقوله أن أحد
الليبانين الثقافت أكد له أن فريد الأطرش لا يقتنى من قريب أو بعيد إلى عائلة
الأطرش المشهورة التى تسكن جبل الفردوس ، بل يقتنى إلى أسرة تدعى «كوس» وإذا
بالنائد الذى تنطلي عليه التشنيه ويكتب مقالاً طويلاً يحمل مبرحاً عتيقاً على الفيلم ويضع
ذلك بتأكيد اتصاله إلى عائلة كوسه وينتفى أدنى حنلة لفريد بال الشناوى .

وكان المخرج محمد سالم قد عاد بعد نجية طويلة في أمريكا وأدرك كامل
الشناوى مدى البعد الزمنى الذى فضلته عما جرى في مصر من متغيرات .. وعندما
طلب من الشاعر الكبير تصيحته ومساعدته في اختيار العمل الذى يبدأ به
تسلطه في التلفزيون ، أشار عليه بالاتصال بفريد الأطرش والنائبة بالواقعة على ظهوره
في حفل فنى مشترك مع شقيقته أسيمان وقال له : ربما رفض فريد وربما ادعى أن

استهان غائبة عن حصر أو أنها ماتت . ولكن عليك أن تلح ولا تياس . وتوجه سعيد
سالم إلى فريد الأطرش . وكانت المقابلة بينهما عاصفة . اتفق بينهما فريد الأطرش
بضرورة إعلان الهدنة وصالحية كامل الشناوى والاعتذار له .

وعندما تمت بنظر هذه الواقعة في تحقيق صحفي بعد وفاة كامل الشناوى .
أرسل محامى للرجوع فريد الأطرش ردا يؤكد فيه أن نس الأغنية لم يكن سببا في أية
حلافات بين فريد وكامل الشناوى . وأن الصلاوات بينهما ظلت حميمة حتى النهاية .
وأن كامل الشناوى لم يرح بتشنيعه « كوسة » لأحد . . . وقد ظهرت الرد كاملا في
روز اليوسف في ديسمبر ١٩٧٨ .

والحقيقة أن الأغنية كانت حبالا للمسئومة وبلغ علمى أن كامل الشناوى لم
يكن يقبل المسئومة في الأجر الذى يستحقه لكسائه . فلما أن بدع الأجر كانا .
أو لا يتم التصالح عليها . . والخلاف حدث لأن القصيدة كانت قد لحدت وغناها فريد
الأطرش في الفيلم قبل أن يتم التصالح . .

هل أن كامل الشناوى لم يكن ليعمل لأحد الفنانين إلا التقدير لفته وموحيته .
وقال فريد الأطرش بعد رحيل الشاعر الكبير : « من سوء حظي أنني لم أعرف كامل
الشناوى من قرب إلا منذ ثلاثة أعوام قبل وفاته . اننى لقدم على مائت قبل ذلك . وحلال
عنه الفترة القصيرة التى عرفت فيها كامل الشناوى كانت معرفة الاحوة والصداقة .
لقد أحببت كامل وأصبح قطعة منى : كان صديقا وأخا للجميع . أحب الأهل لأنه فنان .
وإصطفى الفنانين والأدباء من روحه وقلبه الكثير . لقد فقدنا صوت كامل الشناوى
الأخ الهوى . . والفنان الحساس » .

وهكذا عاش كامل الشناوى لا يترك أحدا منه ينكته أو سخره أو سلب
إلا وسارع بمصالحته أو مصافحته أو صداقته . فالأمر عنده . . لحظات عابرة . . في
حياة عابرة . . ولا قيمة لشيء ولا شيء . . وكل إلى زوال وقته وحياته الإنسان
لنوق الأرض قبض الرجع . .

في ليلة مقمرة من ليالى الصيف . دعا كامل الشناوى أم كلثوم وبعض
اصدقائهما على المشاء في فندق « ميناموس » وهناك فوجئ بأن الطبخ الخلق أبوابه
ميكرا . وبدأت أم كلثوم تدفقه وتسخر من معلوماته عن مواعيد المشاء في الفندق .
ولم تلك الملاحظات شامد سيطرة تتوقف أمامه . ويحمل العمال منها صينية كبيرة
فوقها خروف مغبى مغطى بالكسرات . وسأل أحد العمال عن صاحبها . وعرف
أنها أعدت خصيصا في أحد المطاعم الشهيرة لمشاء لمطرب محمد أمين الذى كان يسكن
الفندق . وكان يقضى شهر المسك مع زوجته الفنانة مديحة يسرى .

واسرع كامل الشناوى إلى أم كلثوم وقال ضاحكا : الحمد لله ربنا خيب ظنك .
المشاء طلبة للترودفيل من الخارج خصوصا . لأن الطبخ مقتول اليوم قبل مواعده
بسبب الإصلاحات المحلية !!

وصحب كامل الشناوى أم كلثوم وضيوفه . . وسعدوا برونه الصغيرة إلى الدور
الطوى . . ثم دخلوا خلفها إلى جناح البرومين . وكان في ضيافتهم للوسيفار محمد
عبد الوهاب . وبالطبع رحب الجميع بأم كلثوم . . واقتسوا الخروف المشوى . .
وكانت ليلة من ليالى الصرغى فيها منه عبد الوهاب أغنيتهما « يا ظلمنى » وغلبت
أم كلثوم أغنيته جبل التريلا . . وتغلب كامل الشناوى من الماذن بكأله وحلة ظله .
ويوما دعانا الكاتب الألكسى الشهير محمد كامل حسن لطفي - رحمه الله -
على المشاء في منزله بالهرم . احتفالا بولادة لولمى الموسيقية لعيد الرحمن العيسى
شجاة . وكان قد وضع قطعة موسيقية سجلها على اسطوانة . وجها الأول بعنوان
« لولمى » والوجه الثانى بعنوان « شارع الهرم » .

وطلبت الفنانة برلتي عيد الحميد - وكانت بين المنعوين - سماع الاسطوانة .
وقام الخنيسي ووضعا على « الترامبول » وقال : « نسمع أولا موسيقى لومويا » .
وعندئذ غانله كامل الفناوى وقلب الاسطوانة على الوجه الذى يحمل اسم
شارع الهرم . الا ان الخنيسي استمر يفرح موسيقى لومويا بينما صوت الموسيقى
ينساب من الترامبول .

... الحركة الأولى وعنى القلم الذى عاينه حسب الكوتيجر . والحركة الثانية
ليس عن النضال ضد الاستعمار البلجيكي . والثالثة تمثل مؤامرة اغتيال لومويا .
والرابعة تصور مشهد انتصار الثورة .. وقاطعه كامل الفناوى ضاحكا وقيل :
والحركة الخامسة تصور الرقص العرقي في شارع الهرم ..
وأدرك الخنيسي للقلب . وفهم مغزاه . وضحك مع الحاضرين .



● ولم تكن موهبة كامل الفناوى الشعرية للتفتحة وحدها هي كل مؤهلته الى
الصحافة ومجتمعات الفنانين والسياسيين ومجالس الادباء .
كانت مؤهلاته الأساسية في مقبول حياته العملية تكمن في السرية بكل
الزوايا من التكتة الذكية الى « القفصة » اللبابة . الى تقليد الأصوات الى انقلاب .
لم يواجه الرامية للفكر . وحفظ لفسر المحتئين والاقصمين .. ولتجرا نظم البشر .
عكذا بدأت صرخته بطله حسين . وأنطون جميل . وأحمد شوقي . والسفاد .
وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من عمره . وحكلا صانقة السياسيين وروؤساء
الحكومات والوزراء والباشاوات . وهو في الخامسة والعشرين .
ولي أجراء هذه المجتمعات لم كامل الفناوى الشاعر حتى أصبحت شهوره
كشاعر تعادل شهرته الصحفية . وكان يلقى آخر طرفاء عصره وأكثرهم ثقافة وشاعرية
ورقة وفيها لطبايع البشر !

كان يقول عن نفسه : « بدأت حياتي الصحفية أدبيا يعزى الصحافة - والآن ان
صاحبي يعزى الادب » . والحقيقة أنه كان عابرا دائما . عابرا من الادب الى الصحافة
من الشعر الى الفن .. وكلها مسالك تؤدي الى المجتمع والناس . ولم تكن صحافته أو
سفراته أكثر من وسائل يخصص بها الدنيا . ويجهل لنفسه فيها مكانا .
ولذلك كان أدب صحافته بالمجتمع ، يكبر بكثير أدبه الزائع للكتاب . وكان في
روايته للشعر كما يقول الشاعر الأسباني « جوميا لوركا » : ان الشعر يحتاج في
إيصال معانيه الى الناس أصواتا بهرية وليس حروفا جليسة تدور بها لطابع !
ويقول د . لويس عوض . « كان كامل الفناوى مجتادا من طراز بلدو . ورواية
لأشعار القداسي والمحدثين ونوادرهم لا يطق له غبار . حتى لتكاد تقول أنه أحسن
مدرسة الظرفاء الذين حدثننا كتب العرب أنهم ملأوا بلاط الأمباسبين بهجة وبهاقة
وحكمة من حكم الشعراء . ولكنه فوق هذا وذلك طفر من قدره بما لم يظفر به محدث
أو راوية . فقد كان أغنية طيبة شجيبة في ثم جيلنا . أوقشارة مملكة بدوية الصنع
للبيلة الأوتار . ما لن تمسها نسبة من التسميم حتى تبيض بالانفلام . فتعجبنا من
حولها الأصمده . ولأنه قليل الأوتار كان قليل الفناء ضنين الانفاس . ولكن هذا
القليل الضنين . كان وحده كافيا لأن يكتب له صحفة في تاريخ الأدب العربي . أما
نحو الذين عاصروه فقد سمعنا منه شيئا غير مأثور أو تارة القليلة الضمنية . سمعنا
هذا الصنف الرنان لا يكتب عن المهمة والجيشان بانظم لم تكتل . وبأسفله
متلذذة مالهيا من نهاية . ولأنه صدر علقى أسطوري لكل دلة من زفراته وجع في
الوديان صوق ! »

• وكان كامل الفتاوى متمكنا ومقتدرا في أثناء الشعر • كان يصكس بصوته موسيقى والوان الشعر • ومساتيه وأحاسيسه • كان يتألم ويتهدج في مواضع الفجر • وكان يتصاب بشرا وتلاؤلا وهو يصر عن الفرقة والامل والحب • وكانت له القدرة على السخرية بصوته حتى من الشعر الجيد • • فلذا به يصل الأسباع من شتيه ذكيا غافها مكسور الابيات بلا نفم ولا طرب • فاذا أراد أن يضفي الروعة والجزالة على الشعر الركيك • • طافعه أدق وسوته أيضا • • ولذلك كان يتغنى الشعراء • • وخاصة خصومه من الشعراء المحذئين • • وكان أحاذه لأشعارهم أنظر بكتير وأشد وقعا من نفسه لهم • • وكانت لكامل الفتاوى الكثير من المناوشات وذكرات ضاحكة لاتنسى في أوساط الأدباء والشعراء :

يروي الصحفي اسماعيل التقيب هذه الحكاية :
 كان شيء كان ينام إلا عيون وعقل كامل الفتاوى • ففي ليلة من ليالي الخريف • كنا في الاسكندرية لحضور مهرجان الشعر • ورجعت مرهقا إلى الفندق الذي يقام فيه كل الأدباء والشعراء الذين اشتركوا في المهرجان ومن بينهم شاعر الليل كامل الفتاوى • وما لي دخلت غرفتي حتى دخل ودائي وطلب ورقة ليبل على كلمات • وقال : سأقول لك قصيدة على نبط القصيدة الجاهلية التي ألقاها الشاعر • فلان • وهو شاعر معروف ولا يزال حيا • • كان قد ألقى قصيدة في تلك الليلة وردت فيها كلمات غير معروفة للمسلمين مثل كلمة « الهزير » ومثامها الأبعد • وكلمة « أبو المنزرة » ومثامها الديك • وسأتهن جالوسي مع الأدباء والشعراء ليلا • • ثم أعلن أن اسماعيل التقيب استطاع أن يحصل على نصر صحفي • فهو قد ضبط الشاعر • فلان • وهو يكتب قصيدة غزلية في حب الشاعرة « فلالة » وكانت من المشتركين في المهرجان • ويأطبع سوف يصق الحاضرون • • لأن لهذا الشاعر مؤلف سابقة في ذلك • فقد كتب ديوانا كاملا في حب شاعرة سورية خلال حضوره مهرجان الشعر في دمشق • واتفق كامل الفتاوى معي على أن أجلس بهجراه في صالة الضيفاء وهو يروي هذه الأخبار الجديدة عن علاقة الشاعر بالشاعرة • ثم يمد يده فجاء ليخرج القصيدة من جيبى • • وأطلقنا !

ولم يكن كامل الفتاوى على قصيدة جاهلية طويلة كان مطلعها :

لأن كنت أنت الطيب في حاليق الذي
 فاني حزين القناع والبيد والهضب
 وتلك إن الحب عطفه عشتيق
 وتعلم بل مغربوب القرم بلا ذنب
 فلا هم غفرا • • ثم صغعا وجفا
 في اليها قرقر غير متعب
 ولو بر طبي بالعتيق مدال
 ففرت اليها طائر القلب والحب
 لا وإحسانوني يارك الله فيكم
 لي جنبها أو فاحلها أو جنبها
 فما ليك من ذكرى حبيب يجلق
 وكانت لنا عيشا فنون من القلب
 بلاد إذا علس يلمس تراحمها
 فيورك من جلد ويرك من تسموب

وفي حبيب القصيدة لا سمحنا ملوحة
مكسورة الألفاء تلمس في قلبى
ألا واذكروني بإذن الله فيكم
على الأرض ذات السورج والضرع والمشب
وكأن الهوى من كل شمس ملوحة

وقد انصرفت كلنى فقلت لها : صبرى
وفي صلاة الضحى منك الحكاية بطريقه القريضة . وأصبح الكل في لهفة الى
سماع القصيدة . خصوصا ولد قال بيتا واحدا منها . وإن هذا البيت هو لفظ الذي
يستطاع أن يلتقطه من القصيدة . وفجأة تمتد يده الى جيبى . وقرأ القصيدة وسط
صياحات الصافحين . والكل يطلب إعادة قراءتها . وصلى الناس الكلمات التى اتفقا
عليها في ليلة من ليالى كامل السنارى . نام فيها كل شيء إلا هيوته وعقله .
وكانت للشاعر الكبير قصة طريقة مع الشاعر أحمد عبد المظي حجازي وهو
أحد شعراء المدرسة الحديثة . فقد كتب حجازي مقالا في روز اليوسف عام ١٩٦٢
كشف فيه عن خطايي وقع فيها كامل السنارى وهو يظم شعراء .

كان الخطأ الأول في قصيدة « أغنية عربية » وقد جاء فيها هذا البيت للمكسور:
ثم كانت صرخة كالنار .. كالتيار .. كالقند العنيد .
فألتصيدة من بحر « الرجل » الذى تكرر فيه وحدة موسيقية هي « فاعلن »
ولهذا فالدال المفتوحة في كلمة « كالقند » كان يجب أن تكون حروفًا ساكنًا كان
تستبدل الكلمة بكلمة « كالنهر » .

أما الخطأ الثاني . فقد جاء في قصيدته الشهيرة « لانتكدي » التى جاء فيها
هذا البيت للمكسور:

ماذا أقول لأدع .. منجها أشواقى إليك ؟
فألتصيدة من بحر « الكامل » الذى تكرر فيه وحدة موسيقية هي « متفاعلن »
ولهذا فكلمة « منجها » تكسر البيت . لأن حرف « الهاء » يحتاج الى لاد .. والله
يكسر البيت .

وختم حجازي مقاله قائلا :
« والحقيقة أن مثل هذه الأخطاء يقع فيها شعراء لاشك في شاعريتهم ويكفي أن
نذكر مثلا أن الشاعر الجاهلي « عبيد ابن الأبرص » الذى كان معاصرا لامرئ القيس
كان يقع كثيرا في أخطاء الوزن مما جعل النقاد يقولون عنه أن شعره مضطرب . وكنت
أحب أن يلتفت الى هذين الخطأين هؤلاء الذين يمثلون حياتنا الأدبية ضجة خادعة
باسم المحافظة على مأسود الشعر . خاصة بعد الشهرة الكبيرة التى نالتها القصيدة
من طريق التلفزيون والفيديو .. »

وكتب كامل السنارى مقالا يرد على مقاله : زنت فيه بين اضطراب وفات
قلب حجازي واضطراب شعره . ولأن كل حركات التجديد التى مرت بالشعر العربى
منذ أبى نواس حتى الآن :

« زامة أصح . عبيد زانتان . أنفاسه لاحت . يسيطر القلق على كتاباته .
وقراءاته . وشرائطه لآلة أ »

يعمل من الهوم ما يرفع منه الى السبعين مع أنه لم يصل بعد الى الثلاثين !
أنه واحد من كثيرين جدا يملأوا محاولات سيئة الحظ لخلق أشكال جديدة
للشعر العربى . ولم تنتج هذه المحاولات . لأنها كلها متشابهة !
منح نفسه الحرية في استخدام الأوزان والتفاعيل في كل ما يطرأ له من موضوع .
أو لعل أو على !

قال لي ان قلبه يخفق بغير قاعدة .. أحيانا يسرع في ضرباته ، وأحيانا يبطل في ضرباته .. إن هذه الظاهرة ترجع ، وكثير في نفسه الضمور ، بأنه يوشك ان يموت ..

وقلت له ان قلبك مثل شعر الذي قلنوك .. يتحدر من الوزن والتفصيلات .. وإذا كان هناك من يزعجه هذا التصرف ، ويرى فيه علامة الموت ، فلا ينبغي لك ذلك لأنه سيعلم متحدر على التوابع !

ليس هذا رأيا في الشعر المتحدر من الموسمي والاضاع ، والتعبير ، وإنما هو رأي في القلب الذي يتحدر على طبيعته الموسمية .. فيضطرب في ضرباته وخفقاته بلا ضرورة ، بلا دافع ، بلا غاية ! ..

ولم يستكت سيجازي فقد تابع الحركة بمقال ثلث أشار فيه الى خطاب وصله من الشاعر الثاني مرسى جميل عزيز - يضيف فيه حلا ثالثا في شعر كامل الشناوي الى بيت من قصيدة عربية :

سل دم السورى والمصرى يجرى لهيا

صارخا - عربا كنسا وثيقى هريا

وقد رد كامل الشناوي ان يدعى مقليا سيجازي - ارسل اليه واحدة من تلميذاته ومحباته ومهما قصيدة ادعت انها كتبها - والتقت به في داره - روز اليوسف .. وعرضت عليه القصيدة وكانت على شكله قصائد الشعر المجددين التي لا تلتزم بالامود - استقبل فيها الحب القاهرى المنشود الذي يضطفي اليه وهو الرغبي القادم من بطون المتوفية - وكانت كما تصحها كامل الشناوي عزيزة المثال - وكلما حاول ان يطبقها الى قلبه ففسدت منه كالصغيرة .. وبين جنونه بها .. ونشر لها قصيدتها ذليلة بالخطأ وقدمها على صفحات احلى للمجلات الادبية شاعرة واحدة ..

ونجح مقطب كامل الشناوي وبدأ يتحدر بالقصيدة وسجازي في كل متدياته ، لكن اللغاة كانت قد وقعت بالمثل في حوى الشاعر الشاب بعد ذلك - ولم تسمع - ودخلت قلبه وحياته .. ولهم للقلب ولكنه قبله وقبلها - وظل صديقا لكامل الشناوي حتى نهاية الامر لان اختلاف الرأي - كذلك - لم يكن ليؤسد للود قضية - على ان كامل الشناوي لم يكن في حقيقة الامر معارضا للمدرسة الجديدة في الشعر - كان يقول دائما : ليس هناك قضية اسمها شعر قديم وشعر جديد - القضية هي هل هذا الشعر او ذلك فن لم لان ؟ لذلك كان رأيه في قضية الكتابة بالعامية او الفصحى - فالهم هي اللغة الفنية التي تعبر بأسلوب سليم ..

يقول احمد عبد الصمد سيجازي رأيه في كامل الشناوي الشاعر : « كانت روحه في التعبير من خبرته الحسية لا يكاد يمتنع بها الا القليلون من القسراء - وربما كان كامل الشناوي في تكامل رؤيته الشعرية - وفي حرصه على ان تكون اشعاره - مهما تكن مناسبتها - صورة من داخل نفسه ، هو الشاعر الوحيد من شعراء مدرسة شوقي الذي يمكن ان تنطبق عليه بحق صفة الشاعر - وهو ايضا الوحيد من هو الصديق .. وقد قام هذا التصور الى ان يعرف ان هناك خطبا واسعة يربط بين مختلف الفنون - ومن هنا كان اهتمامه بالفن والفلسفة والرواية والرسم والنحت والمزج وأنا لا أعترف فنانا حقيقيا عرفته الظاهرة منذ عشرين عاما حتى الآن لم يسمع اليه كامل الشناوي - يمنحه صداقته - وسرف الآخرين به ويشر به في كل مكان » وكامل الشناوي هو الشاعر التقليدي الوحيد الذي وحى بالمجددين ، ولقد

بأنصارهم بل وكتب بعض أنصاره على طريقهم • وهو الذى يملك من أسرار البلاطة القديمة أسراراً ليست على بال أحد من الذين يعملون معهم مخافة التجديد • وكامل الشناوى بكل هذا وجه خسره ليل القاهرة • وشاعر له مكان خاص بين شعراء هذا العصر • لم يشغل هذا المكان بكثرة انتاجه • وإنما بالروح التى يزرعها انتاجه القليل • وترعى بها البيئة التى رعاها • وبث فيها من روحه الخلاقة اثارة لانسى • وذكريات لا تموت •



● حينما كان رئيساً لتحرير جريدة الجمهورية لاحظ انه الاحبار السباسبية او الرسمية التى يقدمها أعد المحررين كما الطبع البابت • وحاول ان يستحث همته ويستفز وظيفته أكثر من مرة • • وكان هذا المحرر جماً على ان يأتى بما • جعلت • من أخبار لمانسوف • يحدث • من أخبار • • ولم يكن هناك يد من درس قاسى • دعاه يوماً الى مكتبه وسأله : هل سمعت من • تولستوى ؟

فقال : طيبا • • طيبا • •

وقال كامل : وطيبا عارف انه رئيس للمكتب السياسى فى الحزب الشيوعى السوفيتى ؟

قال : طيبا • • طيبا • •

وقال كامل : وطيبا عارف ان • تولستوى • هذا يعتبر أكبر أديب فى الاتحاد السوفيتى ؟

قال : طيبا • • طيبا • •

قال كامل : وهربت ازاى ؟

قال : أصلي قرئت انه مؤلف فيلم « الحب والسلام »

واحسب كامل الشناوى ضحكة مبوية كانت تنطلق من صدره • لأن اسم الفيلم « الحرب والسلام » وهو من أشهر روايات تولستوى • وعاد يسأله : هل تعرف يا أستاذ ان تولستوى موجود الآن فى القاهرة ؟

وتلطم المحرر وقال • ولكن لماذا جاءه الى القاهرة ؟

وحسب كامل الشناوى فى ذاته كأنه يلعب سرا من الأسرار الخطيرة وقال : علمت من مصدرى العليا • • ان • تولستوى • جاء على رأس وفد رسمى كبير من الاتحاد السوفيتى لاجراء مباحثات مباحية وعسكرية على جانب كبير من الأهمية • • وأنه سوف توقع اتفاقيات بين البلدين خلال هذه الزيارة •

ثم عاد كامل الشناوى يسأله : هل لديك مصدر موثوق بها فى وزارة الخارجية والرياسة ؟

فأسرع المحرر قائلا : طيبا • • طيبا • •

قال كامل : عظيم • • لأذهب إليهم فوراً • ويترقبك الذكيه المبهودة حاول ان تعرف بالضبط أخباراً عن مهمة تولستوى ومكان القاعة • • عليك ان تحرى معه حديثاً أو تحصل منه على تصريح أو خبر • حتى مسألة حياة أو موت • • وإياك ان يسبلك محرر الإهرام •

وتوجه الصحفي الطيب الى وزارة الخارجية يسأل عن أخبار الوفد السوفيتى الذى وصل لاجراء مباحثات هامة • فاستبروه أنه لا علم لهم بمثل هذا الموضوع • • وأدرك ان زميله فى جريدة الإهرام لا يد وأنه قد لوعز إليهم انشاء الخبر وتجميعه اذاً حتى يسبقه فى النشر • •

وقابل صلاح الشاذلي كبير الامناء في القصر الجمهوري آنذاك ورجاه بالاحاط
بعض المعلومات عن الورقة السوفيتية .

.. اي وفد سوفيتي ؟

.. الذي يرأسه تولستوي الاديب بتاج « الحب والسلام » .

.. قصصك الحرب والسلام ؟

.. مش ده لهم يافهم .. اللهم ان تولستوي وصل القاهرة حسب معلوماتي
الذكية .. وعلاؤك سيادتك تساعدني في مقابلته .. ذي مسألة حياة او موت ..

وفضحك كبير الامناء وجميع رجال القصر الجمهوري ليسمعوا الضيعة ..
وبوما شاهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر هذا الحزر وسط عدد من
الندويين الصحفيين في رئاسة الجمهورية فسأله عبد الناصر : انت بتاج تولستوي ا
.. ودلع الحزر على الفور طيحا يافهم طيحا ا
.. وهو يلعبس هوايته الدائمة في اثرة الشد والجنب بين الوعي والاوعي .. بين وهي
د .. لويس عوض ولاوعي محمد سالم بالتقديرات التي حدثت في مصر خلال اقامته
في هوليود .

شرح كامل الشناوي لمحمد سالم الظروف التحية التي يعيشها الفنان لويس
عوض . فهو ممثل عظيم يجيد تمثيل كل الادوار وهو حاصل على الدكتوراه في
الدراما . ولكنه اعتزل السينما والمسرح بسبب مضايقات المخرجين الذين يقاسموه
أجره والمتمسكين الذين ياكلون حقوقه .. و .. ه ترجوك يا محمد تحاول الاتصال به
وتلج عليه في السجدة اني جمهوره وفنه .. بس خطيها لفنة كريمة منك وما تجيبش
سيري لانه حساس ومتأخيه في السما !

ويصل المخرج محمد سالم بالدكتور لويس عوض لليونيا . ويسررض عليه
العمل سه في التلفزيون .. ولذا به يلعبه ويلعن جهلة .. ويلحق التلفزيون في وجهه .
ويجود محمد سالم ليروي ملحدت لكامل الشناوي . فيسأله :
سحتي فاحته في الموضوع ؟

.. ليس .

.. له حق يا انسي . وهو ده وقت تكلمه فيه . انت مش عارف ان والدته تولدت
لمبارح .

ويحاول المخرج محمد سالم الاتصال بالدكتور لويس عوض بعد فترة من الزمن .
ويالويس يا حبيبي انا عارقد شعور الفتى الراحف .. البقية في حياتك .. لكن
يالويس لازم كتفيل على حشاك ولاماك وتلتصك .. جهنمورك بيتنكرك يالويس
د .. ثمر لويس عوض ثورة عارمة ولحق التلفزيون بعد ان حدهه بابلغ البوليس .

وكان عبد الرحمن الخميسي كمادة مركز جلب للنوحيين وفيه النوحيين
والظرفه وكلاء الظل والدمائين ومدعي الفن .. وكان حسوكة وتولنتك يمشون في
ركابه حيثما ذهب وحط وحاله .. في منزله او منازل اصداقائه .

وتسكن مزاج كامل الشناوي لسلوك تاييه ه فكرى ه الفى يصل ه كومبارسه
ميتدى . وكان يفرض نفسه على مجلته سعفا نفا يلى برأيه في كل شوه واى شوه
دون لهم او تلافه . ويعتمد وعجبية وصوت اجلى .

وانتضى به كامل الشناوي وخاطبه في ود واحترم بالفين .. وحدهه من هومه
ومقابه من ه سيد ه ابن حقيقه ه يرسمه الله - وكان ييلى منه في منزله . وكيف

انه لا يكتف عن الزعاج والزعاج جيرانه • وطلب منه ان يؤديه وسطيه حوسا لا ينساه •
وقال له :

— لا تخش ضحكته •• فهو جبان وعديد • وكف منك أو لكسة واسطة سوف
تجعله يجري امامك أو يقبل أقدامك •

في نفس الوقت افهم • سيد • وكان يحب عمه الى حوجة العبادة • وكان بطلا في
الملكمة أنه سوف يستلج الى منزله شخصا يؤلم حواسه ويزعج مجالسه كل ليلة ••
وهو جبان وعديد ومطلوب تأديبه !

والتي • سيد • بالكومبارسي وجها لوجه في حولة ملاكمة غير متكافئة •• كان
تصيب • فكري • منها علفة ساخنة تركت بصماتها على وجهه • وجسمه •• وأدت
الى غيبته عن مجالس كامل القضاوى الى الابد !

وهكذا لم تكن سخریات كامل القضاوى في كل الاحوال الا ذات دلالة ومغزى ••
ولم تكن مقالبه سوى صدى للصرع الرعيب الذي كان يتمثل في نفسه •• أن يظل
في مركز القلب من هذه الحياة حتى يأتي موعد خروجه منها ••

وكان كامل القضاوى حاضرا دائما في الحياة •• وكان حضوره كحضور وظيف
معتوبا ومقصلا •• فلا الرزق يستطيع أن يفسر بصراع نفسه •• كما لا يستطيع لنفسه
تكالفا من مجلسه •• وكان يصيب كل من يرقه بانداما مجالسه وصهراته وحديثه
ونواذره •• وكان معظم تنقلاته في القاهرة بالانكسي أو سيارات الاصطفاء ••
ونادرا ما كان يستخدم سيارات دور الصحف للخصصة له وخاصة في مهراته ولياليه ••
وفي آخر حياته كانت سيارة يبلغ حملي وهي اشارته • وكانت سيارة صغيرة ماركة
« برنز » يدخلها كامل القضاوى بجسمه البدين في صحنه بالغة • وكانت معتقه ان
تجول معه بها في شوارع القاهرة طولا وعرضا في نهاية الليل ولأنها سيارة قديمة •
فكثيرا ما كانت تقوف • واثما ما كانت تحتاج وفي دخلها كامل القضاوى • الى
« زقه للنبي » ••

وعندما اشترت أول سيارة في حياته عام ١٩٦٠ وكانت ماركة « سمكا » ربح
عمر •• فرحت بها أيما فرح • وذهبت الى كامل القضاوى قرب اليه الخبر • وأطل
يرحمه الله من شرفة منزله • وضحك من أعماقه وقال : « والله ربنا وحك يا يوسف ••
أهو بدل ماترق عربية يبلغ ترق لصطاك ! » •
وكان المحصور الصغلي متبر فريد يملك سيارة قديمة كثيرا ما كانت تتصل
عندما يصطحب فيها كامل القضاوى • ويوما جاء من يشتريها وكان كامل حاضرا •
واذا بفريد يقول للمصري :

— هذه السيارة لم تصل سوى اربعة آلاف كيلو فقط •

وهندك اسرع كامل القضاوى يقول :

— ده صحيح •• حتى بالاماره الكزيت متهم ألفي كيلو و •• ثم تتم الصفقة
بالبيع ! !

ودعانا المنزل محمد رضا علي الطاهر رمضان في منزله •• احتفالا بشفاؤه من
حادث تصادم مروم وهو يثود سيارته في طريقه الى الاسكندرية • وكان بين الحاضرين
محمد احمد محبوب وزيو خلوجية السودان واحسان عبد القدوس وحسن فاؤوسميد
ابو بكر وزكريا المحجوب وعبد الحميد قطامش وعبدن الاسواني المحاميان •• وكانت
للألفة حافلة بالديرك الرومي والفراخ البليدي وأولم اللحم والأطايب والشفائق والذائق

ولم تأكل سوى القليل وتركنا معظم الطعام .. وهذا يكامل القنارى يقول لصاحب
السوة :

.. والله زعان يا معلم رضا .. فكرتني بزازيم للروشحين في التخطيات مجلس
الضيوف .

وكان الشاعر احمد رامى عندما يسأله أحد لماذا لا يركب تليفون في منزله .
يتعجب من الحقيقة بقوله أنه قدم طلبا لمصلحة التليفونات منذ عشر سنوات ويبدونها
تفضل عدم ارجاعه بالكمالات حتى يفرغ تكاليف الخاني لم كئوسوم . ولكن كامل
علق على ذلك بقوله ان احمد رامى يتألف اذا حدثته أم كئوسوم في التليفون .. ان
تعتقد زوجة أنها متعبة في حبه . وقال كامل القنارى :

« ان التاريخ سيذكر في صفحاته ان شاعري فقط لم يدخل بيتها التليفون ..
امرؤ القيس .. واحمد رامى » .

وحلال معركة الأدبية حول القصر الجديد مع أحمد عبد المطلبى حجازي - وصاحبه
ابرز ملازمه - أطلق عليه لقب «أصلع غرناطة» نسبة الى شاعر غرناطة . وكان يجاوره
كاتب في جريدة الجمهورية يخرج صوته من افه فكان نصيبه من تشبهاته لقب
« أحسن نوردام » نسبة الى « أحسن نوردام » . وكان لنا صديق دائما مانسح أنه
خطب ثم لا يلبث حتى نسح انه فسح خطبته وسماه « اسماعيل القسطنطيني » - واختلف
في الرأي ، مع كاتب يساردي يعيش حياة الأبية وحضرت في نفس الوقت عن الكادحين
وأطلق عليه « البورون الاشتراكي » . وعلى قدر محبته للشاعر السرداني محمد الفيتوري
لقد حبك اليكك منه وقال « اسمه الفيتوري لانه لا يدع ما عليه من القسويات » .
واعجاب بالشمسي ومجاوبته الا ان يشجاعة نادرة .. مضامرة وروجا والنجايا
للولا والبنات مسما « القديس » . وكان يملو له تناول الشاعر في ساعة متأخرة من
الليل عند كياجي في شارع كلوت بك يرد عليه الوسط الفني . وذات عشية كل
الشم عجزوا يصعب حفظه فاقترح على صاحب المل تقيير اللانة من « كياجي » الى
« كياجي » .

وتنصرو يحرص سعيد ابو بكر على المال قال : دخلت عليه غرفته يسرح الازبكية
ضبطه بيحوش . وكانت اذاعة صوت العرب تدبع حلقات قصة حياة السيدة
فاطمة يوسف . وكان احسان عبد القلوس قد ترشح رئاسة تحرير مجلة «روز اليوسف»
وجاء مكانه احمد حمروش . وكانت المشكلة التي تآذي دور «فاطمة اليوسف» ترد دائما
عبارة : « انت يا بني يا احسان » فاشاع كامل القنارى ان مدير صوت العرب اصبر
امرء الى كاتب للسلسلة بتغيير العبارة الى « انت يا بني يا حمروش » تمسها مع التفسير
الجديد في روز اليوسف .

وموجة السخرية وخفة الظل على لسان كامل القنارى تنعكس في غسبمحاته
السخرية وعباراته الانية عندما يكتب ..

هند يذابة ظاهرة انقطاع المياه من الادوار العليا قال : « سمعنا ان البلدية حيزت
المياه بعد ان خاف المسئولون ان تدخل في التسميرة » .

ومن قوله : « عبد العظيم حافظ يكتب اذا تكلم » ويعلق اذا غنى » ..

وكامل القنارى هو الذي أطلق على لم كئوسوم لقب « كوكب الشرق » وكان يقول :

« المعجزة لا تكرر . ولكن لم كئوسوم هي المعجزة الوحيدة التي تتكرر كلما ولقت
تقضى » .

وعندما كانت لم كئوسوم تلتصق حلقاتها السنوية مع بداية موسم الشتاء كان
يقول « بدأت السنة الفنية » .

وعن دأبه لهما بين الاذاعة والتليفزيون من اختلاف قال: « الاذاعة كللثة المحببة والتليفزيون كللثة السافرة ! » .

وكتب يصف رجلا : « اذناه تمثيليان في ذلة ، جبينه مكسور ، وأفقه من غسم !
تصليح نظرائه في الساح ، أشبه بالدياح .
لسانه سليط ، وملاجه مثل لسانه .. الفم مفتوح مثل شذقيه ، متهيب دائما
للندف بكلمة وقحة أو أبغصامة جافرة تحس وهو يشرب أو يأكل أنه لا يوشف المساء
ولكن يشبعه .. ولا يضحك الطعام ولكن يلمته ، خطفه طيب ، وسلوكه سمى .. قلبه
أبيض ، وعصرغاته سوداء !

سحر في معه .. أحب أن اكرمه ، وأكره أن أحبه !
وعندما سأله القراء عن اسم بطله قصيدة لا تكتب .. كتب يقول :
« مصدر الوحي للشاعر كمصدر الإخبار . كلاهما من أسرار المهنة . وإذا كان
النصريح بمصدر الخبر يشاقق مع الامانة الصحفية . فلن النصريح بمصدر الوحي يعد
خيانة عاطفية » .



● وكمل الشناوى كانت له قدرة غائقة على تقليد الأصوات . لم تكن قاصرة على
اشخاص بعينهم . وإنما لكل أنواع البشر . كان اذا سمع صوتا شابا أو عجورا أعاد
تقليده فوراً . بنفس خيلجات الصوت . وإيقاعه . ومخارج الفاطه ولكناته !
كان يقلد الناس ، ويميز باشا وذر الحربية . وطه حسين والمتاد . وتوفيق
الحكيم . ومظم رجالات ما قبل ثورة ٢٣ يوليو وما بعدهما . وكان ولوعا بتقليد
الدواء محمد نجيب وجبال عبد الناصر وصلاح سالم والشيع الباقسورى .. وكان له
طروف خاصة يحولها البيت والنقد الساهر مستخدما قدرته على تقليد الأصوات في
ممارسة هوايته الغائبة في إثارة الصراخ بين المتناقضات .. أو كدير للمقالب الذكية
التي لا تخيب .

جاءه رجل ويلى من بلدته . يطلب منه اعفاء ابنه من الجندية . وعرض عليه
استعداده للذبح المطلوب لمن يحقق له رغبته . وضحك كامل الشناوى من عقلية
والكبره . وفيما حاول أن يلهمه استحالة هذا الطلب . وأن الجندية أصبحت
اجبارية وواجبة وطنيا وأن أحدا لا يرتقى . ولكن الرجل ألح في السؤال . وأصر على
الأي سود أن يبلدته وقال لكامل الشناوى في لهجة استغفاف :

.. انا صحتي اناى .. والبهوية بتعمل بيها ايه .
ولم يكن هناك رد مما ليس منه يد . واتصل كامل الشناوى ببيدر باشا في
منزله وردوا عليه بأن ماله ثايم . فقال لهم انه جله خصيصا الى القاهرة لقابضته في
ام شديد الاهمية ولايد من إيقاعه في المال ..
وكان بيدر باشا ضابطا صارما في ملامحه وفي عمله وحياته العامة والخاصة
لكن لهجة للتكلم كانت توشى بانه شخص هام ومسؤول كبير . وإن وراء اصراره
على مكلفته أمرا حطيرا بالضرورة !

واستيقظ بيدر باشا قبل موعد للمعاد .. وأقبل يتحدث في التليفون ..

.. آله .. مين ؟

.. أنا حسن السجيزى .

.. آله عاود ايه ؟

.. أنا ليه ولدين سجونين . ولدت في سجون الحضرة بالامكندرية والعانى لى

ليمان طره - عازرك تنقل جناح الطائرة عشاق يعيش مع انخوف في طره - أو تنقل جناح طره إلى سجن الطائرة .
- طيب خلاص القتل السكة .

وعاد كامل الفتاوى يطلب حيدر باشا في كلوب محمد علي ، نادي التحرير الآن وكان يتناول عشاءه مع بعض الوزراء .. وكرر نفس الاسم ونفس الطلب .

ثم كرر كامل الفتاوى الاتصال بحيدر باشا في تليفونه السري بوزارة الحرية وقال له في لهجة تأنيب وتوبيخ : أنا مش عارف إزاي هيتوك ودي حرية .. أنا جاي مكتبك بكره الساعة عقره القميص للوطوع بنفسه !

وهلما جاء حسن المجيزي ليحرف من كامل الفتاوى نتيجة اتصالاته بحيدر باشا ، أبلغه أنه وافق على إستقباله في الطائرة من صباح الغد لاصدار قراره بأعفاء ابنه من الجندية في حضوره .

وفي أبواب وزارة العسكرية .. كان الحرس في انتظار حسن المجيزي .. وما إن تلقى باسمه حتى كسروا عليه وحملوه إلى حيدر باشا .. وفي مكتبه نال مأثم بقله مسجين في ليما طره أو سجن الطائرة من صفوف التناوب .

وكانت بعض المساجلات والمشارك الأدبية التي شهدتها الصحافة المصرية منذ الأربعينيات وحتى منتصف الخمسينيات له دوره فيها .. بالمشاركة بالرأي والكتابة ، أو بتدبير للقلب بين الأصدقاء والقرابة !

كأن كامل الفتاوى يحدث عباس محمود العقاد في التليفون مقلدا صوت طه حسين وأسلوبه وعبارةاته وهو يقفد رأياه أو مقلدا أو خسرا - وكان يقلد صوت العقاد ويحاكيه طه حسين في أمور مشابهة .. وسرعان ما تظهر آثار مقلاته في مقالاتهما وهجوما ومناقباً .

ولعل أشهر توافده في تقليد الأصوات تلك التي تحدثت بها مصر وضججت لها عام ١٩٣٨ ..

كان بين الكاتبين توفيق دياب وعبد القادر حمزة خلاف كبير العقل من القضايا العامة إلى المسائل الجارية والإسراف الخاصة ..

واترعى أصدقاء الطرفين وسعروا إلى الصلح بينهما دون جدوى .. بل لقد فكر الأصقاء في تشكيل لجنة استطلاعية لبحث أسباب الخلاف ومعرفة من بدأ بالخطأ .. وإعادة المياه إلى مجاريها .. ولكن الأفضل كان حلقتها .
ولفقت ذهن كامل الفتاوى عن فكرة راحة ..

في عمق الليل أثار قرص التيليفون وأجبري مكالمة مع عبد القادر حمزة بصوت توفيق دياب وخاطبه برقة والمزج على ماحدث بينهما .. وكيف لا لاينام لأن ضيقه يؤرقه هذه الخلاف التي لايمبر له .. ود الله يسامحني كان السبب ، وبكى عبد القادر حمزة على أسلاك التيليفون .. فبجاء صوت كامل الفتاوى وهو يقلد بكاء توفيق دياب .. ثم تابع حمزة للمحادثة بمكالمة في الصباح قلده فيها صوت عبد القادر حمزة والذي على توفيق دياب تحية الصباح والمساءلة وكان الحديث - بينهما ودودا وعاد الصفاء والوثاق - ثم كانت المكالمة التالية بصوت توفيق دياب الحقيقي وتواعد الكاتبين على اللقاء أمام الأصدقاء والمقربين مما في المناسبات .. أملا أن الصفاء وحتى تغرس السنة السوء التي لعبت دورها في إشراق الخلاف بينهما .
وذاث صيف في نفس البر - رأى كامل الفتاوى قاضيا يطرب خادسته بالرحمة ولا شفقة .

وبيت له أمرا . وكان هذا القلبي له ميول وفدية . وعندما دعا ذلك قاروق
النحاس الى تشكيل آخر حكومة وفدية . . اتصل كامل الشناوي بذلك القاضي وتخصص
صوت فلؤاد سراج الدين باشا سكرتير الوفد . . وأجله رشاد الرئيس الجليل
صطفى النحاس واختياره وزيرا للعدل . وطلب منه أن يمثل في قصر عابدين صباحا
بزي التشرقية لحمل اليمين بين يدي صاحب الجلالة .
وطار القاضي فرحا . . وشغل تليفونات أصدقائه وأقربيه يزف اليهم الخبر . .
وكيف أن مسألة اختياره وزيرا للعدل هي رفق ليماله . .
وذبح يستاجر بدلة التشرقية . وتوجه الى قصر عابدين . وهناك التقى بالخاص
وفلؤاد سراج الدين وباتى الوزراء وسلم عليهم بحرارة وهم في عجب من أمره .
ثم جاءت لحظة الدخول الى قلعة العرش . . ولما بالقاضي هم بالخشوع منهم .
وعندئذ جذبه النحاس باشا من رقبته بصد الترفه . . وقال له : راح فين يا جديع
انت ؟
— داخل احلف اليمين . . فلؤاد باشا اتصل بي وابلغني اختياركم لي وزيرا
للعدل . .

وضح الجميع بالضحكات . . وطرد شر طرده من قصر عابدين . .
وعاد القاضي الى منزله ليحصل في جديد بأصدقائه وأقربيه . . وابلغهم بأن
رذق العيال ضاع . . ومنذ ذلك اليوم وأصبح الجميع يرفقونه حتى الآن بسيادة القاضي
رذق العيال !
وكان كامل الشناوي يرفق مدي اعتناء صديقه الموسيقار منحت عاصم بكرامته
ورقبته بقية . . واستغله الدائم لاستخدم عضلاته في وقت اللزوم . . وكما استغلهما
إبان الشباب في مواقف السياسة . . ومنازلاته القرامية !
ويوما عرف أنه سيلتقي مع صديقه محمد عبد الوهاب ليسمعه نعتا من الحلة .
ومنحت عاصم يجيد العزف على البيانو ولا يستخدم سواء في تحليط الحاله للمطربين
والمطربات .

ورفع الكاتب جليل البنداري ساعة التليفون ذات يوم . . وسسمع صوت
عبد الوهاب يدعو الى منزله . . وهو مريض ولكنه لا يستطيع أن يستمر لمنحت عاصم
الذي مياتي لزيارته ويسمعه بعض الفنانة على البيانو . .
ولم يكن المنحت عبد الوهاب . . ولكنه كامل الشناوي وهو يقلد صوته . .
ووصل جليل الى منزل عبد الوهاب بنون موعد . . ووجد يجلس على عرتيه
ويسمع الحان منحت عاصم على البيانو في استغراق وشغف . . وظن أن الامر لا يمسو
أن يكون سياملة من سياملات عبد الوهاب على حساب المرض الذي يصل له ألف حسايا
وما أن انتهى منحت عاصم من العزف . . حتى جاء صوت جليل البنداري
الاجش وصيالاته الساخرة الثلاثة التي تنودها أهل الفن . . فطومه على هذه الموسيقى
التي تفرق عبد الوهاب في مرضه !

وقال منحت والدكم يكاد يخور من خلاصه التركيبي : تسمح يا استاذ جليل ؟
وتنفض جليل البنداري واقفا . . وسحب منحت في حدود الى غرفة مجاوره وهناك
واقفا بمنة « زغبات » ثم عاد منحت عاصم الى عبد الوهاب واستمر في عزفه على البيانو
ثم ودعه وخرج من المنزل . .

ويحت عبد الوهاب عن جليل فوجهه في الغرفة المجاورة . . وعندما علم بأن منحت
عاصم قد انتهى من عزفه . . وتأكد أنه غادر المنزل . . بدأ يحس الام « الزفدت » وانفجر
في الهكاه !

وإذا كان هناك أدب للكتابة ولحب للخطابة وأدب للحديث .. فقد ابتدع كامل الشناوى د أدب التليفون ، إذا جاز لنا التعبير . كانت له ملكات حاصصة في الاستحواذ على أذان سامعيه والحوار معهم . الحديث في الصباح بغيره في المساء ومناجاة المرأة تختلف عن مخاطبة الرجل . ولكل مقام مقال ، ولكل موضوع أسلوب . وكان صوته المُنْزِع له دخل كبير في الاقتناع والوصول إلى الأهداف . وكثيرا ما كنت أسمعه وهو يحدث كبار المسؤولين في التليفون .. فكان حديثه إنشادا وأسلوبه مرحا وكان مسيطرا دائما على ناصية الحوار ، وانتهى الحديث في التوقيت الملائم !

وكان لديه جهازان لتليفون .. أحدهما خصصه للمكالمات العاطفية وجسدية والثاني لغشون العمل ومحادثة الإصدقاء والاستفسار عن صحتهم وأحوالهم كل يوم . كان إذا تحدث في أحد الجهازين ثم جاءت مكالمة على الجهاز الآخر لا يستلزم لحدده الأول . بل يتحدث في الجهازين معا .. وكأنه كان يستأق بالصوتين ويبدو وحده .. ثم وكأنه كان يقد صداقة مؤقتة بين الصوتين تمر من طريقه .. يوما قرر ألا يخرج من منزله ويترك للفرقة والكتابة . ورفع مسامعنى التليفون . وفي اليوم التالي كتب يقول :

د أمضيت يومى كله وحدى . أردت أن أجرب هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا ناس ..

قرأت كتابا . وسمعت أنثاى . وموسيقى . ولكنى لم أكمل بأحد . ولم يحصل لى أحد . حيل إلى وأنا هكذا وحدى . أنى مريض أتولى بنفسى زيارة نفسى . ولم أأنا أن أقتل على المريض بالزيارة الطويلة لفادرت البيت . وانخلطت بالناس .

ذكريات الظريف وثقافة المحدث



وكأن الشناوي الظريف كان له رأى فى فنون الظرف ضمنه مقدمته لكتابه «الظرفاء» يقول فيه -

« كانت المكتبة السلاح السرى الضالك الذى استخدمه المصريون فى محاربة العراة والمحتدين ، كانت المكتبة هى الفدائي الجسور الذى استطاع ان يتسلل الى قصصود الحكام ، وحصول الطغاة بقصص صاصجهم ، وملا صدورهم بالرعب والقلق .. »

والكتبة المصرية القوية معمد على المالكة فى تصوير حقيقه أو تشويه حقيقة .
كان زيور باشا رئيساً للوزارة وكان ضخم البنية ، قوصه عبد العزيز البشرى بأنه اذا ركب العربى لم يستطع أحد ان يرف هل هو جالس الى الشمس أو هو جالس الى اليمين .. ! وانه كان يمشى فى حديقة داره فتراهن اناس من المارة هل هو يسير امامهما أو هو متجه اليهما ..

وكان مأمون الشناوى يتكلم عى سرعة تصخم حمادة الطرابلسى واطراد الريادة لى وزنه فقال انه كان يجلس حه قرآه وهو « يتش » .. !

وحينما كان حلى محمود وريرا للمواصلات - - سمع صموتا عاليا يرتفع من العربة المحاورة لفرقة قنست عى الساعى وسأله : ايه الريلة دى ؟ فقال له الساعى ان السكرتير يتكلم مع الإسكندرية .. فقال حلى محمود قل له بدل ما يرفع كده .. يتكلم فى التليفون !

وكان حافظ ابراهيم جالسا فى حديقة داره يخلوا ويدخل عليه عبد العزيز البشرى ويادره قائلا ، لقد رأيتك فى بعيد تصورتك واحدة ست .. فمقال حافظ ابراهيم والله يظهر نظريا ضخم .. انا كمان شمتك وانى جابى اختركت راجل !

وكان البشرى وحافظ ابراهيم مدعويين الى احلى الحفلات ودخل البشرى عملى

حافظ في غرفه النوم وطلب إليه أن يرتدى ملابسه فقال حافظ : أنا لسه ملبستش وهي فقال له البشرى : موسى عاوز غسيل .. نفسه كفايه !

وتعود عبد العزيز البشرى أن يستلهم حينما متخلفة في القسم ياله فكان يقول مثلا : اسمك يافقه ثلاثا .. وحق ذات الله عليه .. قسما بذات العز والجلال .. وكان إذا استعمل أحد هذه الأقسام في أول الليل ظل يستعمله إلى آخر الليل .. وفي إحدى الليالي لاحظ حافظ أن عبد العزيز البشرى استعمل كل صيغ الأقسام فسأله : أيه الحكاية ؟ هو ميقبى ؟ يمين ؟ تويشنى الليلة .. ! وبين الشخصيات التي لمحت في مجال النكتة ولم تكن لها صفة سياسية أو فكرية ، فلملم دهبه الجزائر والأساطير حينئذ الترنى ..

كان حسين يسير في الطريق على قدميه فللمحه أحد أصدقائه وكان يسوق عربته الخاصة ، ودعا حسين إلى الركوب معه ليوصله إلى المكان الذي يريد ، وكانت المصرية قديمة فقال له حسين : ما أكدرشى .. علفشان مستعمل !!

وزار دهبه إحدى الفتيات في دوما فوجد عندها رمانا ، وأبدى إعجابه بالرمان فقالت له : أفرط لك رمان ياديشه ؟ فقال لها : أفرط لي في عرشك !

وقابل سليمان نجيب إحدى السيدات في ميناء سباق التريل فسأله عن اسم الحصان الذي لمبت عليه ، فقالت له : إذا قلت لك اسم الحصان فهل تشاؤكني عليه ؟ فقال لها سليمان : أنا موسى عاوز تشاؤك .. أنا عاوز تشاؤك جورك !

وهناك أكثر من طرائد للنكتة وبضئ حلم النكتة يعتمد على المفارقات وبضئها يعتمد على الباطلة ، وبينها نكتة تعتمد على الجنس والتورية والسب بالألفاظ وهي كلها تسمى صورة صادقة من النكتة المصرية ..

وهناك طرفة يجيدون النكتة أثناء لاجتماعها كتابة .. مثل محمد البايلى ومحمود ثابت وحافظ إبراهيم وعبد العزيز البشرى .. وهناك طرفة يجيدونها كتابة .. وفهرهم قليل يجيدونها كتابة وقراءة !

كان البايلى مفكرا على درجة عالية من الثقافة .. وكان يجنب بين ترف الحياة وترف الزمن .. وكان يتحدث بأسلوب لاذع أتيق ، ولكنه لم يحاول أن يسجل هذا الأسلوب على الورق ..

وكان محبوب ثابت يجنب في كتابته أن تصدم الجذ ، ويستخدم في مقالاته السياسية شعارات حماسية وطنية ، وكان حرصا على أن يبدو من خلال ما يكتب مستحجما الوجه ، ملطخ الجبين !

وكان حافظ يبلغ القمة في التعبير عن النكتة إذا التقاه ، أو عبر عنها بالتصميم اللطيف ، ولم له في هذا المجال من أشعار لم يتضمنها ديوانه المطبوع ، ولكن طريفه للحظة في كتابته كانت تخلق روح النكتة ..

وكذلك كان عبد العزيز البشرى .. فإن أسلوبه الكتابي يعتمد على جولة الملقط .. وهذا الأسلوب يجنب البصالي الذي يعتاز به أسلوب البشرى عندما يطلق نكتة أو يصكى حكاية ..

أما عبد الله النديم وحسن شفيق المصري ، فكلاهما كان يحسن التعبير عن النكتة بالكفاية ، والزجل ، والكلام ، والقصر المأجور والقصر الرصين ..

وقد عاش الشننوى أجواء الطرفة في ذلك الزمان ، وهو مازال شابا بالقاه وطريفا غضا .. وكانت رواياته عن طرفة الأدب والشعر والفن بأبوانهم ومعتقداتهم ونواذيرهم حصيلته متممة من ذكريات غاية في الطرافة والفن وهو ما يستحق أن يفسره

إلى كتاب خاص . وقد سمعنا من ذكرياته عن هؤلاء الظرفاء الكثير . . . وكتب عنهم
الجبر من الخواطر والانطبعات . . .

كان شميل شميل الذي يمر في مصر بنظرة دليون تحت عنوان «الانكسار والارتداد»
فأمرنا شميها وكان يكتب بأسلوب لوى . وكان عصيبا ، دعريا ، مريضا بالريو .
في صوته غلظه ، وفي حركاته حباله ، وكثيرا ما وقع عصاه في سألون في ريادة .
بعدا بطرب من يهادلونه في عدم وجود الله . . . وكان نجيب حراووني شيخ الخطاطين
شعبته أكثر من غيره . وأطلق حافظ إبراهيم عليه تسمية تتول . أن المذكور شميل
لهجة يوما صوت أحد المعلمين . نفل يستعيد . وبدلا من أن يقول مثقالا الله . .
الله . كان يقول : الطبيعة . . الطبيعة . .

تسميته أخرى أطلقها حافظ إبراهيم على شميل شميل . .
طلب منه أحد مرتزقي الصحافة فتودا فلما رفض ، عده الصطفي بكتابة مقال
يؤديه . فتمسك شميل وقال : وهل تظن أنني ممن يخافون التهديد ؟ هل أنا صمد ؟
أنا لا أعبأ بالتهديد ؟

فقال الصطفي للرتزق : هل تعرف موضوع المقال ؟

فقال شميل لأحمد :

فقال الصطفي للرتزق : سأكتب في المقال وجود الله

وحنا فزع شميل . ما دام الأمر كذلك . . خذ ما تشاء !

وكان رواد سألون في « ما يتفقون في ملاسهم وحلقة ذقونهم » . . . الواحد . .
هو صادق الرافعي . كان يصل من لبطه وأساسا إلى « الصالون » وعليه كل ما في الطريق
بين طنطا والقاهرة من غبار .

ولمحه حافظ إبراهيم يوما وقد جاء في يدلة جديدة نظيفة فقال له : أنت متفكر
يا صادق ؟

قال يانزهاج : إيها . . . إيها . . .

وقال حافظ : أصل معنى شايب التراب التي نأبها على يدلك !

وتراكمت الديون على محمد البابل في عنة بنوك . وكانت معظم البنوك جوفت في
سوارس « ميدان مصطفى كامل الآن » وعلاق البابل بكثرة مطالبتها له . وشكا أمره
لصديقه حافظ إبراهيم . وكلمني لو أتت وسعدت ديونها في بنك واحد . فقال له حافظ :

الأمر سهل يا أخي . قف في ميدان سوارس وتنادي بأعلى صوت : وحدوه !

وكان حافظ إبراهيم مع بعض أصدقائه في مقهى . فدخل عليهم شاب قليل كان
أمره قد خرج من الحبس . وبعد قليل أنصرف الشاب . فسأل أحد الجالسين حافظ :

أين ميم العقيل ده ؟

فأجاب حافظ : أين إلى أم .

وكان الشيخ الرافعي الإمام الأكبر أديبا يصب القصر والشعر . . . وقد تلقى به
الشاعر حافظ إبراهيم مثلما شديدا . ولم يكن يفرقه في جلساته بمنزله في حلوان .

حيث يدور بينهما الحوار حول القصر والدين والتاريخ .

وكان الشيخ الرافعي قد اشترى خمسة ديوك دوس . ولم يكن الصبياح يطلع
عليها حتى ماتت . فأرسل حافظ إبراهيم إلى الشيخ الرافعي كتاب تزيه قال فيه :

وحم الله خمسة من ديوك

المرافعي قد عولجت بالفتنة

فلو أن الاستاذ خسر فيها

بين موت لها وحي نفسه

لافتدائها بخسة من شيوخ

من أساطين هيئة المسلمة

وعن محمد البايل - - روى كامل الشناري انه كان مسافرا مع صديق له - وبيما
هما ينزلان درجيات سلم البصلة لركوب القطار - لمح فتاة حسنة الخوق - فقال له
صديقة - ما تنزل يا صديقه ؟

فقال البايل : كيف انزل و « روي طالعك » ؟

سأل أحد الأصقلة يوما امام المبد - وكل أسود اللون - : لماذا لا تنزوج ؟
فقال :

يا خليل واثق خير خليل

لا تلبس راحيا بغير دليل

أنا ليسل وكل حسنة شمس

على جملتي بها من المستحيل

وقال المبد يفتح على نفسه : « رأيت أحد اخواني ، وقد شهدت عني برياء
و جرافته » سرده - فحسب ان قصي مفتوح ، فطلب مني ان أكتب لزاره .

وكان يكتب يوما يستط الحبر من قلبه على الورق - رساله أحد أصدقائه :
الحق الحبر غرق الورقة !

قال : ده مش حبر - - ده حرقى !

اتهم محمود ختم صديقه الشاعر محمد الاسمر ياله يخل ويدعبه بالصيغة منها :

صم - - إذا ما الضيف جاك

وامنع الضيف عنك

واجعل الصوف حلة الفم

يف والسقف غطاه

لاصن زائد في الشمت

وي وفي المبرخ ماض

يا صديقي قد فطنا

ك فكان البطل داح

ورد عليه الاسمر بتصحيحه :

يا صديقي انت في شعر

رك لسم تلبس راح

يا كريم العصر ما أج

مسل في الجرو ادعاه

فصد ما اقرت شيئا

ن قواني بك وراك

قد عرفناك صخرا

وتبيننا مضا

ودعا حموي اياه عدا من اصدقائه الشعراء الى حفلة رسمية - فطلب محمود
ختم بملايسه المادية - فسأله الثاني عن « الرديت » فقال :

« الرديت » يا جناب الوزير

ليس يقوى عليه جيب الفقير

رحمت لأن استعير حفل « ناجي »

ثم أصبحت شوق من الناصر

ورد عليه الشاعر نجلي يقول :

وأقسم لو أن الدفجوجه نلت

وجاء به من جده قهرا وسلفا

لقلبت لهرا لبطن تحسيرا

به تصبين الوجه من عبط قفا

وكان الشاعر محمد الهواري يخلص مع ذكي مبارك وحسين شفيق المصري ..
ويجسم محمد الاسمر يشكو من سعادة بعدد ما إليه صدقه محمد الهواري فكانت فرصة
للتذكيت والضحكات - وانشد ذكي مبارك شعرا مرتجلا قال فيه :

ولما تبعض الالهديا
بعض الهديا وزليها
ساعات باريس عسدي
لها جيسج للمزايا
تبقي فلما طليها
كمثل حمس مفايا
ومسامة الهواري
أول يبعض التكايا
تبقي فلما عنيها
كما تلحد الرحايا

ولما قتل اعلى مبصر في حي الصناديقية ، ونشرت الصحف المصرية نيا الجريمة
استغل ابراهيم الموضي هذه الظفوفة الثرية ، وجعلها قياسا يحيل عليه كل ما كان
منتقرا في المجتمع المصري حينئذ من الوضاع مقلوبة معكوسة ، فكتب مقالا في
التصديق على هذه الحادثة ، منه :

« اذا أصبح الامى محروا ، والأعمى حصورا ، وأصبح الوزير شاكيا ، والفقير
باكيا ، وأصبح القاضى محتالا ، والوصى مفتالا ، وأصبح العالم مغرلا ، والجاهل
مؤلفا ، وأصبح الوطني مدبلا ، وأصبح مدير المعارف أعرجيا ، ومفتش المدارس عاميا
وأصبح عميد الشيطان يتعبد ويتهجد وأسم المسلم خريستو يد أحمد ، وأصبح النهر
حسيبا لسيبا .. فليس من غريب للقادر أن يفتك الأعمى بالبعير » .

.. وتهكم مصطفى الرافعي بانحلال الروابط بين المصريين :

قومي (ولا فخر) على حال
لا يعرف الامسك اسمانا
لكلهم مازيه واحد
فيما كرى شيبا وشبابا
(وظيفه) تكتب تحت اسمه
أو (رتبة) تدكر عنوانا

وكامل السنوى كان يكتب في المجلات الفكاهية في مقبل حياه الصحفية
يعدون توقيع . ولا أحد يعرف ماذا كان يكتب . ولا نوع كتاباته واسلوبه . ولكنه
كان يروى لنا بعضا من الكتابات الفكاهية في ذلك العهد ..
وكامل السنوى كان يحفظ الكثير من أشعر الفكاهة للشاعر الزجال حسن
شفيق المصري الذي حقق براعة في هذا المجال وشهرة دائمة .
وحسين شفيق هو الذي عارض المجلات المضحكة ، وكثيرا من القصائد المشهورة قديمة

وحديثه ، لمزج الجذ بالهزل ، ومزج الفصحى بالمعامية وحصل موضوعاته نقدية اجتماعية وكان كثيرا ما يغير في الكلمة الفصحى أو في الكلمة المعامية تغييرا بالزيادة أو بالنقصان أو بالتقديم والتأخير فيجني تغييره نفسه باعتا على الضحك ، ومن ذلك ما عرضه لتصفية النابغة الزبياني التي مطلها :

« يادار ميه بالمطيه عالسنده » فتعكم بالملافة في جهاز الروس وملايسها وحليها والسفهاء الذين يحملون أنفسهم فوق طاقتها حيا في الظهور . فقال :

راسوا ليبح نحاس البيت تكلمة
لأجرة القمص غني ليلة الأحد
تزوجت لختنا من يسلمنا ليدت
عاشق مابن سمعان « وأوردي »
هذا حري وذا صوف وذاك اذا
شامت من القطن أثوابا بلا عمد
وصيفة لو وزناها لما نقصت
من آلة ذهبيا موزونة يسدي



● كان كابل كشتاوي يستلم من أجواء طرفه ذلك الزمان وتنبون طرفهم . ما عاشه منها أو سمعه في مجالس أحمد شوقي أمير الشعراء وتولدت صديقه الشاعر الباس الضاحك عبد الحميد الديب .

وعندما لم نجم عبد الوهاب لأول مرة خلال عامي ١٩٢٦ و ١٩٢٧ . كان شوقي قد سمعه ، فاعجب به ، وتحسس له ، وأخذ يمد له طريق التجدد . فلا يمر يوم دون أن يطالع القراء صورته في الجلات الدبية والادبية مقترنة بكلمة أو مقال أو قصيدة في التفتي بصوته . والاشادة بموسيقاه .

وكانت الحركة على أشدها بين شوقي ونصوبه ، وقد تناول هذا الكتاب الذي أصدره العقاد والملازني شعر شوقي ونصه بالهجوم ، والنقد ، والتجريح . وانقسمت الصحف إلى معسكرين - كل منهما يدعو إلى فريق وجهام الأثر .

كان الملازني يهاجم عبد الوهاب في جلساته الخاصة . ويقول إن صدره ضيق فهو لا يصلح أن يكون مفتيا ولكن يصلح أن يكون مرطبا !

وكان الملازني لم يسمع عبد الوهاب بعد . ورأى أحد اصفياء عبد الوهاب ان يحبيه من هجوم الملازني . فاقام خطة في داره . دعا إليها الملازني والعقاد وغني عبد الوهاب في البغلة . وأبدى العقاد إعجابه بصوت عبد الوهاب وقال انه لا يجب فيه الإعجاب بشوقي به ! وقال : « صوته قوى علي جديب ، واستعملته الفن عظيم » ونظم فيه قصيدة مطلها :

ايه عبد الوهاب انك حساد
يطرب السمع والسماع والذؤاد
قد سمعناك ليلة فطمتنا
كيف يهوى فطمتون السمهاد
ولفتنا الرقاد عشا لانا
قد حلطنا وما غطينا الرقاد
بارك الله في حبائك للسن
وابتغاك للحبس لانا



وكتب المازني مقالا إشاد فيه بصوت عيد الوهاب واصلازه . وخرج شوقي فقدم
اعتبر ان شعر المقاد في عيد الوهاب وقنه المازني التصاوا له . ولكن بعض أسسده
شوقي المفهوم ان عيد الوهاب سوف ينضم الى خصومه . فأوعز الى حسين شليق المصري
ان يكتب مقالا يهاجم فيه المقاد والمازني ويسخر من تراثهما على عيد الوهاب .
وكتب لصتري يقول : حل لراد المقاد فن يمدح عيد الوهاب أو قراد أن يفهمه ؟
انه يقول :

لقد مسمناك ليلة فطمتنا كيف يحوي الصديون السهانا
اذن فلم تكن ليلة طرب بل كانت ليلة شقاء . ان عيد الوهاب لم يشجع القصاص
ولكن اشقاءه ، وسامه المذنب ! وكيف يتحقق هذا الشقاء والمذنب مع وصف القصص
للمثني يانه بطرب المصحح والصيا والفؤاد ؟

وكتبت جريدة التشكول الفكلمية تحت عنوان « حجاب في مدح » مقالا جاء فيه :
(سأل اعرابي احد المثني ما الفناء ؟ فآراد للمثني ان يرى اعرابي كيف يكون الفناء
فأخذ يتنفي بأبيات من الشعر ، ويهتز ، ويطلق برأسه الى الوراء ، ثم يستدل ، ويتعبد
وجهه ، وتكلم عينا . فقال اعرابي : « والله يا اخي ما يصل بنفسه مكلنا عائل ! »
وقد سبق . ولم ي من استملح هذه البشاعة من المثني غير المازني ، فقد كتب
لصلا عن المثني انباطة محمد القدي عيد الوهاب قال فيه انه اذا تناول السود وأصمحة
واستمد للضرب عليه ، يرفع رأسه حتى يكاد يمس به ظهر الكرسي ، ويرسل طرفه الى
الفضة . وتلك اوصاف مكرترةا طتها المازني مما يصمد من المثني قوصف بها عيد الوهاب
.. وعيد الوهاب منها يراه !)

ثم قالت : « ولا ترى المازني اخراة انه يصف مغبيا ، ولكنه وصف قرنا . وحيل
اليه انه يمدح وهو يهجو . ولا شأن لنا به . فليتنظر عيد الوهاب كيف جزاه من يطرب
الصفي والجمال فلا يكافونوه الا بالحقه بالكرود » .

ولما ظهر التشكول وفيه هذه الكلمة . احد شوقي يمدح اعباه بالكاتب متسا لا:
« ياترى من يكون ؟ انه ليس ادبيا فقط . ولكنه اديب وموسيقي يطعم في علم النفس » .
وكان يقول هذه الكلمات على مسمع من عيد الوهاب ولم يكن كاتب هذه المقالة سوى
شوقي . وقد نشرها غلام من الاضياء .

وهكذا نجح شوقي في قصصه عيد الوهاب عن المقاد والمازني ، وظل المازني سائقا
على عيد الوهاب الى قبيل وفاته بعلمين . أما المقاد فقد نشر قصيدته عن عيد الوهاب في
جريدة البلاغ ولما تغير رأيه في عيد الوهاب . ونفى تسجيل القصيدة في أي ديوان من
دواوين شعره ..

وفي سى السيفة . وفي الدور الأرضي من منزله .. تعرف بالقصاص البائس
الضاحك عيد الحميد الديق . وكانت بينهما محاورات ليلية في الشعر والفكاسة
لا يزال يتحدث عنها أسدقاء كامل الشافعي في هذه المرحلة ..

كان عيد الحميد الديق شديد الإحساس بالمرارة . فقد كان والده ضيقه مساكرا
حكومة امساعيل صدقي التي كانت تجوب القرى والكفور ابني الآفة الاقتصادية لجمع
الضرائب من الكادحين والمثنيين بالقوة ..

واحتضنه كامل الشافعي وانقسم معه لقمته وقروشه وملايسه وأسسكة
غرفة بالدور الأرضي . لكن الديق كان شديد السخط على الناس .. كل
الناس .. بالرغم من أن الشعب كله كان مظلوما بدمعة أو بانثري .. وكان يرغم
شعره الحزين له لحاته الضاحكة .. ومحاوراته الشعرية مع كامل الشافعي .
وكان يروي لنا بين الحين والحين يسخر الديق وذكراته الضاحكة معه .

ومن نوادر كامل الشنأوى معه • أنه كان يخرج من جيبه ورقة دقة عشرة قروش
يربها من الديب مقبلا إلى الصلاة :

— حضرتها عشرة صاخ •

ثم يلتفت للورقة مقبلا إلى الديب ويقول لها :

— وحضرة • • القضاة الكبير عبد الحميد الديب •

أي أن أحدا منهما لم ير الآخر من قبل • ثم يملأ كامل مثل ذلك مع قطعة
صايون • • كان الديب لم ير الصايون ولم يستعمل في حياته قط •

ومن لخمارة عبد الحميد الديب السخنة التي كان يربها كامل •

دع الشكوى وحمل الكأس نسك

وذلك من الزمان إذا تنكسر •

•••••

•••••

وهام بي الأمي والبؤس حتى

كأنى عبلة والبؤس غميص

كأنى حائط كتبوا عليه

هنا يا أيها للرنوق • توتر •

وكان في حي الحسين حلاق اسمه محمد شعبان يقطب على الديب فلا يأخذ منه
لبرا على حالته فكتب فيه شعرا يشبهه بأبن عمران شيخ الحلاقين

يا يارك الله في صالتي مودته

وبارك الله في رزقي ابن شعبان

مراة زينة للصفى ساحة

موساه الفضل من موسى ابن عمران

وتراكت ديون عبد الحميد الديب لدى « المالكي » الذين فرغوا أن يقدم له لبا
بالجل فكتب يهجو :

بروح منك مولا ابن مالك

وملك الله في شر للهالك

لبالك كله اسم زعاف

ومن غش اليرة رأس مالك

لويلك من رجال الحي طرا

ونسوته إذا علموا بذلك

وذهب كامل الشنأوى مع عبد الحميد الديب ذات ليلة في « لبا » الأزهرى
إلى قرية قريبة من القاهرة لأداء واجب الزكاة في أحد مشايخ الأعيان • وكان
السراقق مكثفا بالناس من أصحاب السالم • وضعت كامل ضحكة يجرى بها
الديب على السخنة • • فلذا بالأي يقب على « دقة » خشبية ويصيح في الغزير وهم
ألف :

— أيها الناس • قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إذا مات عزيز لديكم
لحقوا عظامكم • •

وحجم الصمت على السراقق • وبعد كامل الشنأوى يحل شال صمته • •
فلذا بجميع الجاهلين يلقونه ويحطون عظامهم في صمته ! ثم يرتفع صوت
الديب من جنود : اغنيوها كما كانت !

وكان بالسرايى عالم أزهري • أخذته المضاجعة فعل عاصته هو الآخر • ومضت
دقائق قبل أن يتبين أنه لاصحه للحديث • وبضرب الناس • ويسمكون بالديب
ويلقونه دوساً لم يبرح بعده الثرائى شهراً كاملاً ••

وتوسط أولاد الخلال لعبد الحميد الديب وزوجوه بأمرأة تكبره سناً وقولاً
عامة في حي الحسين • واختفى في بيت الزوجية أسبوعاً يأكل ويحرب وينام ويستسلم •
وفي اليوم الثامن استأذن في الخروج وأخذ معه طبقاً لشرابه قول مضمون من محسن
العلوي • لم يمد • ومرت شهور ودويته تبث عنه بلاجوى • ويوما التقت به
أجدة وجهاً لوجه فنفسيت فيه أصابعها وصاحت بتعل صوتها : مسكتك •• كنت لست
من يومها ؟

وقال في حياءه : واند حراسي خطف مني الطيق •• خطف أرجع من غير القول
تزعلي !

وكان يردى لنا مسألة هذا الفنان الأصيل ، الذي ظل ليلاً ونهاره يبحث عن لقمة
العيش ، فإذا عثر عليها لم يجدها في وظيفة ، أو صحيفة ، أو مصنع يقدمها إليه لا تكريماً
لشعره ، ولا إعجاباً بموهبته • ولكن حقيقته على مايناضيه ، من فقر وفاقة • ولديها سئل
أحد حكماء اليونان :

لماذا تطغى على الفقراء ولا تطغى على أصحاب المواصل ؟

فقال : لأن الفقير مريض تنتقل عدواه إلى الناس •• أما الموصيه فهي مريض لا تنتقل
عدواه إلى أحد !

وسمعا من كامل الشناوى بقسا من ابتزاز عبد الحميد الديب المبتصر في ذاكره
وذاكره من مرقوه •• وقد صور في إحدى قصائمه كيف دخل المسجد ، ليثام ، لا ليصل
وكيف غادره بعد صلاة الفجر إلى الضارع ، ومر بمقهى ، فاشتد الجالسون يرمقونه
بنظراتهم ، بعضهم يقول : عريد •• والآخر يقول مسكين :

هَذَا كُنْتُ بِالْفَجْرِ •• طرقت مسرة

إلى مسجد كينا أصل وانسجع

.....

أمر على الظلم فاستمع شامتاً

يحق في جرحى وآخر يقتلع

وقد ساء ظني بالعباد جميعهم

فأجست رأيي في الماء وأجسوا

وكان في كل طريق يمشي إليها يند فيها - على حد تعبير كامل الشناوى -
مصرها لآماله •• وخيبة لرجاله فيصرخ :

هَذَا صَحِي فَجِيع الْأَرْضَ قَبْلَهُ

وإن مقام فلا أصل ولا وطن •

يمايه - كالماتيه - مسرلة

كلاه وهي حسي فوله يكن

كأنه حكمة الجنون يرسطها

من غير وهي فلا تصغي لها لأن

وينتهى به معيه آل فرقة يسكنها وإذا هو وحده كل أناتها :

أفي غرقى يارب ثم أنا في أحد

ألا ضد ما ألقى من الزمن الوحد

لقد كنت أربو شرفة فوجدتها
 بينة قديم العهد الشيق من جدى
 فاصداً أتلسى يكاد يحدا
 وأيسر لى نرى بنايتها يرتى
 نرى النمل يخفى الناس لا يلاحظها
 فأرجله ألقى من الصلارم الهندى
 تسلكنى فيها الألقى جريئة
 وفى جودها الأمراض تفتك أو تصدى
 ترائى بها كمل الأثاث فبسطنى
 فرائى لتوسى أو وقاء من البسرد
 جوارك ياربرى لكل رحمة
 فخذنى .. إلى التيران لاجنة الخلد
 وسائر يوماً إلى قرعة فى القرية ليقضى عيد الأضحى .. وإذا به يقابها بداره
 أكثر يؤسا منه - وإذا الدار تبنى معه :

مروا على الدار يوم العيد ضيفاً
 يستطرون ندمها كالمدى كانا
 والندى لا رآهم مقبلين لها
 تصاورت فى البكا أحداً وبيننا
 ليمع الجهاد كلاب إن كلبنا
 لا تزال لسطاط الود عذوانا
 تحملت لسطها فى البرؤس صائرة
 لم تفك جوعاً ولم تستبد إنساناً
 وقال يخاطب لعله :

يامطر الديب رانى كل مغرب
 ألا غريكمو فى حصر ما بانا
 ذبحتمو الفسة قريانا لميدكمو
 والدمر لدمنى للبرؤس قريانا

ويقول كامل الشناوى إن عبد الحميد الديب كان محققاً فى ثورته التى كانت تهدف
 إلى خلق مجتمع يبنى رأسه للفنان ، لا صاحب السلطان ، ويحتل على صاحب الموهبة ،
 لا على صاحب المال .. بينما ألقى فى ذلك الوقت لم تكن تحظن سوى الجاهل ،
 والبلى والفرور ، وتركته كما هملاً ، بل وجدنا لم تحسه ، ولم تفكر به ، فيثور :

يا أمة جهلتنى وحى عاصمة
 إن الكواكب من نورى وبشرى
 فببى فوكم بلا لعل ولا سكن
 كببى منتجع للمروق ألق
 وليس لى من حبيب فى دياركمو
 إلا المبييض ألقى وأوربى
 لم أدر ماذا طعنتم فى موأدكم
 لعم الذبيحة لم لى وأغلابى
 بين النجوم رجال قد رفتهو
 إلى السماء فسعدوا باب أروالى

وكان كامل الشناوى قد شرع بالفعل فى إعداد كتاب من عبد الحميد الديب ..
وشمره الذى يسخر من الحياة .. ليعبر من حوله الضحك عليها ، والتأمل فى
مفارقاتها .. ولكنه بعد أن أعلن ذلك فى إحدى مقالاته ، فوجئ بأسرة الديب تسليسه
بالتوقف عن الكتابة عنه إلى حين الاطلاق على تصميمها من هذا العمل .. ولم يكمل كامل
الشناوى كتابه .



• ومن فرط حبه للناس والحديث إلى الناس أطلق أحد الفرغاف على كامل الشناوى
لقب رقيم ، والكلمتجية ، فقد كان يحق للصحف للتقدير بين المحدثين ، بصوته الذى
يأخذ بالأسماع وينفذ إلى الألياب ، وثقافته الواسعة كتلميذ ضبط فى دار الكتبة
والكتبات ، وفكره الذى احتك بالنظم والتيارات السياسية والفكرية والأدبية والفنية .
وكانت له ذاكرة لاخطئ . وهو يروى الأحداث التاريخية التى عاصرها ، والمحادثات التى
دارت بين النظم ، والمسابقات التى شاركهم فيها ..

فى كتابه « زعمه وفنونه وأدبه » شخصيات اختارها بدقة ، وعاش معها ، بينها
شخصيات اتصل بها ، انصفت بينه وبينها أواخر صداقة أو دراسية .. وبينها
شخصيات أخرى . كان لقائه بها خلال آرائها وفكرها وكتبتها ، وتاريخ حياتها ..
وفى « ساعات » كتب كامل الشناوى بعضاً من شذرات فكره وتأملاته وفلسفاته
ولبولوجه .. وهكذا جاء كتابه « حبيبتى » الذى صدر بعد رحيله .
وكتاب « بين الحياة والموت » ضمنه مجموعة من انطباعاته وآرائه فى نفسه
وفى الحياة والموت وما وراء الموت .

وعندما نشر كتاب « الذين أحبوا » و « لو برئت جميلة » بعد وفاته .. قال
النفاد أن كامل الشناوى كان صحفياً وأديباً فهو قد أرخ بأسلوب أدبى رقيق سيرة حياة
تلك الأديبة .. و « واتى بأسرار وأحداث كانت تطمس وتنسى وكان أوبريت جميلة
تأكيداً على انتماءاته القومية » ومتابعته الواجبة لأحداث كنهه وكفاح شعوبها .
وله انجذب كامل الشناوى أيضاً انجذاب إلى العصر العباسي ، وعاش أجواءه وعوالله
.. وقد جاء كتابه « اعترافات أبو نواس » وحواره الذى تخيله مع هذا الشاعر الفحشل
غاية فى الذكاء والفهم لصبر العلم والمعرفة والمضادة التى شهدته بغداد إبنا القرن
الثانى الهجرى . عصر الفتن ، والتورقات الفكرية .. وكانه عاش بالقرب من تلك الفترة
التي كانت دولة الأمويين فى طريقها إلى الفلج ودولة العباسيين تأخذ مكانها تحت
الشمس ..

له ديوانه « لا تكلمى » الذى لم يضم إلا بعضاً من قصائده بعد أن تبذرت معظم
أشعاره التى نظمها فى حياته . والذى لم يبق منها سوى اليسير فى ذاكرة من مجموعته
منه وسطرها فيه ..

وكامل الشناوى الذى كان يرقى دعائه للمواهب الناشئة أيضاً ذهب . كان أيضاً
ذاكراً بالفضل والرفق والمعرفة للعديد من الشخصيات التى تأثر بها فى قراءاته أو فى
حياته .. فكان لا يميل الحديث عن تلك الشخصيات فى صالونه الأدبي للتمتلك . وفى
لقائه مع الجيل الجديد من أدباء وصحفيين وفنانيين ..

كان يحدثنا عن جمال الدين الافغانى المالك الناصر للفكر .. وكيف وقف إلى
جانب النظم ، يحضه على الثورة ضد الانقطاع والاستعمار ، ووقف إلى جانب الدين
يندأ عنه الخلافات ، ومحبته من جهل لتفسيريه اليه ، لتحدثين باسمه ، الذين ظفروا
بالقالب كبار العلماء ، ومضايق الاسلام ، ومعتوا العلوم الحديثة فى الأزهر ، لاطليمه

والكيمياء كالم ، والحساب والجبر زلزلة ، والفلسفة الفلك وسفاه ، والاجتهاد في
لباس الدين الدنيوية حرام ، واشتغال رجال العلم بالامور السياسية والاجتماعية يهدمه
•• وكل يدعة ضلالة • وكل ضلالة في النار •

ولذلك شملت المبادئ الرسمية على الافغانى حربا شعواء واستطاعت عليه رجال
الدين فاتهموه في عقيدته وسوءه • خلال الدين الافغانى •

ولكن تعاليم الافغانى كانت تيارا قويا •• سارت الامة كلها في اتجاها • كانت
الكهوية التي مست العقول والمفاهيم لا يقطنها • وانارتها • اليس هو القائل : • الشرق
•• الشرق خصصت جهاز دعائى لتشخيص دائه • وتحرى دوائه •• فوجدت أفضل
لدرائه • داء انقسام امله وتفتت آرائهم واختلافهم على الاتحاد •

وكان كامل الشنواى يرى ان الافغانى لعب أهم الادوار في تغيير الثورة الميرانية
والتبديد لها • فكان يقرب اليه الموام ويقول لهم • انكم مشتر المصير قد لسانتم في
الاستعباد • وتوالت عليكم ترون منذ زمن الملوك الرعاء حتى اليوم • وانتم تحملون
نير الفاسق • وتسومكم حكوماتكم الخيف والجور • وتستنزف عرق جباهكم بالنصا
والمقرعة • والسوط • وانتم صامتون •

انظروا اهرام مصر • وهياكل ممفيس • واكثر طيبة • ومشاهد سيوه • وحصون
دمياط • فهي شامدة لظنة آياتكم وعزة أجدادكم • حبوا من خلفكم • امسحوا من
سكتكم عيقوا كياتي الامم احرارا ••

ومن الشخصيات التاريخية التي كان كامل الشنواى يروى لنا صحتها إعجابا
بها ونفها لقرونها • شاعر الثورة الميرانية وبب السيف والقلم محمود ساسى
البارودى • يقول :

• كان واحدا من الشعب • فقط ملاسحه كانت تركية تركسية • اما دونه بلانها
مصرية وعربية • ولله وقف الى جانب الشعب وكان بطلا • وخاض مع الزعيم العظيم
احمد عرابى معركة الحرية والشرف والحياء ضد الخديو توفيق او ضد الانجليز الذين
استعبد بهم الخديو الثانى وغزوا بلادنا علم ١٨٨٢ •

كان لسانه يرمى أحيانا بلغة الاتراك • وينطق دائما باللغة الميرانية شعرا ونثرا
وكان البارودى قبل الثورة ينظم قصائده يعض فيها على التخلص من الظلم • ويهدد
لئلا يتركها يزول حكمهم • وكان كامل الشنواى يصف معظم قصائده ويروى لنا :

يا ليتما الظالم في ملكه
أغرق الملك الذى ينفد
اصبح بنا عاشت من كسوة
فقط عدل والحق في يد

ويقول كامل الشنواى ان البارودى دفع ثمن ثورته وطولته عذابا شديدا في
النفى مبعدة عشر عاما • وعانى في جزيرة • سردينيا • الرقى والبس والصمم والحنين
الى وطنه وأبنائه وبكى شريحة حياته التي ماتت وهو يبيع منها :

كيف لا أتعجب القصاب وقد
اصبحت كحلا في حنطة دلفتراب
أنتلق القصاب جلدي وكساني
خلسة منه دعة الطبيب
ولوى شعر حاجبي على
عينى حتى اطل كالقصاب

لا تدرى الفنى حين يسلمح الا
كفيلال .. كالنقى فى طيباب

واذا سادعت صوت كائن
أسمع الصوت من وراء حجاب

لم أدر صولة العوادى منى
غير أنلاء حبة فى تيباب

ومن الذين كتب عنهم كامل الشناوى كثيرا وحذونا عنهم كثيرا .. عبد الرحمن
الكواكى الرحالة الناصر ، وقاسم أمين القاضى حور المراثى ، وصحر القلوب وهو القائل:
« اذ كان لئال زينة الحياة .. فالحب هو الحياة بينهما » وقال « كل عشق شريف ..
لأن كان بين شريطين لئال فى قيمتهما ووقع من قدمهما ، وإن كان بين وشيخين البسهما
شرقا وغربا » .

وكتب كامل الشناوى وروى لنا عن استاذ الشعراء فى مصر اسماعيل صبرى
بلفا أول نائب عام مصرى .. وكان يفتك كثيرا ولم يكن ملجأ :

تسأل الله لا يطعم كسبه الإنسان
أفكره ! وأنت عليه - لو تعلم - يرهان

ويغلب ربه قائلا .

حشيتك حتى قيل : أنى لم اتق

يا لك تطو عن كثير وترحم

وأملت حتى قيل : ليس بمغاث

من الله أن تكلوى الوجوه جهنم

وكامل الشناوى الفنان ، الذى يهوى للموسيقى ، ويضطرب للقاءه ، والشاعر
الذى يكتب قصائد مفعلة تعرض إيقاعها عن الملحنين .. كانت لديه زنجيره من
المعلومات والأراء حول فنان الشعب العظيم سيد درويش الذى اقتضى بألام الحب ودوقى
مماناته وتلقى يترا به والمجادة .

وكان كامل الشناوى ينقل لنا ذكريات أحمد شوقي عن سيد درويش وكانت
المصلات قد تولدت بينهما عندما لحن قصيدته القومية : بنى مصر مكانكوا . فها :

يقول كامل الشناوى : (لقد عرف سيد درويش أن ليلته غفوة طيما ، وفجر
بالنقمة على هذا العدو . أراد أن يسميه القصور ضد العدو بالكلية .. فوجد أدورج
الكلمات تنطلق من فم مصطفى كامل .. ثم من فم سعد زغلول ، أراد أن يجر
بالصوت الحلو .. لوجد أهل الأصوات تخرج من حناجر أخرى جميلة .. فأتجه
إلى ترقية موسيقاه من البلب والفضول والتكرار ، وحاول من وسيلة لتزجيته الفراغ
والانجذاب والتطريب .. إلى حائز من المشاعر ويطلب المواقف .. وهو يصعد
مفهوما للامان ، ويحاول أن يضع كتابا عن الموسيقى ، ويبدأ فى تأليف الكتاب ،
ويشعر منه أزيمة قصود فى مجلة النيل عام ١٩٢١ ، وكان رأيه أن للموسيقى أصوات
متكافئة .. تسببت أنعاما بواسطة احترافات تيسبب لها الأفتدة كما يتجلبب الحسيد
للمنطاطيس .. وكان يوقع هذه القصود بألفه « خاتم للموسيقى سيد درويش ») .

ويضيف كامل الشناوى : « أكثر ما حرلى لى سيد درويش أنه صمم أكثر من
مثنى لحن وأوبريت ومات وهو فى الثلاثين من عمره ! أما الأمر الثانى . أنه بعد أن
أعد نشيد بلادى بلادى استقبلنا لاستقبال سعد زغلول عند عودته من الخارج يوم
١٠ سبتمبر عام ١٩٢٢ . ولم يحضر الاحتفال . وظهر سعد زغلول فى الاحتفال

وفدلت الجماهير الشفيع . وعندهما سأل محمد عن صاحب هذا اللحن : قيل : سيد درويش .

فقال : أين هو لأحببه

وقيل لسمعد زغلول : لقد مات

ومات سيد درويش في نفس اليوم الذي وصل فيه محمد من الخارج وفي نفس اليوم الذي شهد مولد نعيمه الخالد . . . »

وكامل الشناوى سمع بمظم الحان سيد درويش من محمد عبد الوهاب . وكان يقول أنه أحفظ وألحن من عاصروه . . . وكان يتلوى بأن يتولى عبد الوهاب بنفسه تسجيل أعمال سيد درويش بصوته . ووافق عبد الوهاب ولكن بشرط . أن يكلف بذلك رسميا من الدولة . . . خطية الترضى للكشاي التي تخصص محمد البحر ابن مسيد درويش لى إظهارها في وجه كل من يتعرض لأعمال والده وتسجيلها أو إعادة توزيعها ولعل عشق كامل الشناوى لسيد درويش وفهمه . . . هو الذي دعاه إلى أن يقول لنا سرا لم يكتبه . وهو ضرورة أن يكون للفنان موقف حتى لو كان طربا . فلو لم تطرب لمتحذ من اختياره للكلمات واللحن وطريقة الأداء . وكان يقول : « كل مطرب وطربة يحتاج إلى فكر ورأه أن كان بلا فكر ، ولعل نجاح عبد الوهاب يمسزى إلى حد ما لصدافته بشوقي . وربما كان نجاح عبد الحليم يرجع لصدافته بكمال الشناوى فقد كان يضع خبرته الأدبية وحسه الصحفي والفنى في خدمة عبد الحليم فكان يستعيره دائما في أعماله الفنية واختيار النصوص الأدبية . وكان هذا دوره أيضا مع عبد الوهاب بعد رحيل شوقي وكذلك لم نكتب .

غير أن كمال الشناوى لم يكن ينفى أبدا . . . أن عبد الوهاب وأم كلثوم وعبد الحليم وغيرهم من المطربين والمطربات والممثلين والموسيقين . . . في أشد الحاجة إلى فهم أبعاد الثورة التي تزعمها سيد درويش . . . وأنهم كسالى ومتخلفون عن مواصلة حمل رسالته واستمرار ثورته .

وقد لما حب كامل الشناوى لسيد درويش زعتيا مع حب صديق غيره يوسف حلمي له ، وهو الذي طالما تحدث عنه في مجالسه في حياته وبعد فيا به ! لقد لعب يوسف حلمي أهم الأدوار في حياة كامل الشناوى بعد استقراره في المدينة زينب . وكان يردى إلى تغفلوا عن سرقة صديقه ، الكثير من القيم واللوازم والمواهب التي كان يحصل بها . . .

كان كاتبا يتهاوت فرده روز اليوسف اليومية على قراء مقالاته القصيرة تحت عنوان « حسه » وكان يشارك في تبويب الجريدة . فكانت إحدى الاتهامات الكبرى في نفوس صحافتنا « مادة واسلوا ، واشرايا . . .

وكان لخاصا انقلب إلى للكاتب العربية مجموعة من القصص المستخرجة التي أصدرها منذ ثلاثين عاما قبل وفاته . وكان أول خريجي معهد التمثيل ورأس جمعية انصار السلام التي انضم لكامل الشناوى إليها فترة من حياته وكان يوسف حلمي ينادى بالبادي الاشتراكية قبل قيام الثورة . ولم تقتله للهام السياسية والاجتماعية التي اضطلم بها . عن الاهتمام بفن الغناء . فعمل على إنشاء جمعية إصدار مسيد درويش . فقد كان مؤمنا بأن هذا الفنان هو أول من استمد الهامة من الشعب . . . من طبقاته الكادحة وفنائه المظلومة . من أجداده الكبري . من يلبسه وزيه . وترانه الحضاري . وأنه التريل الذي نقل الأغنية من الشعب إلى المسرح ، ولم يحصلها احتكارا لعناصر المطربين . بل جعل الشعب كله يسمع ويغنى . كانت الأغنية لردية ، فصاروا جبايعه . . .

في كل هذه الاهتمامات شغفه كامل الشناوي . وكانا يختلفان ويختلفان ولكن الصداقة بينهما كانت تقوى اوسعها يوما بعد يوم . . . فقد بدأت بينهما منذ الصبا . حيث كونا معا جمعية الادب والتمثيل وكان بين اعضائها أحمد حسين الحامي ومحمود الملبجي والصفي محمد نزيه . . . ومن خارج القاهرة فتحي رشوان . وكان يوسف جلي كما يقول كامل الشناوي « يتميز بالجدية والصلابة والرفقة ولم يكن يتساحل فيما يؤمن أنه حق ، ويدافع عس إيمانه بالكنيسة الصريخة ، والابتسامة الحلوة . ويستعمل عضلاته عند الانقضاض . فقد كان قوي البنية ، شجاعا يفيض صحة وشبابا . . . وكان نموذجا للمثالية في سعادة ذلك الزمان . فهو لا يقبل التراجع في قضية الا اذا القنع بها مهما كانت الاغراض للمادية يرغم التزاماته المالية . . »



● في الأدبية الباقية من زيادة ثاني ولدت في فلسطين عام ١٨٩٠ ، وعن صالونها الأدبي الشهير في القاهرة . وعن الشخصيات التي كانت تتردد عليه وعن السنين وقوا في حيا . . . كان كامل الشناوي يمدنا . ويمتنا . فهو قد تعلم الكثير في مثل هذه الصالونات ، وفيها تضيفت ميالته ، وصقلت مواهبه ، وترأست خبساته ، وذكرياته .

وكامل الشناوي كان حبه في الحديث عن دورا القبايين والقبول والفلسطينيين في النهضة من الطباعة والنشر والصحافة والترجمة في مصر . وكان والده في ، الياس زيادة مؤسس جريدة « المعروسة » التي كانت تصدر يومية أو مسائية . وكانت تهتم بالسياسة وشئون الأدب .

ولقد صاحبت في زيادة في تحرير « المعروسة » بعد أن درست أدب اللغة العربية حيث كانت ثقافتها فرنسية بحتة قبل أن تأتي الى مصر وتستقر . ولشهرت هي والأدبية التي تكذب بالعربية أيضا على صفحات المجلات الأدبية كالإلال والكتف والرهود .

وفي المنزل الذي يشغل مكانه الآن محطة البترين بشوارع عدلي . كان صالونها الأدبي الاول . ثم انتقل بعد ذلك الى عمارة تواجبه مبنى جريدة الاحرام القديمة حيث كان يعمل كامل الشناوي .

كلا من المتردين على نفوة في كل ثلاثة . كثير من عشاق في أو من عشاق الثقافة والعلم والأدب . وكان من بينهم أمير الشعراء أحمد شوقي وشيخ العسوية أحمد ركي ، وشيخ القضاء عبد الميرز فهمي ، وشيخ الشعراء اسماعيل صبري ، وشيخ الصحافة داود بركات ، وشيخ المفكرين الدكتور شيل شميل ، والاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق ، وعبد الأدب العربي طه حسين ، وشاعر النيل حافظ ابراهيم ، والشاعر الفاتر ولي الدين يكن . والأديب المحافظ مصطفى صادق الرافعي ، والكاتب الكبير اخوان جميل . واستاذ الجيل أحمد لطفي السيد والاستاذ الدكتور منصور فهمي ، والكاتب الكبير عباس محمود العقاد ، وشيخ الخطاطين نجيب حوراني وللتأني والتأني وغيرهم كثيرين !

ومن ذكريات كامل الشناوي « للحدث » عن صالون في . . . أن شيخو صالونها الأدبي كانوا يمسكون نسجها - على اختلافهم - عاطفة حب أبوي أو عاطفة حب عذري ؟ يرضى اسماعيل صبري ولا يستطيع رؤية في يوم الثلاثاء . فيهدد اذا لم يشف يوم الثلاثاء . . . فلي يموت بهذا اليوم ابدا . . . ولا يكمي بهذا . . . بل يقول : (واستغفر الله من لطفه) من العمر لم تلقني ليك حبا !

وكانت في « تقول للسبيل شميل : « انني اعجب لك » كيف تكفر بالله وتؤمن
بدارين » . وعندما مات وثله حافظ ابراهيم يقول :

جزع العلم يسوم مت لمن الدين صولة الكفار

اما علاقة اسعد زكزي يمي . فكانت علاقة تدور حول الاحداث اللغوية . وكان
يلود يركات يدخل ويخرج الى الصالون بطير استثنائي كلما وجد لديه فرصة للراحة
في صلبه بالامرالم . فلم يكن يحتم بالادب ..

اما خليل مطران فكان يداعب مي ويغار عليها . ويوما راحا تدور احد صديقاتها
قيل سفرها الى حلوان . واصطحب اليكاه فساكنه مي عن السبب ؟
فقال : ايكي صفر صديقتك !

فقلت ولكنها مسافرة الى مكان قريب .. الى حلوان !

فقال خليل : ما دام المكان قريبا .. فلم هذا الوداع الحار !

وهي شعورها نحو الطوبى جميل الاديبي ، و خليل مطران الشاعر . قالت مي :
« ان الطوبى بالغ جواهر .. و خليل مطران يملك الجواهر ! »

وكان مصطفي الرافعي موافقا في صككة طنطا . وكان يأتي كل اسبوع لحضور
صالونها الاديبي يوم الخميس . ثم يعود لزيارتها يومى الخميس والجمعة . وقد احب
« مي » . وكان يعتقد ان « مي » تحبه . وقد نظم فيها قصائد مطولات ، وكتب
« رسائل الاحزان » وكان رواد الصالون يستخرون منه ، ويسلقون على حركاته بصوت
خافت ، وكان لا يسمعون ، لانه كان نائم .

وكان عبد العزيز فهمي دائما صليتا في صالون مي . وساله خليل مطران يوما
لماذا لا تتكلم ؟

فقال : اذا تكلم لطفى السيد فقد وجب ان تصغى !

فقال خليل : ولماذا تكلمت اذ كنت صافية ..

لفضلك وقال : النظر هنا ، وإشار الى « مي » . خسر من الكلام وخسر من
الاصغاء .

وكانت هذه هي عبارة الفضول الوحيد التي تعلق بها عبد العزيز فهمي في
صالون مي .

وكانت مي تسمى شوقي بالشاعر المصنف . وكان يجلس في صالونها
بحسبه فقط . اما تفكيره وشعوره فهما في مكان آخر لا يطمح احد .. وهو أيضا
لا يطمح المكان !!

لذا هم شوقي بالاصراف وقت مع « مي » على الغراء يقول لها كلمة مجاملة .
ويسمح منها هذه الكلمة !

ودرى لنا كامل الشناوى ان مي كانت ترى في طه حسين اديبا واستاذا وكانت
صلتها به ادبية ، فهو لم يجرّد على صالونها سوى مرات محدودة . وكانت صلتها
بمحمود فهمي حول الفلسفة والروحانيات ، وقالت عن صلتها بالمتينة بنجيب حواويش:
« صداله مؤمنة ! »

اما استلا الجليل لطفى السيد . فلم يمشق « مي » ولم تشقه « مي » . كان
يحب جوها المشبع بالجمال ، والدكاء والثقافة .. جميعا . وكانت تحب جوه للتسبح
بالذكاء والثقافة وحبها !

وهي الذين احبوا مي وربما احبهم .. ورى كامل الشناوى لنا .. أنهم ثلاثة
وقفوا على قبرها والنسوع تطرف من عيونهم ..

عباس المقاد قال : كل هذا في التراب ١٩ .. آه من هذا التراب ١١ ..
 ومصطفى عبد الرزاق قال : شهدتنا مشرق « مي » وشهدتنا مغيبها ، ولم يكن
 طويلا عهد « مي » .. هل أن سجعنا الأدبي كان طويلا ..
 أما ولي الدين يكن الشاعر المتحرد النابض بالآلم ، والفكر والحياة ، فلم يقبل
 شيئا في موت « مي » .. فقد مات قبل أن تنبت مي بشائية عشر عاما .. وقد بكته
 « مي » .. بكته عينيها ، وقلبها ، وقلعها .. وكان بينهما حب جارف .. ووجد مشبوب
 الأوار ١

يقول لها في إحدى رسائله : .. انك بذلت الفجر الصادح في روض الحياة لا تقول
 لها وقد انقطع هن زيارتها بعد بطوة لم تدم غير بضعة أيام .

تسمين ناسيه . وأسى ذاكرة
 عجبا لشاعرة تهجر شاعرا ؟
 فهل لللائكة كالحصان هواجرا
 أن اللالك لا يكن هواجرا
 إن كنت لا اسمي لدارك زائرا
 فلكم مسمى فكري لدارك زائرا
 والليقاطب طيفها في المنام :

عينك عينها كذا كالتا
 والوجه ذاك الوجه لم يعل
 اعرف لظننها برغم السوى
 حكم أسبابا ذا مقلبي
 يظل قلبي خلفا هكذا
 كأنه ألقى في مرجل
 إن كان هذا ما دعوه الهوى
 فمتل هذا الليل لا يتجل
 ياديجي يا جلفي يا صبا
 إن لم لمت وجدا فلا يد لي !

وفي لقاء صحفي بين كامل الشناوي والمقاد .. سأله : .. لقد سمعت من خلال
 دواوين شعرك صورا عديدة من « مي » .. وإذا لم يخفى تكني فإن اسم « هند » الذي
 ورد في أكثر من مقطوعة شعيرة تقيض بالزل والنزق والعنق .. ليس إلا اسما
 مستعارا « لي » .. وعدد حروف « هند » مثل عدد حروف « مي » إذا حسبتا ليه
 في اسم « مي » حرفا .. وكلا الاسمين من وزن واحد .. فاسحما يجعل مثل الآخر
 في بيت الشعر دون أن يكره ١

وضحك المقاد تسحكته المكبوت وقال : انظر استنتاجك هنا صحيحا !
 قال كامل : ولقد رأيت كل ملاح « مي » في قصة « سارة » .. أن « مي » هي
 البطلة للناسه « سارة » .. فقد وصفت احدهما فقلت إن حولها نهرا يساعد على
 الوصول إليها .. ووصفت الأخرى فقلت إن حولها نهرا يمنع من الوصول إليها ..
 أن « مي » هي الأخرى ولا شك ١٩

وأبى المقاد دحضه من استنتاجه وقال : لقد حاولت جهدي أن أكتب هذه
 الحقيقة عن أقرب الناس لي وكان هرمي إلا أبهر بها يوما .. ولكن بعد أن يصبح
 هروانا المليف قارضا يجب أن يسجل .. وأنا عندي من رسائل « مي » ألى .. وهذا

من رسائل إليها • ما يصلح كتابا يصور علاقتي بها ، وهي علاقه قائمه على الحب المتبادل ..

وقال كامل : لقد ظننت ان لدى الدين يكن هو الاستاذ الوحيد • أو الاديب الوحيد الذي أحبته • هي • !

فقال المقاد : لا .. ليس هو الوحيد !

وقال كامل : وهل كانت تحبك كما تحبها ؟

قال ليس من حق أن أجيب عن هذا السؤال • ولكنني عندما أقول لك اني لدي الدين ليس هو الوحيد الذي أحبته • هي • فانا اعرف ماذا أقول !

وعندما وحيه كامل الصناوي المقاد برواية صديق زامله على مدى ثلاثين عاما • كل له سمع منه ان المقاد لم يفر من • هي • بأكثر من قبلة على جبله • حيث كانت تخرج مع المقاد ليشاهدوا الأفلام السينمائية في الكنيسة • وكانت تعرض أفلاما ثقافية حتى تجذب الشباب وتحسي للدينين من مشاهدة الأفلام الباطلة .. كان المقاد يومئذ كاتب الولد والفرز الأول بوزارة البلاغ • وكانت • هي • تحاول إلهائه بترك السياسة والكتابة في الأدب ..

ولم يكتب المقاد رواية صديقه عن حبه • لي • وقال : « صديقتي لم يفهم الوضع على حقيقته • فالواقع ان • هي • كانت تشفق من عتف حملاتي على الحكومة • كانت تخشى ان تجرني هذه الحملات الى السجن • وكثيرا ما رجعتني في أسلوب رجيم رقيق ان اخفف من غلوائني وانا اعالجهم خصومي • حتى لا يلقوا بي في غياهب السجن • وتعرض حياتي للخطر • وكنت استغل هذه الماطفه • في جعلها تبدأ بمصالحتي كلما وقع بيننا حصاص •

حدثت بيننا جفوه • وأصررت على الا اتصل بها • ولكني شعرت بعين اليهاس • فلم اكر في رؤيتها أو كتابه رسالة لها • وكتبت مقالا عنيفا هاجمت فيه اسماعيل صدقي وكان رئيسا للوزراء • وفي اليوم التالي جاءت • هي • الى جريدة البلاغ • وتابعت المرحوم عبد القادر حمزه وقالت له : « ألم تنفق مع الاستاذ المقاد على انه يهجم به في هذه الايام الإقلاخ عن هذا الأسلوب الصيف .. حتى لا يعرض نفسه للاحتمس علبسه ؟

وكانت غرفتني بجوار غرفة عبد القادر حمزه • ويفصل بيننا باب • ولذا هذا الباب يفتح • وعطل منه • هي • وحفظها الاستاذ عبد القادر يقول : علما هو الاستاذ المقاد الملقب له ماتريدني !

واصططت • هي • الهدوء • وتصلت بالانضمام • وقالت لي • فم هذا الصنف ؟ قلت لها • أو قلت لنفسي لا اذكر : • وفيه هذا الجلاء ؟ وانحدرت من علي • هي • المصراع • وحسبتها جموعي انا لادموع • هي • • فقد كان البكاء يخفقني ! • • وهي ظاهرة الصالونات الأدبية التي تنزعها النساء في ذلك الزمان .. يقول كامل الصناوي :

(لم يكن • صالون • هي • أول • صالون • أدبي لسيمة في تاريخ الأدب العربي • فقد سبقها الى ذلك مجلس السيدة مكيمة بنت الحسين رضي الله عنهم وكانت عيلة تنال الأبهة من قريشي • ويجمع إليها الشعراء • وكانت أخس التناشيرا وكانت تصلف شعرها تصفيقا جميلا • وعرف هذا الصنف أو التمرحمة باسم « البسة السكينية » وكان عمر بن عبد المزي إذا وجد رجلا يصلف شعره على طريقة

ممكنة جلده وحلق شعره - كما لفتت « مي » انتظار أبنائه جيلها وكان كثير من الفتيات يحاولن تقليدها في إرسال شعرها وراء ظهرها بتناية تحسب بمنع الحباية ! وكانت سكينته تجتمع في منزلها لمرء الفناء ، وتعود الناس إلى الاستماع وتكلم اليهم الطمام ، وتجبر الفتيان والعصراة - وقد كان لها ولم بالفناء ، وكانت تنفسد الألبان والأشجار ، وتشرح أسباب تقدمها ، ولعلها أول من قبل ذلك ، فقد كان النقاد قبلها يكتفون بقولهم : هذا الشعر خلق الله ، أو ما أبطل هذا ! وما أقبح ذلك ! ولكن ممكنة كانت لبلده وتبين موافق النقد .. سمعت جوري يقول :

طرقك صائمه القلوب وليس ذا

ولدت الزمارة فارحى بمسحلام

تخلفت له : وفي ساعة أحل من الطرق ؟ قبح الله صاحبك ، وقبح شعره !) وهي كانت أيضا تحب الفناء ، ويقول كامل الشناوي أن طه حسين روى له .. أنه كثيرا ما كان يصرف الزائرون من صالونه « مي » قائلا بها تستقبله ولطفي السيد ومحمد حسن الرضوي .. وكانت تقضي لهم ألفتة لبنانية مفسهورة « يا حبيبتة » وتقضي أيضا بلهجات مختلفة .

وقبل صالونه « مي » أيضا كانت هناك صالونات أدبية أخرى للنساء مثل صالون الأميرة نازلي الأرمستراطي بمابدين . وكان الحديث فيه يدور غالبا حول المسائل السياسية وحركات الإصلاح الاجتماعي والديني التي كانت تشغل الناس في ذلك الوقت . وكان سعد ولؤلؤ وقاسم أمين ومحمد عبده وحسن مهدي الرافعي يشاهدون بعض اجتماعاته .

وقد ظهرت « مي » في مصر بعد ظهور أدبيتين هما عائشة التيمورية وكانت علي طريقة شعرها هذا الزمان ولها ديوان مطبوع .

أما الأخرى فهي باسمه البادية ملك حفني ناسف كريمة اللغوي الأديب حفني ناصف ، وكانت تدبغ المقالات ، وتدير المناقشات على صفحات الجرائد ، لكن عائشة وملك كانتا تصعدتان من وراء حجاب ، ولم تظهر في المجتمعات أو تخطيا في مجلة . ويقول كامل الشناوي : « لا وجه للمقارنة بينهما ريين « مي » ، لاختلاف الظروف والبيئة والثقافة والدين حق الطريق أمام « مي » ، وسد الكنافة في وجهي عائشة وملك .. ولم تكن « مي » إذن مجرد أنثى ذكية ، لكنها كانت كاتبة مفكرة ، وقد خلقت من الآثار الأدبية ما يكفل لها في تاريخ الأدب العربي عهدا طويلا .. »

ومن الذين تأثر بهم كامل الشناوي وروى عنهم وعن آرائه لهم « علي ابن أبي طالب » في هذا وشجولته وحكمته وتجربته . وعسر إن الخطاب في حزمه وبأسه واجتهاده . وتأثر كامل الشناوي بالقرآن والفلسف والفيلسوف ، وكان نجما في قراءته للفلسفة اليونانية والمعاصرة وقد قرأ وأعجب بالوجوديين وخاصة البركاسي وسارتر وموقفهما المستعير من قضية التورقني الحزائي .. وكان شديد الإعجاب بمصطفى مشرق من السنة . ومحمود عزمي من الصطفيين . وطه حسين من الأدباء ، والنقاد من النقاد والباحثين ، والفيلسوف مصطفى عبد الرزاق من رجال الدين للبعدين .. و .. و ..



● لم يتأثر كامل الشناوي بالفكر السري للتجسد بأحد ، وقد تأثر باستاذ الجليل لطفي السيد .. ولم يمسك ذلك فيما كان يرويه عنه من ذكريات ومواقف وكنائس . وإنما ظهر ذلك جليا في كم الإحاديث القصصية التي أجراها معه على مدى علاقته الطويلة به في أول حديث معه في مجلة روز اليوسف أوائل الثلاثينيات .

وكان كامل الشنلاوي يرى ان لطفي السيد ليس استاذ جيل واحد ، بل كان استاذًا لثلاثة أجيال فقد عاش أكثر من سبعين عامًا ، ورأى بمبديه يلاكموقد تحررت من الانجليز وأمارة محمد علي .

في يوم ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦ وقع حادث دنشواي . الحاحات التي اجتازت له البلاد وارتكبت فيه برطانيا اذنتع جرائم السفف والطغم والطفيلين . واشترك لطفي السيد مع زملائه المحامين في الدفاع عى المتهمين فى القضية ، وقد كانت له طريقة خاصة فى المرافعة .

كان المحامون يرافعون لفيصليون وصبحتون ويشتون . أما هو فكان يحكم كانه يكتب .. كان فى مرافعته يكرر بصوت مسجع :
كتب كامل الشنلاوي وصف لطفي السيد :

وهذا الرجل الضجاج . الخفكر . لايد له من جبال تظهر فيه آثار حرقه وشجاعته وفكره .

ان الصحافة هي هذا الجبال . ولكن صحف ذلك العهد كانت تنسج للأفلاط وتضيق بالمعاني وهو رجل كله بيان .

كانت تنحى الى التحرر من استغلال برطانيا ولى الولاء لسلطان تركيا ، وهو رجل يريد لبلاده أن تتحرر من برطانيا وتركيا معا .. لمينشي صحيفة جديدة لندن . وانشا البحرية ، وساعده على انشائها حرب الأمة . وبدأ الاسلوب العربي الجديد يشق طريقه الى الادباء ، ان اسلوب لطفي السيد اليوم . هو اسلوبه بالأمس . اسلوب المسلمين ؛ تطلق الكلمة كالرصاص ، والرصاصه تصيب الهدف وكان الاسلوب العربي آنذاك أشبه بالسيف ينور في اليد ويلف ويحيط الى تمت ويصعد الى فوق .. ثم لا يصيب الهدف !!

ذلك كان مقدمه أحد حوارات كامل الشنلاوي مع استاذته واستاذ الجيل .. ثم يتابع حديثه الصحفي :

« نحن الآن فى ١٩٤٩ فى منتصف القرن العشرين فلبعض لفظات مع الرجل الذى هدم خرافات القرن الماضي ، واشترك فى بناء القرن الجديد »

حدثت عليه فى محرابه فى مكتبة تلوه بصر الجديدة ، ان الذين يقابلهم فى هذا الركن هم امر استاذاته وأحيائه . ارسطو وأفلاطون واناوتول لرانس وإبر الهلاء للمرى والغزالي .. وأحيانا شوقي والمكتبي ؟

كان متعبا ، لأول مرة أشهر بوطلة المسنين تضغط قوامه ، كانت الأيام من كسل تمشى فى مظلمة بعضى متنته ، ولكنى أربما الآن وكأنها تنقب وتمدو . عرله ذاتها منتصب القامة .. ولكنه فى همه لارة اضطر . لكنى يسمعى - الى أن يعنى حاضره وبعد رقبته ليللا الى الأيام . ويصوب أذنه نحو لى !

كان فى دورالنقاهه .. وقال لى : نضحت أنت .. فان الكلام أصبح يرهقنى ، ولولا أنى لا أحسن التفكير والشكوى من زمان طويل !

قلت : ان الجيل الجديد كله فى حاجة الى حياتك وإلى شيخونتك .. انك الشل الحى للحرية والاضطهاد .. ولقد استبليت بحياتك أن تقضى على مضطهديك !
لطفي استوبوك وانتشرت تعاليسك السامية ..

قال : أية تعاليم .. ؟ أنى لم أفضل شيئا ! كل ما هنالك أنى ساهمت فى الحركة التى قام بها بعض المصلحين من انانزماى افعال صمدخلول وحسين رشدى وعبدالمعالي ثروت وقاسم أمين وعلى شعراوى ومحمد عيسه .. وكانت مهمتنا - اقصد مهمتهم - صعبة جدا . نحاول أن نفقى للشعب طريقا فى جبل شامخ له ذروتان .. احداهما

ذروة الغديو ، والأخرى ذروة الانجليز . كنا نطالب الغديو بمستورنا ونطالب الانجليز بمريندا .

ان أن كانت ثورة ١٩١٩ ، وفي حله الثورة وحدها .. استطلعت الأمة أن تسير من اراتها تجمعا وتحصده في جهادها ، والفضل في ذلك يرجع إلى الانجليز .. لانهم في ايامهم الذين اولموا نار الثورة برعوتهم وتصرفاتهم الخائفة !! ولست الاول ذلك الآن فقط ..

في سنة ١٩١٩ نفسها سال « كيرزي » قائلا « اريد ان اعرف من هو المسؤول عن هذه الثورة ؟ فكان جوابي انتم المسؤولون عن ثورة المصريين . ان احتلالكم وحضانتكم للتكرة مع الشعب كانت وقود النار ، وعود الانقلاب .

قلت : ان هذا تاريخ حائل .. وأنت قد عشت ذلك التاريخ .. بل لقد صمته غاين مذكراتك هه ؟

فقال : مذكراتي ؟ .. لقد أحرقتها لا

قلت : ألما تاريخ بلشك .. فكيف أحرقتها ؟

قال : في يوم من أيام سنة ١٩١٩ عنتنا في سعد زغلول ، ولا أذكر الشهر تماما ، كنت جالسا مع علي شعراوي في بيته ، وكان معنا عبد العزيز فهمي ، وجده يوسف بنحس وأخبرنا أنه علم أن الانجليز قروا أن يلغوا القبض على أريمة من أعضاء الوفد ، ويعردهم من أموالهم ويضموهم أرضيا بالرصاص . ثم قال حقا . انه لا يستبعد أن تكون نفس الثلاثة في مقدمة هؤلاء الأريمة . ولما سمعت هذا التبا لم أمتقرب واقوهه .. فانه ليس الإحالة من سلسلة الحملات التي لوتكتبتها بريطانيا معنا ، ولم يكن يؤمن أن أموت رميا بالرصاص أو شقلا ، فلو كانت حقيقة لا بد من مواجهتها مهما طال اختبارها في السجن ولم يكن يعني حرمانى من مال .. فليس للمال مكان بين القيم التي اعتر بها .. ولكن خشيت أن تهاجم السلطات البريطانية بيثى وتفتشه وتعرض على مذكراتى السياسية ، وقد دونت فيها جميع الحقائق وكان بعضها حلوا ، وكان بعضها مرا ، وفي المذكرات الخاصة يسجل الانسان كل صغيرة وكبيرة ، وقد كانت الصفات التي تمس حركتنا كثيرة جدا ، كنت أسجل في مذكراتي رضى سعد زغلول في ثروت ورشدى وعمل .. وراى ثروت وعمل ورشدى في سعد زغلول وحكنا .. وكانت المذكرات تنظم أسرارنا خطيرة .. اذا اطلع عليها الانجليز .. استطلعوا أن يؤدوا الحركة ايذاء شديدا .

ولمنا لم أكد أسمع النبا الذى الكاه يوسف ساس ، حتى بادرت بالذهاب إلى بيثى في سيارة على شعراوي ، وكان البيت في المطرية ، وعقب وصولى إليه .. اتجهت إلى مكتبى وأخرجت كل ما فى العولاب من الأوراق والمذكرات والوثائق .. وأمرت الخادم أن يضعها فى الحما .. ثم اشعلت فيها النار ا

ولا اكتملك أنى سؤرت .. لقد أحسست أن النار تحرق الأفكار وأرائى وحياة

مهيبة من تاريخ ينفى .. وانتظرت إلى الساعة الثانية صباحا .. فلما يبنى أحد دخلت غرفة نومى ، وفي اليوم التالي انتظرت فلم يبنى أحد .. وإلى اليوم .. لم يبنى أحد .. ولم أعم رميا بالرصاص كما ترى .. وكل ما هناك .. أن مذكراتى هي التي أضعت أو على الأصح أحرق ، وقد أحرقها بنفس اليد التي كتبتها .

قلت : علمه خسارة كبيرة ولاشك ..

قال : لا تخزن .

قلت : أتأخر تاريخ ..

قال : وما قيمة التاريخ ؟ لقد كان فلاسفة الهند وهم في أوج تفكيرهم قبل

ميلاد المسيح بثلاثة آلاف سنة .. يصنعون المعجزات ولكنهم كانوا يمجزون عن أن
يؤرخوا ما يصنعونه !

إن المبره ليست بمقتضات التاريخ .. ولكن المبره بنتائج التاريخ .
قلت : وماذا ترون في نتيجة تاريخنا ؟

قال : إن النتيجة عظيمة ولا شك .. إن ما نلعبه من عذاب وشقاء واضطراب ..
يكون حتماً أمام أننا أصبحنا أحراراً ، وأتينا رأينا الاحتلال البريطاني وهو يقتلنا من
اللمن ، وسيأتي اليوم الذي يزول فيه من بلدنا كلها .
لقد كنا في الماضي أكثر شجاعة .. واليوم أصبحنا أكثر خرية .
قلت : والشجاعة ؟

فقال : أنها لا تزال مع الأسف تعيش في الماضي فقط .
فقلت : ولكن كيف وقد أصبح لنا جيش حارب فعلاً وأبدي شروياً من الشجاعة ؟
فقال : لا أصدق شجاعة الجيش .. فهذا فخر لا جدال فيه .. ولكنني أصدق
شجاعة الرأى .. وهذا ما لا تزال في حاجة إليه ! »



● وكامل الضناوى العاشق الذي عاشى الحب مراراً حياته المتعاقبة ، كان في
نفوة حبه يمثل قول الشاعر العباسي « العباسي بن الأحنف » وهو يقول لصبيته .

• أسستفقر الله إلا من محبتكم

فأناها حسنتي يوم ألكناه

فإن زعمت بأن الحب مصيبة

فالحب أجمل ما يعنى به الله

وعندما طافى حب الكهولة تمثل قول ملك أذله الحب . وهو سليمان المستعين من
خلفاء بني أمية :

هجبا ، يهاب الليث حد سناني

وأهاب لحب فصول الإغنان

حكمت فيهن السلطان الصبا

فقطى بساطان على سلطان

ثم يصف كامل الضناوى مصيره وهو يخاطب قلبه :

أو تفرى بما جرى ؟

أو تفرى ؟ دمي جرى

جسدي من السرى

ورميت في السرى

وقد تأثر كامل الضناوى في رأى الكثيرين من القادسيين من القراء القدامى :
الشريف الرضى لمي كبرماة وكان كامل يتحفظ كثيراً عن الكبرياء في شعره
يقول :

عسلام ياقلب قلبكو

تأش الحبيب عموه

دع الهسيوان وحطم

السلالة وقبره

ياقنتني لست عموه

ولا ألقى المبره

كوني الصميم سحرا

فلن أكون وقوده

وكان يجبه على أبي الملا تشارته وجرته في قوله « هذا جناء أبي عمل .. وما جنيت على أحد » وكامل الشناوي لم يتزوج كأيي الملا - وكان متشائما وحائرا مثلا .. وهو القائل :

لست أنسى القضاة إن قصيد الصل

ولكن أخلاف ظلم القضاة

وقد نشر كامل الشناوي أسلوبا من كتابه الذي لم يتم عن أبي نواس في جريدة الجمهورية وكانت دراسة دقيقة لظروفه النفسية وبيئته وأفكاره . وعندما سافر لحضور مهرجان الشعر الذي عقد بالكويت .. قال له أمير الكويت « إن من يقرأ ما كتبه عن أبي نواس يعتقد أنك كنت مسافرا له » .

وبينما كامل الشناوي في ثماره وحبه روحانيا وعلميا . كان أبو نواس حشيا لكن كامل الشناوي كان يشترك معه في حب الليل واشتغاله كلها ليلية أو فيها يستغنى الليل من حب وأسرار وجمال .

واتخذ كامل الشناوي من إيليا أبو ماضي مذهب « اللادرية » وتأثر بهذا المذهب إلى قصيدة « لست أدري » التي ألفها عبد الوهاب . ولي قصيدة أخرى يقول :

أنا في الظل أسفل

للمسحاة النمل والهجوم

وقسمي يمسحني

لهوى ما له حسم

وال أيسر ؟ لا حسم

فأنا لجهل الحسم

أما خامس القصائد الذين أحبهم كامل الشناوي وتأثر بهم إلى أبعد الحدود ، فهو أمير الشعراء أحمد شوقي . الذي أخذ عنه كراخية الموت وكان يقول عنه :
(الله سيد الأولين والآخرين - موسيقاه العذبة - بيانه المشرق - تخياله النصب - بنتاجه القيم - مسرحياته المخلدة - بيده وعينه وغمياته - بأسانياته وحضرته وعروجه - وأسانيته - بمخاطبته وتجنيدته) ..

وكامل الشناوي كان يعرف الكثير من أسرار شعرية شوقي . كان يقول أن وراء الهندسة المبراهية لمسرحياته رجلا مجهولا هو الدكتور سعيد عبد - وكان يرى أن أمير الشعراء بلغ القمة في علم المسرحيات . لأنه تلمس شخصيات أبطالها وعاش ظروفها وانفعل بها . ولذلك فإن الأحداث التي لم يشها شوقي أو يفعل بها .. كان شعره فيها أقل صدقا واحساسا وخاصة في الحب . لأنه لم يعش في حياته تجربة واحدة حقيقية وعذبة !

وكان كامل الشناوي يرى أن مسرحيات شوقي تبصت بقوة الشعر ، وقسوة المثاليين على الأدباء . ولكنها لم تنجح فنيا . وكان مع الرأي الذي كان يتأذى بسببه التردد في إجراء أي تعديل على علم للمسرحيات لايمس جوهر العمل الفني . وإن مثل هذا حدث لمسرحيات شكسبير . وحدث عندنا بالنسبة لبشر الحان سيد دويهي . فإن أغنية « دوني كل سنة مرة » التي قلبيها فيروز في الاطار الذي رسمها لحواف

وحبائى قد بلغ من التبحر الفنى ما لم تبلغه وحى فى انظارها الذى وضعه سيد
دوريش فى زمانه - وهذا لا يقلل من قيمة سيد دوريش - بل يرفع قدره ، ويشهد
أن المصنوع الفنى الاصيل ، اذا تشكل فى أى قالب لا يفقد قيمته ولكن يزداد جمالا ..
ويقول كامل الشناوى : ان شوقى كان ينقد مسرحياته بنفسه ، ويميد النظر
ليها ، وكلما شهد مسرحية أجرى عليها تعديلا ، وقد عرفته فى أسرته حياته وحضرت
عنه مسرحية « مصرع كليوباترا » وكانت أسقط أشعاره ، وفى إحدى الجلسات أبدت
له ملاحظة على الحوار الذى دار بين أنوبيس وكليوباترا .. جو الموقف يقتضى أن
يكون أنوبيس من خطر الموت ، حتى يفرى كليوباترا أن تقتضى دون خوف ، كانت
تسأله لماذا سيفعل الموت بها .. وما هو الموت ؟

تقول له : وما الموت ؟

أنوبيس : ماذا أقول ؟

كليوباترا : تمثله لى كآلة قد حضر .

أنوبيس : زعمت ابنتى الموت شخصاً يحس وعظمت من أمره ما صير .
ويستعزف فيقول :

وما هو الا انفساء الحياة

وعصفت الردى سراج المسر

وقلت لشوقى ان هذا ليس تهويما من شأن الموت ، ولكنه تجسيم لرحمته .
فالمطرق شوقى وقال : لو أبدت حله للملاحظة قبل طبع المسرحية .. لعينته
منهسا ..

وقلت له : عذرى الاقتراح ..

فقال : ما هو ؟

قلت : ليبقى هذا البيت على لسان كليوباترا .. ويعدل هكذا ..

وهل هو الا انفساء الحياة

وعصفت الردى سراج المسر ..

قال شوقى : ان هذا يقتضى ان يجرى البيت على لسان كليوباترا وليس على
لسان أنوبيس ، ويمكن تعديله على هذا النحو :

اليموت له صورة فى اليمون

على قبح صورته فى الفكر

فيقول أنوبيس :

وليموت له صورة فى اليمون

على قبح صورته فى الفكر

لذا جاء كائن بفيض الوجوه

ولن جيء كائن حبيب الوجوه

ومعدل شوقى هذه الملاحظة فى ورقة صغيرة ، وقال انه سينفذها فى الطبعة
الجديدة لمصرع كليوباترا . ولكن يظهر ان الورقة ضاعت منه ، فقد صدرت بسد
وفاته عدة طباعات للمسرحية .. ولكنها خلت من التعديل الذى التزم به شوقى ..
وقد ظلت مصر والعالم العربى فترة طويلة فى حيرة من السؤال حول ايها
أكثر وطنية .. شوقى لم يحافظ إبراهيم .. وكان رأى كامل الشناوى أكثر ميلا
الى شوقى . يقول : « كلا شوقى وحافظ له كثير نحسبه له وكثير نحسبه عليه
بينما حافظ قد صب لعناقه على ابراهيم الهلباوى للمضى السلام فى حادث دنشواى ..

هاجم شوقي القاضي المصري أحمد فتحي زغلول الذي اختسروا في إصدار أحكام
الاعدام على المتهمين ، وعندما أقيمت له حفلة تكريم في فندق شبرد بمناسبة ترقية له
مناصب وكيل وزارة العدل يرسل أمير الشعراء إلى المشرعين على الحفل بهذه الايات :

إذا ما جتمعتم المكرم وصيحو
يتكلمون في اللوكيل نصيحو
ختموا حبل مستوق بغير جبر
وسروال جلود .. وقيد سجين
ولا تعرضوا شعري عليه قصيد
من الشعر .. حكم حطه يمين
ولا تعرضوا في « شبرد » بل أقروا
على ملا في دغسواي حرين ا

وبينما قال حافظ إبراهيم في الولد كروم :
منطري أيديك التي انقضت
عليها ، فلسنا أنه تيممه اليها
وكنت وسيم القلب تحمي شيفها
وتدفع عنا حادئ الدم إن هبها

قال شوقي :

يرون لو أدركت عهد كروم
لرمت كيف تملك الإحكام
وفي قصيدة يودع بها كروم يقول :

لما رحلت من البلاد تلهفت

فكانت الدماء السهاد ويلا

وشوقي بعد ذلك - في رأى كامل الشناوى - كأي فنان ، بدأ يصحاح كثيره ،
وعاش فترة طويلة يستعمل الديباجة التي استعملها من سبقوه من الشعراء ، وكان
يحارهم ، فيلحن بهم ، ويسبهم ، ويتخلف عنهم ، ثم عثر على نفسه ، فصار حرا له
فخصية فنية هذه ، خلقت في الشعر العربي جوهر ، وحقيقة ، وجوا .
لم يكن مجرد شاعر ، ينسق الجملة تنسيقا موسيقيا ، ولكن كان له الهام ،
وهنا هو الفرق بين الشعر الصحيح ، والشعر الرائق . فالتشاعر الملمم يعتقد ان
انتمالات النحنية والتفصية انما هي وحى من قوة ذات قسدية ، وليس من حقه ان
يتصرف في التعبير عن هذا الوحي ، فيضع كلمة غير الكلمة التي يجب ان يعبر بها
عن الوحي . ولو كانت الكلمات متشابهتين . بل يجب عليه ان يقول الكلمة ولو
كله ذلك من الالم ، والارهاق ، والمذنب ، ما يلحق طاقته .

وذكريات كامل الشناوى التي كان يسطفها لشوقي وايامه منه وعصره الحالل
بالشعراء والادباء والنقاد .. حافلة بالكثير من الطرائف والنوادر والافكار .
يصف شوقي وهو يسجل خواطره الشعرية عندما ياتي الوحي :

« كان يميل الى انه جنون - اصيب بفتة بنوية صرع » كان يطمس بيننا ، ثم
يلقى من مكانه الى مكان آخر ، ويخرج من جيب سترته علبه سيجاري يكتب عليها كلمات
ويصور لنا او نلحن به ، والورق يصيب من جيبته ، وعينه مفروقات في لسان
اشبه بالدموع ، وانفاسه لاهية .

وكانت هذه الحالة لتتأبه طيله معاناته في نظم إحدى قصائده فلما فرغ من تسجيل

خواتمه ساعة بساعة ، ووجها يوم - وضع رأسه بين كفيه وكمل القصيدة كاملة على أحد اللقرين إليه . ثم عاد إلى مراجعة الأوراق والقصائد التي سبق أن سجل فيها خواطر القصيدة . فلما أملاه عن ذاكرته لا يكاد يختلف عما سجله في بقصة أيامه .

ويقول كامل الشناوي : فرغم أن شعراء العرب يأمرون بإمالة الشعر . فقد تعرض لحملات عنيفة من خصومه . وكان شوقي يقول أنه فنان ، والفنان يستمد أن يقتنع بوجه يصله . فإذا ما استمرت حملات النقد - فقد جئني بها أبناء الجيل ، وينصرفوني عن الفنان وهو حي ، ولا يقبلون عليه إلا بعد ما يموت !

ولذلك لم يكن يرد على النقد . كان يرى أن الشاعر هو الشعر . . . فهل يستطيع أن يفسر نفسه بنفسه ؟ هل يستطيع إذا سئل : ما هو ؟ أن يجيب ما هو ؟

وكان كامل الشناوي مع رأي شوقي ، وكان لا يرد على هجوم النقد إلا من باب السخرية والتهامية . وكان يقول : إن الشعر ، والموسيقى والرسم ، والنحت لا ينبغي أن يسأل من مر فتننتها . . . فالجواب ليس عندها ، ولكن عندنا نحن الذين لم نكتف فتننتها وعبرنا عنها بقصيدة أو لحن أو تمثال أو لوحة .

وفي أول جزء من كتاب عباس العقاد وإبراهيم المازني تناول قيمة شوقي . . . وهل هو شاعر حالي ، أو أنه شاعر ينسج على منوال غيره من الشعراء القدامى ، فهو يستخدم النماذج السابقة ، والقوالب القديمة ، وما يظهر في شعره من بريق . . . ليس مبعثه شاعرية أصيلة . وإنما مبعثه مأساة المنتظم فترة طويلة من الزمن !

ويقول كامل الشناوي الذي انضم إلى العقاد ومن تعلق حوله في جمعية مدرسة ديوكلو ، التي ترعها شوقي : : إن دفاعهم وودودهم لم تنطفيئ أكثر من كيل الساب للعقاد والمدرسة الحديثة ، وإطلاق البحور حول شوقي . . . كانوا يهيمون بشوقي ويسبون العقاد . وكان العقاد يدافع عن الشاعر الحديث ويسب شوقي من علم . . . وعن تصب أيضاً .

ويضيف كامل الشناوي : إن التمسك وصل إلى حد انكار ميلية شعراء العرب له بإمالة الشعر في المهرجان الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٢٦ ، حتى يضمن المجيبين بشوقي انضوا إلى التصحيح منه لأمور يمينية عن الموضوعية ومنهم الشاعر محسن الهراوي الذي نظم أبياتاً يهاجم فيها شوقي لأن لجنة المهرجان لم تمنحه لائقه قصيدة :

هو في أصيخكم

ملك . . . فله

وهي جهـورية

لا تـرى مـطـر ؟ !

ليس عنا شاعر

لم يكن أبـله ! !

غـيـر أنـما مـعـر

ليس يـرـى ذـله

كـيـف نـلـى حـامـلا

حيث يـلـى نـله ! !

وفي مذكرات كامل الشناوي نقرأ الكثير من الأسرار والذكريات عن أيامه مع شوقي وعوالم الشعر والضمير التي شوهها عصره وقراءته . . . كانت مصر موقفاً كبيراً لا ينطق سواه . . . سوف يرضى إليه عذرات المشركين لحول الشعراء ابتدعهم الذي . . . يتألمسون ، ويهملون . . . وكان بعضهم يسقط وبعضهم

يصعد .. وكان المستفيد هو الشعر .. وجسود الشعر والمواهب الشعرية الواضحة
مثل موهبة كامل الشناوي .. التي استغلت وعت تجاربهم وشهدت ولادة إبداعاتهم
.. وشرحت من التبع صفاته وجسالة وفاته ..
ويذكر كامل الشناوي عن شوقي جلعه وعلمه العفدي عن الموت - فكان
يطعن إلى الضجيج ، ويحفل من الهدوء يصب الشوارع بالصاخية ، والأتوار الصاخية
وكان حريصا على إحاطة اسمه بالضجة والصخب - شجرة المدح ، وصخب الفناء -
عندما زالت الدنيا حافظ إبراهيم حزن عليه وحزن على نفسه ..
ذلك أن حافظ إبراهيم رغم تدينه لشوقي - ومحاولات حصول أمير الشعراء الزج
به في حلبة الخصومة ضد - إلا أنه يايحه على أمارة الشعر في قصيدة مطلعا ،
أمير الشوقي قد أتيت مياحها وعنى وفود الفرق قد يايحت ميا
وقد حاش معما مات الشيخ محمد عبده - أن وقف على قبره سبعة من الشعراء
وكثبا أعد الأدياء - آنذاك - بأن من وقفوا على القبر - سوف يتوفون ليلها بحسب
ترتيب القوائم فصالحهم - وكان شوقي قد أرسل ثلاثة أبيات لثاني على القبر - فكانت
آخر أبيات أنشدت ، وجاء دور حافظ مع الموت .. فلما سمع شوقي يوغاته
جلع - أحس أن منيته قد دنت ، وصافى إلى الاسكندرية - وتبارى الكتاب والشعراء في
رثاء حافظ ، ولم يسم أحد شيئا عن مربة شوقي ، فحمل عليه بعض الكتاب واتهموه
بالبدر وقلة الوفاء - وقالوا أنه يصعد حافظ حيا وميتا - وقد رد عليهم برثائه لحافظ
فقال :

ودعت لوائي الفديك من السردى
والكاذبون - المرجسون فدائي
من كل حليم ربيتي -
بكرامه الأتقاني والأفسي
ماستطوعت راسا بك - طسوا
من ذا يحلم وغرف بالجوذا
انظروا فانت كاس شائك فاصف
في الشرق واسمك أولم الأسماء
كما يروي كامل الشناوي - أن شوقي مات في نفس العام الذي مات فيه حافظ
إبراهيم وتوفي الشعراء بحسب ترتيب القوائم فصالحهم على قبر الإمام محمد عبده ،
وكان أولهم حفي ناصر وأخروهم شوقي 11
وعندما وصل أمير الشعراء ، كان كامل الشناوي مازال شابا غضا وشاعرا فصلا
ونظم قصيدة يحرر ليها استغاده :

ملا العيسة ترنما وحديلا
وقضى .. فرغيا بكاء وحديلا
من أسكر الأيام حيا سدود
في الموت أسكرها أمي ودحولا
مازلت أسكن بالدمى ممللا
نفسى .. يغسكيل الذي قد قبلا
حتى رأيت بكل دوحى وحشة
فركته مصور الفصون مميلا
ولجت أسراب الطيور حزنة
حرسه لا فسوا ولا تروىلا

لشعرت بالرجلى يدي ديبها
 لا خاليا أبقت ولا ماحسولا
 واذا فلتا فلتا فلتا فلتا
 دنيا وبات لسواؤه محسولا
 والذ لله ذهب الزمان بغير ما
 جاد الزمان .. أجب نصبري عيلا
 شوقى دعوتك أن تجيب فلبني
 التي عهدت لك لنداء فبولا
 قد روع الدنيا رفاق فمزما
 في خطبها الذي وعز الدنيا
 يا يوم شوقى لم نجد لك في الزما
 ن ولا لقوتى في الزمان مثيلا
 روعت دنيا لا يزال يروعا
 أن لن ترى منك الغداة يديلا
 كم مضى كفروا بسجدة فسله
 فالتهم بالهجمات دليلا
 قائم مجزة التي وابت لنا
 من شعرك الحب الفناء رسول
 يطلنا سلطت قبلك من مضوا
 كنه العلم .. وسره المجهولا
 فلتعبر الأحياء عن سر السلى
 لا ليت وارفع ستره للمسدولا
 كم مرة أصفيت لي فقلت لك
 فنان يقضى في الحياة محسولا
 يحتاجني الآثم الدفين فارسي
 سكران مشبوب البوى مفعولا
 فالتصوت من الأسمى بجراسي
 وبكيت من حزن عليك طويلا
 لم في ظلال يدبح شعرك وأطرح
 فيه الحياة فكم أراء نقيلا
 تحنو عليك من النعيم سحابة
 تسلي رفاق بكرة وامسلا
 يا ليت شعري كيف حال إلفم في
 أخرى وهل هو حاله في الأولى
 لم أن في كف الخلود وليته
 ظلا لأرباب البيئات طويلا
 يلقون فيه السبه عن أكتافهم
 ويكفون لثمن البلولا ؟

وربما حاجم أحد النقاد أحمد شوقي وقال : انه لو عاش في زماننا هذا لما كان
 له شأن ..

ورد كامل الشناوى على هذا الناقد بقوله « لا عليك اذا رأيت المولى ينتقدون
الاحياء » .

ثم كتب على راية في هذا الناقد وامثاله : « بعض النقاد لهم طابع التجسسين
فالنجار لا يطيق ان يرى مسطرا يارزا - اذا رأى مسطرا حوى عليه بالمشاكوش .
وهذا البعض من النقاد لاهم لهم الاشرط وؤوس البازيز بالشواكيش » .
وقد تأثر كامل الشناوى فى شعره بضمولى وغيره من الشعراء المحدثين والفقهاء
.. وان ظل متميزا فى اسلوبه وأفكاره وتجاربه وشاعريته .
وحقيقا وضعت مصر القباير- ابراهيم ناجى فى مارس ١٩٥٢ قال الناقد : لقد
انتجت المدرسة الرومانسية فى مصر - وموت أيام فاذا بكامل الشناوى الشاعرا
المقدر يجعلها تنطق فى شعره من جديد -

ويقول كامل الشناوى فى مقدمة ديوانه « لا تكذبى » ..
« لا تحاول ان تنسب هذا الشعر الى مدرسة لنية بذاتها . كالواقعية والرومانسية
والطبيعية . فهو متأثر بهذه المذاهب جميعها . ولكنه لا يتقيد بمذهب واحد منها » ..
ولكن نفى كامل الشناوى عن نفسه تهمة الرومانسية هو بمنه أحسن مسلماته
الرومانسية .

نهاية السيرة صحوة الموت



« كمثل ما كان لم يكن
وأنا لم أكن أنا »

في علم العبارة الشعرية الموزنة - لخص كامل الشاوي حياته وفلسفته • ماضيه
وحاضره ومستقبله ..

كل ما كان هباء منثور • تحاربه تردد • وحارته تتراكم ، وعمسه يتناقص •
وصحته تندحر • وقمرانه على السهر والضحك ألم وعذاب • حتى اليقظة بعد النوم
لم تعد كما كانت استقبالا متهللا ليوم مشرق وأمل مضى •
لمى الاورق التي حلقها وراءه - ولم ينشرها في حياته - الكثير من مذكراته
وفيها يروي صدى الآله ومتاعبه التي لم يكن يتقل على أحد بها • فحات تحفه في
أدب الاعتراف السامي

● ما أكثر الكلمات التي وعاما وهي وأما صغر قهري من هذه الكلمات حكمة
تقول : العقل السليم في الجسم السليم •

وكنت أظن اني ساطن مبهورا بها طول عمري ، فالأدهان في مرحلة الطفولة ، من
الأرض ، تحتفظ بالقدور المروسة فيها • البذرة القوية تنمو ، والبنوة الضميمة تلدب
في الأرض • وتصبح جزءا من الأرض !

ولكن سوء حظي أغراي بأن أناقش الحكمة القديمة ، وأدخل معها في تجربة •
وانتهت المناقشة والتجربة بأن اقتلعت الحكمة من رأسي ، فقد أصبح لي أن سلامة
جسمي تنضميني أن أقيد عقل فيصبح عاجزا عن أن يفكر ، أو يتخيل ، وما جلوي
العقل إذا هجر عن التفكير والخيال !

إن جسمي لكي يكون سليماً من المرض ، يجب أن أتبع في حياتي نظاماً صارماً ،
لأمتنع عن الطعام الذي أحبه ، ولا أتناول من الأطعمة إلا ما أطيقه كاللحم المسلووق ،
والخضر الضالئة من بلخ ، والخبز الأسمر الجاف ، والخيار فأكفه ، واللبن الرابى
حلى ١

ويجب أيضاً أن أقطع عن السهر ، وأنام مبكراً ، وألقى الليل من يومى ولا أعترف
إلا بالدهار ٢٠

وينبغى ألا أدين سيجارة ، أو أشرب لفتجان قهوة ، حتى لا يرتفع ضغط الدم ، أو
أعرجى لهيوط القلب ١

ولقد خطت هذا النظام فترة طويلة ، فأكسبت صحتي نصاره ، ولكن عقل أخط
يلوى ويلدبل ، وخيل لى أنى فقدته ، فكننت لفق على رأسى بأصبعى ، أحول إن أصبحت
عنه كما لو كان شيئاً مادياً ضاع منى ٢٠

● أحد المرضى كان يشكو من المرض بصفة عامة ، وعرض نفسه على أشهر الأطباء
فاكتشفوا له أنه ليس مريضاً ، ولكنه لم يصدق أطباءه وصدق نفسه ، وانتقل إلى العالم
الأخر ، وجاء فى تقرير وفاته أنه « مات فى أحسن صحة » ١

● إن النظام الذى وضعه لى الأطباء يحتم أن استسلم للمراض ، يرقد جسمى
فلا يتحرك ، ويرقد عقل فلا يفكر ٢٠ ويرقد قلبى فلا ينقل ١

وهذا النظام قد يطيل عمري ، ولكنه لن يطيل حياتى ١
كند لافطت السجائر ، ففسخى الله صفوى وسطى من الكحة والسعال ، ولكنى كنت
أحس أن عقلى يسجل رؤاى تنكح ١

إن دخان السجارة هو الصبا الذى تنكحها خواطرى ، والأجندة التى تنكح
بها الكارى ، وأنا لأستطيع أن أعيش بدون خراطى أو أفكار ١

● ضحك الطبيب وقال لى : أن الوبال هو العلاج الوحيد لمرض السكر ، ولو
استعصمت لم تخفض وزنك أكثر من ذلك ، فسوف تبرا من مرض السكر حقاً ١

واعتزضت على رأيه بأن يماننى ليست كرامة ، وإنما هى طبيعية ، فقد خرجت إلى
الدنيا وأنا من الوزن الثقيل ، وعفست طفولتى ومبائى وشبابى يدينا ، وكنت برغم
بماننى انساناً نقيطاً ، أجري دون أن ألهث وأركب البسكليت ، وألعت البليساودو ،
وأصعد إلى الدور الرابع عشر مرات فى اليوم بأفئاس حادثة ومثالية ١

وقال الطبيب : « إن تكوينك غير طبيعى ، ومهمة الطب أن يجعلك انساناً طبيعياً ،
لا تعرض لأعراض أخرى تشد من مرض السكر ، فاعصطب الوزن الثقيل - معرضون أكثر

من فيروس لضغط الدم ، وتصلب الشرايين ، وضمخ الكبد ، وكل أمراض القلب ٢٠٠
وذكر أنه قرأ فى إحدى المجلات الطبية ، أن بعض رجال الدين فى أوروبا ، يرون
البدانة خطيئة يقاتل عليها الدين ١

إن الإنسان البدنى يعد مذنباً ، وعاصياً ، لأن البدانة تنشأ من إفراط فى الطعام
وقد نهى الدين عن الإفراط فى كل شىء ١

قلت لطبيبى : إن ديننا يدعو إلى ذلك أيضاً - فمن تعاليم الإسلام « خير الأسور
الوسط » و « نحن قوم لا نأكل حتى نجوع » وإذا أكلنا لا نشبع ١ و « جوعوا تصحوا »

وعصمت بالانصراف - فقال لي : انتظر حتى اكتب لك « الروشيعة »
وقلت له : لا حاجة لي بالروشيعة لقد عرفت دوائى .. لن أكل حتى اجوع ..
واذا أكلت لن أنشبع .

وقال الطبيب الفيلسوف : لو طبق مرضاى هذه الحكمة لاعتزلت مهنة الطب !
وذهبت إلى البيت ووجدت في انتظاري صينية بطاطس مدعمة باللحم وطاقما من
الأرز .. ولست الانانية التي تجعلنى لوثر صحتى على أن يمارس طبيبى مهنته .. لمعت
الانانية والتهمت البطاطس والأرز ، حتى لمستطيع أن أتردد على الطبيب اليوم
التالى !

في آخريات سنواته كان يحمل في جيبه عذبة ذهبية صغيرة وآنيقة تحتوي للعديد
من حبوب الادوية الملوثة - يتفكرها في بعض الأحيان فيتناولها ويتناسلها عن عمد
معظم الوقت ..

(ان التجارب علمنى ان للرض مثل الصبر ، سر غلطى ، وقد عرفت ناسا كانوا
ياكلون يتهم ولم يمرضوا ، وناسا كانوا ياكلون يملر وقلوا طول حياتهم مرضى)
كان لظروب محرم فؤاد في زيارته وكان يستمد للسفر في رحلة فنية إلى الخليج
ورجا كامل الفسناوى أن يطلب شيئا ، فاعطاه قاذبة باسماء ادوية متنوعة لانصرف من
الصيديات الا بمولقة الطبيب ..

كان يستعين بحبوب « الرجالين » للنبهة على السهر ومواصلة السهر ، وكان
يطلب بصبوب « الليبريم » للهدئة النوم لسيولة الأثرية - وقد أصبح النوم في أيامه
الاخيرة كالصوب - يطلبه فلا يجيى .

كان يذكرنى دائما بخالد بن الوليد الذى تحضر على نفسه وهو على فراشه
يهدأ لم يخل مكان في جسده من أثر الطمان ، وكان يتحنى الموت وسط أهوال العرب
وطعنات السيوف . وكذلك كان كامل الفسناوى يخفى أن يأكل الموت وهو قائم وهو
الذى قاتل الليل . ومن هنا كان ولده بالسهر وفرحته باليقظة وانتعاده البطل كل
ليلة حتى الفجر كانا كان كامل الفسناوى يتحنى الموت وهو غارق في امتع لغة مس
للألف حياته .. السهر وصحية النفس .

كان يقول : أنا لا أنسى الموت ، فقد واجهته ما هو اقصى منه ، واجهت الحياة
لنفسها ..

ذات يوم قرر أن تسهر معه بقاته في شارع التياتات - ولطوط عشقه الليل
.. اذا به ينهض من مجلسه ويسأل الستائر على التواء .. وهنكما مباله : لافا
والفجر يوشك أن ياتي بالفضيه ؟
قال : دعونا نستبقي الليل .

كان يناجي الليل ويقول : أيا الليل يا حبيبى اترك عنه نومي للنهار ..
وكان يناجى النوم أن ياتي : أصبح النوم كالصوب - أريد ولا أقوى عليه !
نعم . كانت حياة كامل الفسناوى كما عبر عنها في شعره . يهذه يمزق يهذه
شك . ضباب . حلام . وهرب دائم من مواجهة الواقع .. ورقية مستطلة في الهلاك .
كان ينتصر وهو يحمل صحتة - وهو يلتمس للمسوح به والمتموع من الطعام ..
وكان ينتصر وهو يرمق قلبه الضعيف بالحب الطائش و .. كان مستم انتعاده في
الليل . ولو كانت في حياة كامل الفسناوى مضبوقة اسمت في اقتضاء عليه .. نوى
ذلك الحبيب المملوك .. الليل !
في الليل كانت حياته وكانت نهايته .

كان يشق في الليل سحره وغموضه • ويكره فيه غدره وظلمته • • ولذلك عاش دائما تحت الاضواء •

سأله الدكتور الكاتب عندما كان لزيلا في مستشفى : « أخبرني الممرضات أنك تسهر كل الليل ولا تستأثر منه بساعات للنوم والراحة ؟
قال : لأن معظم الموت يأتي في الليل !

لم يكن هذا حاله مع الليل في شبابه ثم رجولته • كانت الصحة موقورة • والحياة عادة الايقاع • والشهرة مقبلة عليه • والدنيا تتألق من حوله • والمال يساق بين يديه • والأمل في الحب والزواج متجددا ومحتلا • وصحبة الاصدقاء كل يوم وكل ساعة وحتى الصباح ميسورة ومستمرة عزاب بلا زوجات ولا اولاد • •



● لأن دولم الحال من الحال ولاله جاوز الخمسين والزمن يتغير من حوله • •
الذي للابد مما ليس منه يد • • وقرر ان يفتل الليل • كل ليلة من لياليه • وان يحتمي من الموت وسط الناس بالصخب والفرح • • وان يعيش للناس وبالناس • •
كتب يقول : « عمرى مثل ديونى • أدفعه على السط • في كل سنة أسمع
التي عشر تسعا ! »

وهكذا كان احساسه الحاد بالزمن • ولذلك لم يقتر ساعة في بيته • حتى •
• للديه • في غرفة نومه • كان يأذن له بالمرور ليذكره فقط بسوء حاله أو مكالمته
عاطفية • وكأنه يسأل لصاحبه وليس لصاحب الزمن • • وكان يصف عذاب الساعات بأنها
طرفا متصلة • وفي كل حركة تصف أدواها !

• وكثير من أصدقائه كانوا يعتقدون أنه متسام بالتزعة • ولذلك جاء شعره حزنا
وأنياس وشكوى • وكلها معان تعبر عن اليأس من الحياة • أو اليأس من استمرار
الحياة على ما يجب لها أن تكون • فكان يفتي حقائق الحياة التي لا ترضيه • ويستبصرها
غير قائمة • ولكن ما سبته مع الموت • هل يتجاهله • • أم يحارب منه ؟
يقول عن الموت :

شبح يمر • • وما لراه

ونظف نزع من لقاء !

عسر الوجود بظلمه

وعبث على الدنيا بدمه

هو سيف جبار أباد

عالمين ومساكنهم

هو كاس سم في الفجر

من زعناها لا في ضلله

كسبل مستقرها فلا

حذر يفيد ولا ابتلاء

بالقلب قل لي ما الزمان

ن وما نزل من رضاه

وعلام تفسر بالحياة

وأنت من صرعى الحياة

أو ليس أنتصرها صغير

مع تلك أصوات العذراء

وفي تدريجاته الشعرية كتب يسخر من الموت • ومن جدوى التفكير في الموت
واسبابه :

« ما أعجب أن نموت بلا منطق • ولكن ليسا المحب ؟
النا لا نعرف لماذا نسيا • فلما نمر على أن نعرف لماذا نموت ؟
وربما من بلامه • أن نطعن على للرئيس وهو بين ايدي الأطباء • ونخاف عليه
إذا أصبح بين يدي الله ! » ..

وكيف لا يحيا الموت ويستهواه وقد استنظمنا دورة حياته أكثرها • لما وعزلة • وطبعا
ومعنا • واسرائيل للصحة والاتصالات • ومبينا دائما حلف سرب ..

وعندما ألت به الوعكة الصحية في نوفمبر عام ١٩٦٤ أدرك أنها النهاية • عندئذ
رأى الموت رأى العين • وأدرك أن شجرة حياته آخذة في الذبول • وأن ما بقي من
الحس ليس أكثر من ترقب وانتظار لحظة الانطلاق وحشة الكبر •

ومن هنا كانت سفرته من الحياة • وسباقه الأمام مع الزمن • أكسون
فر لا أكون .. ذلك كان سؤاله للبح مع نفسه • وقرر أن يظل حضوره الانساني غامرا •
ولن يعيش ما بقي من أيامه وسط الناس • أن يستمتع ويستمتع بهم !
كان يزعم يومه بالحركة للفتوة والنشاط للول • ثم يكن يرضى ليومه أن يمضي
شبهيا بألمه •

١ كان يدرك أن أيامه محدودة • وأن اقترانه يتساقطون تباعا كأوراق الخريف •

ويقدم مما يشي والقرابي منه خلال عشر السنوات الأخيرة من حياته • لا أتصوره
متشائما كما يستند البعض • كان متشائما فقط حينما يظل لنفسه • حتى نسمعه
للضالم لم يكن يتكلم الا وهو منفرد مع نفسه أو مختل بها منصرف اليها • ولهذا
تدور برأسه ذوار الشك والتمزق • ولكن كامل وسط الناس كان دوما فرحا
ومرحا بالحياة • يظرب لها وينتشي لسماع نفسه • ويزداد طربا كلما طرب الناس
لحديثه وشعره وطره ومقالبه • وكان يتسلل في شعره :

ب جنسوة الموت ما ترى

لم أرى غسوة الحياة ؟

ولم يشعر كامل الشنلوي في حياته بأنه يضحك للحياة • كان دائما يضحك
عليها أو يسخر منها وهو الذي قال : « فإندام الموت يتعقب حياتنا • وماذا لا نعرف
من نحن • فلي للجانين وحدهم هم الذين يضحكون للحياة » ..

ومن هنا كان أحساسه الصيق بالموت • وحيرته أمام هذا السر الغامض • ورو
هوائيه الجاحشة في مديحة الجبانين والغائبين عن الوعي يتطابق بالحياسة • وأخاوته
للشد والطب بينهم وبين الملاك •

ولم يخفي كامل الشنلوي كثيرا عبر مراحل حياته • كان وهو في التمسعين ظلل
للضام وإن كبرت تلامته وأفكاره وتجاربته •

والذين عاشوا مع كامل الشنلوي ظفروا وكهولته • يؤكدون ذلك • كان إذا
ضحك وهو صغير فكانه يبغي وتنعج عينه • وكان وهو كبير إذا غمره الحزن والألم
فأضى بسفرته ضاحكة •

وقد عترف كامل الشنلوي الموت صغيرا • ولم يجد تفسيرا ولا سببا له
عندما توفيت شقيقته الصغرى أمامه • ولم تكن قد أكملت دورتها في الحياة بعد •

ثم أندرك بعد ذلك قسوة الموت وغمره . عندما كان يقف على شاطئ البحر في
 يور سميد . يرى ابن عمه الشاب يلطم الأمواج في مضارب وقوة ثم وهو يرفع يديه
 إلى الله والناس يطلب الحياة والنجاة . . . و . . . غاص في أمانق البحر والمجبول . ثم
 أخرجوه ميتا أمام عيمة جثة حامدة . ونسك بيده فوجدوا لأبيض فيها ولا روح .
 ومن هنا كان نزع من غدر الموت . وعندما سافر لأول مرة بالطائرة إلى الكويت
 وإلى سوريا مع الرئيس جمال عبد الناصر . . . كتب يرقى نفسه ويشغل حال أسفاته
 بعد وفاته . حتى ماتت بيتات المصنف تخيلها وكانت مطابقة لما حدث بعد غيابها عن عالم
 الأحياء وحتى للكن الذي توقع أن يبدأ منه جنازته ويتلقى عزاءه فيبور مسجد عمر
 مكرم . . . كان يمر عليه كل يوم في ذهابه إلى العمل وإيابه إلى بيته . وكان يجرع منه
 ويرتجف :

« ما أشد نفوسى من كل شيء عار . . . انسان ، قضاء ، مكان .
 الانسان العارى من الثياب ، أو الذكاء ، أو الاخلاق ، أو الثقافة . . . يغزني
 القضاء العارى من الهواء يختفى . للكان العارى من الابنية ، أو الزرع ، أو
 للده أو الحركة يختفى !

كل ما هو عار أهيبه ، الاحده القطعة من الأرض التي تتعرض طريق يمشى . . . انها
 لا تنكس بالزرع ، أو للده ، أو العمارات ، أو الحركة ، ولكن تنكس سرائق وامسح
 لتستقبل به الناس وتودعهم . . . وأي ناس هؤلاء الذين يلقون بها ؟ اتهم اسفله الموتى
 يبيتون ليشيوا جنازة ، أو يتبادلوا الحراء وتلمح على وجوههم الوجوه والكتابة . . .
 والولاه الكلمات وحده يرددونها وهمسوتها . . . والأرض المسكينة لا تكاد تطلع
 سرائقها وكسرى ، حتى تمود وترتدى نفس السرائق ، لتصبح جنازة جديدة !
 والذين يترددون عليها اليوم ليمروا فلينا ، سيصبح كل منهم ذات يوم بقاياها
 يمشى فيه الناس . . . هنا في هذه الأرض التي تنكس يوما ، وتنكس بضمة أيام !
 كلما استقبلتني هذه الأرض وهي تكدرى يقطع القصص المرسوعة كالحائط . . .
 انقلبست نفسي !

لا أندرك حل أشمر بالانقباض لاني أعزى في عيت . أو لاني أقصر بأن المقصد
 الذي أجلس فيه لأعزى اليوم . سيخلص فيه غيرى غدا ليمزى أهل في موتى !
 ولكن كيف تفكر في الموت ومازلنا نسيده . . . وهل نستطيع أن تفكر فيه بعد
 ما نصبح موتى !
 ان السقاء هم الذين لا يفكرون في الموت ، وعيننا أسطول إن أكسون واحدا من
 السقاء . . .

كان يخاف الموت في كل شيء يديه بالنظر . يخشى الموت عندما يمشى في الليل
 تحت اسلاك الترام والترولي يأس . يخشى الموت في الرربة اللعنة ، والميني القديم .
 والأساسير للتعيب .

وملا كامل الشفاوى في جريمة الأهرام . يذكرون خوفه الشديد إبان الحرب
 العالمية الثانية عند سماعه صفارة الإنذار ، فكان يهرب إلى دورة المياه ويطلق الباب خلفه
 ، ويظل في سبيله فترة كافية حتى يجد طلاق صفارة الإنذار . فربما كانت هناك
 طائرة ألمانية محتبنة في السماء ولم ترصدتها الكاميرات . وكان يؤكد لزملائه أن أول
 ما تستهدفه طائرات العدو بعد المواقع العسكرية دور المصنف التي كانت يوقا للطفاء
 في علم الحرب .

● وكان كامل الشناوى يضلّ كثيراً ولكنه كان قليل الذنوب . وكان رآه
 د أن البشر كالأنياب . والفرق بينهما أن الأنياب مصصمون من التخلّ . أما البشر
 فمصصمون من الصواب .
 وعندما سأله صديقه الموسوم جليل البندوى : ما هو الخطأ الذى يتردى فيه
 الإنسان وما هو الذنب ؟
 قال : إذا أصبت صحتك .. فهذا خطأ .. ولذا سرقت أدوية غيره فهذا ذنب
 .. وأنا فى حياتى لم أسرق الأدوية . ولكنى أصبت دائما بصحتى .

وسأله : من هم سكان الآخرة ؟
 قال : د أن الدنيا تتسع لمن يعضضون قلوبهم وعيونهم ويضلّون آذانهم وعقولهم ..
 ولكن الآخرة لن تتسع لهؤلاء أبدا . فما جدوى أن يبعث فى العالم الآخر . من لم
 يصصوا مآلى العالم الأول من عظمة وجمال .
 وسأل كامل الشناوى : عندما تهدي كتابا لك لى صديق يقول لك أنه لم يقرأه .
 فماذا تفعل ؟ وأجاب جليل البندوى : أطلق ..
 فقال كامل الشناوى : فما بالك بهذا الكتاب الفصح الذى ألّفه الله ومسمّاه
 الدنيا ؟ وهل يصر الله ألا يقرأه أحد بحجة أنه ناسك أو واحد أو راهب ؟ أن من
 يلقنون ذلك يمانون لمية فى الإيمان .

ثم قال : ومن واجب الناس أن يقرأوا الحياة ويبارسوها بكل ما فيها .. عليهم
 أن يواجوها فتنتها . ومن استطاع مقاومة الفتنة فهو الذى يستحق أن يبعثه الله .
 وهكذا كان كامل الشناوى يرى الحياة والآخرة .. وطعم معنى الخير والشر .
 لقد نجح فى حلقات الحياة التى لأرضيه من خلال نظراته الرومانسية واعتبرها غير واقعية .
 ولكن لى أى مدى يملك الإنسان لتقليد محدود الواقع أن يتعامله ؟

قد يستطيع العلم النعمانية أن يعض عينيّه . وأعلم الأكاديب أن يسد أدوية وألم
 الصراع أن يدير له ظهره . وألم الأساكت أن يتناسلها . ولكن ماذا يفعل أمام
 الحقائق الأخرى القاهرة .. التى تتضم كيان الإنسان وتقرض نفسها عليه . ولّى
 حاسله ..

ماذا يفعل كامل الشناوى أمام لوت . وهو القائل بأن ضوء الحقيقة - كفسوء
 الشمس - يخرق الحجب والظلمات ..

ليس صعبة أن تكون الحرية أكثر ما قلصه فى حياته وطاقه منه بكل قواه .
 كان لوت هو الحقيقة الوحيدة التى لا يستطيع أن يلغىها بتجاهلها . وكانت
 الحرية هى الوهم الوحيد الذى لا يستطيع أن يعيشه بأتمنى : لأنه لا حرية للإنسان
 يصب الناس إلى حد الالتزام بحمل نصف أعبائهم وحده ..

وبين هذين القطبين - لوت والحرية - كانت الأرض التى استطاع فيها خيال
 كامل الشناوى تحقيق الوجود .

وإذا كانت المواجهة صعبة وتناهبها وخيمة . فقول به أن يهرب .. وهرب
 كامل الشناوى ٢٠ أو كان يظن أن يهرب دائما من مواجهة الحقيقة أزم قضية
 لوت والوجود وكان السهر وحوام السهر هروبا من الحقيقة يوعى ولا وهى ..

كان يأوى لى قراهه قبيل البحر أو قبيل الشرق . وكان يسخر قائلا : أخاف
 أن ترمى أول مصفوفة تستعطف فى جدران سبتى فى عودى إلى المنزل عليه المسافة
 وتبلغ عنى البوليس ..

وكان أهل منزله وحما حبه وفلوق أيضا شقيقه أبو الفضل وخادمته سعدة

وربما • يستيقظون مبكرا حال عودته ليسمعوا منه عبارة • صباح الخير • وعندئذ ينلم وسط الجليدية وحركة القطار ..

لم يكن يلوى على مشاركة حياته المليئة كثير من الاصدقاء • وكانت علاقتهم به ليلا تتحول الى اعلان بعد قول سهره منه • وكيف لا ومجالس كامل الشناوى أنس وبهجة وشعر ومرح • ولم لا وسجوم الفن والأدب والصداقة يحضنون حوله • وهو الكريم الحائمي الذى يصر على دفع الحساب كل ليلة من مال فكره ولفته وتبسط قلبه • وقد عرفت كامل الشناوى وهو فى مرحلة الكهولة وأنا على عتبات الشباب وظلمت أمله وأحبه فى حياته وبعد وفاته • كنت واحدا فى طابور طويل من التلاميذ يقف أمامه ويفتح لنا الأبواب للفتلة • يحميننا من المثرات ويجنبنا الاخطاء • ويوزع فى أعباءنا الإرادة والخير والسب والامل •

وكننت مع كامل الشناوى • أثمر بالراحة والطمانينة والفرح • يشتهه للتدنية تكاد تتشابه مع بيتي • وكان يلعبني قائلا • نحن أولاد مشايخ • • وكان والسبى من تلاميذ منه • الشيخ مأمون الشناوى العالم الجليل • • وكان أستاذة وعلمه فى حلقات الدراسة يصحح الأثر • وعندما تولى منصب الامام الاكبر وقع له على شهادة العالمية •

وكان كامل الشناوى يقول فى لهجة من التناء والنقد معا : « ليك من شيامي صور كثيرة » • • وكننت أجيبه دائما : « وأنت صورتني الكلمة يا كامل بك » • • وأدمنت كامل الشناوى • أدمنت جلسة الظهيرة بخور يفتحه من النوم وأدمنت لياليه الطويلة فى متنتيات القاهرة وجنوماتها • • وكننت قريبا منه الى حد ما • ممن عقله وقلبه ونصوصياته • •

ولكن كامل الشناوى تعود ان ينظر الى الاصدقاء من حوله • • اما بالاقلاق عن ايمان السهر • ولما بالزواج أو ملحت الضياء •

وأذكر أننى افضيت له بحصة حب كننت أظفها أقوال السنينيات • وكان صميذا بها • وكان يدفعني الى مواصلة الحب كلما حدث بيني وبين حبي خلاف • ودون ان يندس كبريائي كنن يهديني تذاكر بالحظرة الكمن فى الملاهي والسينيمات • أو يدعوني معا على المقاهى فى اضمح الختام والفتاح •

وهكذا كان موقفه دائما مع كل من يحب • متفلا بالفرح والنشوة كلما مسح على قصة حب جديدة • ولكنه سرعان ما يحوّل الى السخرة والتندر عندما يتحول ذلك الحب الى الارتباط والاستقرار مع من يحب • وكنن ما كان يرى ويؤمن ذلك الحب الذى ضاع أو يوشك ان يضيع •

وعندما صارحته يوما بزمي على تنطبة فتاتي • حاول ان يهديني بمطبخه وحبيته تارة بل الزواج مع الصداقة يقتل الحب ويكبل الاطلاق ويهدى حرجي فى الحركة والحياة • وتارة لأننى لم أعد نفسى لأعياى الزواج الباطلة • وكارة يصحني بإطالة النطبة • فليل تقدرى ينقذني مثله فى آخر لحظة من مأساة التركز على زوجة • وكان يتصحب فى كاملاته المسخرة من الاسنان الذى وجبه لك عقلا وقلبا يحب ما شاله له فن يحب • فى كل يوم • وفى كل لحظة • • لماذا به يكسر بنمته ربه • فيطيب عقله • ويحسى قلبه طواقبه فى أسر حب واحد • يدفعنى الاخلاص • وما هو بالاخلاص • • وأما حب التهلكة والانتانية •

نعم • • كان أشد ما يؤلم كامل الشناوى ان يتفلس من حوله • الاصدقاء والتلاميذ • • الى الزواج والاولاد والحياة الروتينية التى تسمى بالاستقرار • • وهو الذى عاش حياته يعرّف فيها حركة ومرحا وحبا وألحقا بلا زوجة ولا أولاد • • وميمته يوما

يتحتم أن يصبح مالكا لصدقة كبيرة ، وهو أصدقائه وأحبائه ليسكنوا فيها معه بالمجان .

لقد كان يخشى يوما أن يصبح وحيدا بلا أصدقاء يسهرون معه . ويحتج وسطهم من حجة الموت . ولذلك كان في كل يوم يستقبل في حياته أصدقاء جديدا بينما يخرج آخرون وكان يقول :

« كلما ضاع مني صديق . ابتكى عليه كما لو كان قد فارق الحياة ، وأدلفه في اللبى وضعت اليوم يدي على صدري ، فتخيل لي أنه مقبرة تغطي مئات من الأضرحة »
كان يسحب من أمر الحياة والناس وتقنيات الزمن . فكان يصعب لأن الرجال خلعوا الطرابيش . وأنهم أصبحوا لا يجدون حرجا في إرسال شعورهم وثقلون ملابسهم وكل ذلك كان في لعة ما تشبه بالقدسات . كان الطربوش ومزا للكرامة . وكانت ألوان ملابس الرجال لائحة أو غامقة وكانت شعورهم تخرج من الزير إلى مرة ثلاثة .



● تقري الزمن .. ولم يتجر حلاقه لتقواضع وكان يفرح « الاسطى » على الفيومي على أصدقائه ليخلق لهم . وكان يصنف مداعبا وهو يخلق له .. ياله قبة في الطبيعة والبرودة والافتان والتلابة !

وشجع كامل الفنادي الطربوش الالقي كما خلج من قبل الصمامة الزينة ووجبة أولاد الملها . وكانت ملايسه جميلة وغالية ومعتبة . وكان يتعامل في أشبهات أيامه مع ترزى أخرس يطلع له خمسين جنيها في البدلة الواحدة .. وكان أكبر أجب في تلك الأيام لا يجدوا الشرير يحل . وكان يصر على مودة زمان . والوان زمان . وكان يشتري حبات البنتلونات من الخارج ويرفض استعمال الحزام . وكان يستعمل الحمالا بالطاقة للشرابات . وعندما يأكل في منزله كان لا يستعمل الفسحة والسكن . ويوجد متبة كبيرة في تناول الطعام بأصابعه مباشرة ودون تؤده وتائق لأكما يأكل أمام الناس خارج بيته !
وكلما اعتزرت صحته تمت وطأة لمرض والسهر والحب والحصن زاد اسرافه واتلافه للمال في كل ما يأتي اليه بلمرض وطيل السهر ويصل ما انقطع وصلاولريا وجبا ومرحا .

وبدأت كتاباته تمكس قلقة وهجومه :

« كلما نظرت إلى أمي ويومي إصايتي الفزع !! فانا حتى هذه اللحظة أعيش في الدين .. ليس عندي ما أملكه .. حتى ملايس .. فهي بالتبسيط ! وقد عرفت ناسا عقلاء حسنا ولكنهم الحساب .. فلما أدركتهم القبحوخة مثلا .. وجسدوا ما يتفلقونه حل أنفسهم بلا نصيب !

لما أنا فلا استطيع أن أحصل على ما أريد به همتي .. إلا بصرق عكلى .. ولا استطيع أن أظفر بما يساه رمقي .. إلا إذا انهكت ما تبني من قواي .
وفي أول كل شهر أواجه وحشا مفترسا .. هو القساص الذين لا يريد أن تنتهي !

تمتيت لو كنت فلاحا أملك فداناً لزده بنفسى . ولا أقرأ إلا الخضرة والسحاب ، والقميس السلطمة ، وطلام الليل .. ولا أسمع من الموسيقى إلا زفرة المعصور .. وسقيف الأبدق .. وأصوات الحيوانات .. وأقزير الصاقية .. »

وكان يحب التفتيح ، كان يقضي في اليوم الواحد ثمانين ساعة « كاييتوى » وكان يكره المساجير ذات « القنصر » لأنها حائل غير طبيعي بين طعامها ومزاجه .

وقد عرف كامل الضلوي تلميذ لئال منذ الصغر . فوالده كانت تملكه بطروش
الخاصة فوق مصروفه اليومي . فقط ليقيم في البيت بعيدا عن سخرية أولاد البيران
من بداهته . وكانت تطيب من خاطره بطروش بشرى حتى يغمر بالغزوها له أكثر
من أشقائه الرياضيين الأصحاء .

وكان كامل الضلوي قد كتب مقالة بعنوان « الفكر الذكي والثراء الشبي » فاتهمه
الأغنياء بأنه يثير عليهم الفقر . واهمة الفقراء بأنه يحاول تحذيرهم بكلام لايسمن
ولا يرضى من جوع ، وكان موقف طه حسين من مقالته . . أن رد عليه بكلمة لأذعة اختار
لها عنوان « جنة الفسوق » يقول فيها :

« قال الطالب لاستاذ الشيخ : ألم تقرأ ماكتبه الأستاذ كامل الضلوي في
جريدة الجمهورية أمس . وأنيانا فيه بأن يد لك لأمسك لئال ألا كتبنا تمسك لئال الترابيل ؟
قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الغني : لو أكثر قراءة القرآن لأمسك حسن ذلك
صعدنا ، ولأطلق حين يحسن الإطلاق ، واقتصاد حين يجب الاقتصاد . »

قال الغني لاستاذ الشيخ : وماذا ؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه : رأت أيضا لاقرأ القرآن . ألم تسمع قول الله
هو وجل : « ولا تبطل هذه مخلوقة إلى عتاك ولا تبطلها كل البسط فتتعدى ملوما
محصورا » وقوله عز وجل قبل هذه الآية : « إن للذين كانوا إخوان الشياطين وكان
الشيطان لهم كفورا » .

قال الغني لاستاذ الشيخ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . لقد حسنت أن
أذهب منهيب الأستاذ كامل الضلوي .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الغني : أياك أن تقلن فإن الله عز وجل قد وصف
الذين اسلموا قلوبهم له فقال في وسط وصفهم « والذين إذا انفكوا لم يسقوا وليس
يقفروا وكان بين ذلك قواما » . « فاحرس جهلك على أن تكون من هؤلاء » .
ثم كتب الدكتور طه حسين على هامش كلمته « هذه العبارة لا تنشر وإنما تعرض
على كامل الضلوي » . .

لكن كامل نهرها في يومياته وكتب يقول :

« لقد أمسك بي الدكتور طه ودماني في جنة الفسوق ! »

وكل ما قاله الدكتور طه لا يوضح للجل ، فهو من صحيح القرآن الكريم الذي
احفظه وأوس به ، ويعترف بأنه لا فهم لمنطق العقل ، مدلول ماورد في كتاب الله عز
التبذير والمباذير . . ولكن منطق العقل يتعارض أحيانا مع منطق السلوك !
وكفنه فادني سلوكي بمنطق الخاص إلى أن أبلر في انطلق المال ، وهو منطق
يقوم على أن التبذير الذي يحصل من التسلط ، ليس هو التبذير في المال بالانفاق .
ولكن التبذير في العمر بالحرمان من لئال الحلال . والحرمان يقتضي التقتير في
الانفاق ، وهكذا يصبح لرصيد الحياة ، وهو شر أنواع التبذير والتبذير !

كان هذا منطق سلوكي لم فهم التبذير . وهو منطق يتعارض مع منطق العقل . .
إن كان ذنبنا فانا التلميذ الغني لم وقع فيه وحدي . . ولكن وقع فيه أيضا الأستاذ
الشيخ !

والأ لئال في استاذنا وشيخنا طه حسين ملأ جميع من لئال ؟ ولماذا التفتي شير
البيت الذي يسكنه الآن ، وكان إلى سنوات قليلة ضمت مستأجر السكن ويلقي عرق
جبينه على الديون !

ماذا جمع طه حسين ؟ ماذا جمع الرجل الذي ملأ الدنيا ، وشغل العالم ، وزجج
مئات الآلاف من الجنيحات ؟

وليسمح الدكتور طه أن استعير أسلوبه في « جنة الشوك » ، وأختم به كلمتي
على هذا النص :

قال التلميذ الفتي لاستاذ الفيوخ : أليست هذه حقيقة .. حقيقة تؤكده ؟
قال الاستاذ الشيخ كتلميذه الفتي : انها لا تؤكده . انها تعرفني 1

وكامل الشناوي كان « مبلواً قاتلاً » ورغم أنه لم يكن « ثرياً قاتلاً » . وكان
المال في جيبه مسافراً « ترانزيت » يأتي سريعاً ويذهب سريعاً . ولم يفر في حياته
لضيلة الدخار . والجنيه الأبيض أكثر فائدة اليوم والزم من اليوم الأسود . ولم يجد
منقذاً للمال الأوليا إليه يقتصر منه . وتراكت ديوله لدور الصحف التي عمل بها
وعندما ذهب الورقة إلى حزانته في بنك مصر . ونحسوها . لم يجدوا فيها طليماً أيضاً .



● عرف كامل الشناوي لياقي الكباريات وهو شاب . ولكنه لم يدخل الكبارية
بعد الثورة وأصبح مغلاً في شرايه . وكان يقول أن الظروف السياسية تلصق دورما
الهام إلى تغيير المآلات والتقاليد وملامح الحياة . . . وكان يحتفظ في ذاكرته بالعديد
من قصص الترام التي عاشها جيله من الأدباء والمصنفين والفنانين ورجال السياسة
.. فقد كان قلبه وقلوبهم مفتوحة على الحب والصلة والصداقة السقيية التي تصيد
لرؤايح الصلاف . . .

وكانت ذاكرته كأنها قائمة تضم أسماء العديد من أسماء الفئانات المشهورات
ويعرف أسامهن الحقيقية عندما كن غائيات ثوارات متواضعات .

وبما عرفت منه بعض المعلومات عن مطربة جميلة ، تقدم الرأيا من الإنساني
المتمسكة الإداء . وكانت متزوجة يضابط من البايون بعد ٢٤ يوليو وكنت أنشد
محرراً في شئون الفن والأدب . . . واستخدمت هذه المعلومات بعد ذلك في تطبيق عمل
فيأخرة الأعلام التي تمنى بسيرة حياة الرافضات والسوالم بمناسبة احتفالهم ذلك فلطربة
لفناج فيلم لها عن قصة كفاحها الفني . وذكرت كيف بدأت حياتها في « حوش
الفركاوي » وأنها كانت مشهورة آنذاك باسم « قطط » وذكرت اسم صبيها « المالة »
التي تبنت موهبتها وكانت مشهورة باسم « دلش » . . .

وغضب كامل الشناوي من أشد الغضب والتي على درسا لأنساء وذهب
بنفسه يزورها في المستشفى وهناكما بالصليبة الجراحية التي أجرتها . وقدم لها عداياه
من الورد والحطوي . . . وطيب خاطرهما وتوسط لهما في بعض زويجا الباطلي .

وفي مجلس له سمعت منه معلومات غاية في الأهمية وكانت حول مايتحدث عن
ولادة « حياة صبرى » وكانت أسر زوجات الفنان العظيم سيد درويش . وكانت مطربة
تتمسكة الشهرة ، وقد لمن لها العديد من الأغاني والأوبرات . وقال كامل الشناوي
أن حياة صبرى مازالت على قيد الحياة . وأنها تزوجت بعد وفاة سيد درويش عسفة
واتجبت منه ابناً اسمه جميل أصبح طياراً عسكرياً . ومازالت تعيش بجوار مقبرته
في الإمام بعد استشهادها في حربه ١٩٤٨ .

وتحدث التلميذ بصديق صفي مشير حول حياة صبرى . واستأذنته . ووالقي
لأن الموضوع فيه فائدة للفرد ، وثارة وكثافة وذكريات . . . ولكن ماذا يريد القراء أن
يسرفوا أن ثلاثة تزوجت هيلاتي . . . وإن اسمها كان قطط . . .

وعندما كان يواجه الضعفاء من أعدائهم يقول : « انظر دائما حتى لا يمشوا عليك وليس هناك ما يضايقهم أكثر من ذلك » ..

من هنا ظل كامل الفسفاوى صديقا لكل القتاتين على اختلافهم . وكان وهو الفنان الفريد للروايات والرقعة والرح .. يفسر وسط مشهوراته مع الفنانين ، بالصداقة الحقيقية والألفة والرح ، وكان يقول أن ولادة طفل لا تقتل في الأمه في ظهور الانبياء والزعماء والمجسدين . وكان يتصلى لو أنه ملحن يشهد ولادة للموسم والألحان . وكان يتصلى لو كان تافرا مجتهدا مثل جمال الدين الافغانى .. وكان دائما يردد عيساوته التي خاطب فيها الفلاح المصري : « اني أعجب لك .. كيف تفسق الأرض بفاسك .. ولا تفسق بهذا الفاس قلوب طملك » ..

ولم أعرف كامل الفسفاوى للقاص . ولكن سلوكه في حياته ومع نفسه وحيه الطائش كان مقامة كبرى .. وما عرفت أن كامل الفسفاوى كان في الماضي مقامرا كبيرا لا يتوقف عن اللعب مهما كانت خسارته . ويقال انه أفسد ذات ليلة ولعب على مسابقة « بنتي » فاضرة كان قد اشترعها منذ أيام وخسرها . وعاد الى منزله على الاقدام . وأنه اقترض ألف جنيه لفرضه أبطلة صبيح بالاسكندرية . وعاد الى القاهرة صباح اليوم التالي بعد أن خسر كل القرض على مائدة القمار .

وسأل كامل الفسفاوى مع ذلك . كان حاله مع أفكاره الذكية وآرائه الخاصة للبحث فكان يتكلم أكثر مما يكتب . ولهم عنده الفكرة . وليس صاحب الفكرة . المهم أن تحصل الفكرة وليس أن يتبناها . وكان يلقي بأفكاره في مشهوراته ليقتات عليها غيره من الادباء والمصنفين والكتاب .

كان يقول : « يظل الانسان عاقلا الى أن ينقر كتابا » .. وقال : « لن يصل أحد الى الكمال من أبناء الجيل الجديد . ولن يقترب من الكمال » الا اذا بدأ يصيح عنده شيء يعطيه للآخرين » ..

وكامل الفسفاوى ترك روايه أعمالا أدبية كثيرة . منها دراسات عن عدد من الشعراء القدماء والمحدثين .. بينهم البطريرى وشوقي وعبد الحميد الديب . وذكريات عن مصر اثنان الحرب العالمية الثانية .. و .. وكثيرا من الأفكار والأشعار وقصة طويلة بدأها منذ عام ١٩٥٠ ولم يكملها وهي ثروة هائلة تصلح للتحقيق والنشر تحت عنوان « أعمال لم تقم » ..

وهكذا كانت أعمال كامل الفسفاوى عناوين لحياته وشهاده وسير وسلوك لمحبياته ونافذة لبعض أفكاره ومشاعره وأحلامه .. وظل أكثر انتاجه أعمالا كميته . لحننا عظيما وروايات لم يتم . أما حياته التي عرفها الناس فكانت لحننا يمزجه كل يوم من صوته وماله وعقله ولغضابه وسعرياته .

ولأن كامل الفسفاوى كان صديقا لبقا يتمتع بقدرة فريدة على التعبير بمسوته وملاحظته عن آرائه ورواياته للقصير . بالإضافة الى سرعة بديهة وخفة ظله . كان مستقاهم يتولون له أن يصبح لهم نجوم التليفزيون . وأن تمتع شهرته على شاشته كمشاور بارع مع من يستضيفهم للحديث معه .

وبالفصل أصبح كامل الفسفاوى وشهد اعتياده للتسميحين للتليفزيون وطالبوا بإعادة عدة برامج كان قد سجلها . منها « عزيزي القاصد » الذي كان يصدر عليه فوزى وقصصه ليل رستم . وطلفين من برنامج كنت أعده يتوقف « من غير ميعاد » وكانت تقامه أمانى ناشد . وللأسف التسميد الفيت شرائط هذه البرامج . ولم يبق سوى بعض التسجيلات الصوتية لكامل الفسفاوى في الاذاعة . ولدى بعض الأصناف ..

وكانت حياته مجموعة من اللوحات ومجموعة من التناقضات . تماما كما كانت مجالسه ..

وفي مجالسه العفائية دائما - كان هناك خليط لا يمجسه ولا ينسحق بينه سواء •
• بورجوازيون • جاها يستمتعون بحديثه الجذاب . يستمعون فيه نسمات الماضي
القريب • رثويون جاها يعرفون منه الأحداث الوطنية للتلاطمة التي عاشها سياسيا
وصحطيا . والتي لم تزعج حبه أو إيمانه بهذا البلد ، وأدباء يجلسون حوله يروى لهم
الشعر • ويحول التصوص القديمة في مسلمهم إلى صور ساحرة متدفقة بالحياة •
وفيها أيضا فنانون بوهيميون أو شاعرون لا يجسدون من ملهم نزواتهم ومن يحجبهم
ويغفل لهم غيره • ومجازيب من أبنائه في يولفون حبه الصوفي وعطفه العميق على
مأساة الإنسان • وكان مايمته من حيوية وتعلق في مجالسه كشاعر جليل وراية
عذب ومحدث على ثقافة وعلم وتجلوب وذكرات .. يحصل الليل مهما طال معه قصيرا •

ومن الظواهر المشهورة في الأدب المصري ، أن الشاعر أو الأديب الذي يضطك
كثيرا في حياته ، يبكي كثيرا حينما يحضر إلى نفسه ، ويمسك بقلمه •
هكذا كان شاعر النيل حافظ إبراهيم •

كان من أطرف طرفه صره ، وكانت له نكات مشهورة • ومع ذلك فانه عندما
ترجم عن أدب الغرب اختار • اليؤساء • ليفكتور هوجو • • وعندما كتب نثرا • ليألي
سطينج • كانت حروفها دموا ولما وشجنا • • وعندما نظم كان شعره عناديا وشكوى
وأنيبا • •

وهكذا كان الشيخ عبد العزيز البشري وعبد الحميد الديب وأحمد رامي • •
ورامي إذا حدثك ملا الكون من حوله رقة وجمالا وطرفا ، وإذا نظم فاشتغاته لوعة
وجرمان • •

وفي شربهم كان كامل الشناوي الذي طالما ملا الليالي طربا وبهجة وابتسما ، كان
إذا حلا إلى ذاته ، التفت به الحزن والكيف واليأس ، وهو إذ تفتت حوله يلحله
هذا الشعور يوحده في الحياة حتى بين ذويه وأهله :

اينافى مصر بين أصلي
واشتكى لوعة القريب
ويرغوى الورود من دموى
ليصبح الشوك من نصيبى

وعندما دامه المرض تنازعه الموت والحياة • • وعاد إلى الحياة تطحنه دوة
الزمان وخشيته من الله ويوم الحساب :

أه من دودة الزمان • دعنى
ورمىنى في غمرة التسمين

• •

• •

قد تغلبت عناية الله عني
وتغلبت عناية الشيطان •
فما لي من ميمى وضائق حالي
لا صلاتى تفي • • ولا ألتامى

هكذا كان الناس يتهاقون على مجالس كامل الشناوي • • ويستمعون ويهللون
من يصر عطائه وحديثه وشعره وطرفه • • إما هو فكان حاله مع نفسه مختلفا • •

كتب يقول : كثيرا ما أسأل نفسي : لماذا أنا شقي ؟ فيم هذا الألم الصامت الصميق ؟
فيم هذا الجذر أن أرحن حتى لا أتالم .. والجذر من القرح حتى لا أرحن .. لأن الجرح
في حياتي يتعقب الليل النهار .

ما من ابتسامة ارتسمت على شفتي إلا دفعت ثمنها دما وأثينا . وما من أمل
مشرق في خاطري إلا أغرقه ألمي يثني .

وكان قاسيا بعض الشيء مع نفسه ومع الآخرين . خاصة بعد المرض الذي ألم به
في عام ١٩٦٤ . كان يرى كل شيء حوله يتقلص . ولغنيه كثيرة في داخله تفسد
أو تنهار . وكل شيء يذهب ولا شيء يبقى .

كان يقول : الناس جميعا يستنون أن تطول أعمارهم . هذه هي القاعدة . وقد
يشبه عنها بعض المفكرين والفلاسفة وهوارة الانتصار . ولست والحمد لله واحدا من
هؤلاء ومع ذلك فاني كثيرا ما أتساءل : هل طول العمر نعمة أم هو عقوبة ؟

وسألته إحدى صديقاته : ألا يساورك الخوف من الموت ؟

وأجابها بقوله : « ماتت حيا فمن أحس بالموت حتى أخافه . وإذا مات فاني
سأصبح عاجزا عن التصور بالخوف أو الفسور بالطمانينة .. إن الموت ليس مشكلة ،
الحياة هي المشكلة .. »

وإيمان كامل القنطاري بالله كان لإساده إلا النفور من الشر به . وكانت ذنوبه
إيمانه تجعل في تأكيده على حقه في معصية الله .. أليس « كل ابن آدم خطاء وخير
الطوائس الثوابين » كما يقول رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وكان يقول : « لذا جاء يوم الحساب . فمن يحاسبوني قط على صيغاتي .. لأن
« الحسابات يذهبن السيئات » كما يقول الله في قرآنه الكريم . »

وعندما غاب عن الوعي عام ١٩٦٤ كتب بعد عودته إلى وعيه يقول :

« أعطيت بضع ساعات في عالم اللاوعي . ذهبت إلى الجنة وعشيت في
قصورها المشرقة على نهر الكوثر . وكانت بها نافذة تطل على طائفة جهنم .. »

ورأت هناك عددا كبيرا من المفكرين والعلماء والفنانين .. وكل من ساهم في
تصوير الدنيا وتجميلها ..

واكتشفت أن الطريق إلى الآخرة ليس فيه حساب ، ولا عذاب ، ولا حواجز
جمركية . ولا جوازات سفر .. »

ثم كتب وهو يستشرف النهاية :

« ألا لا أخشى آخرتي ، لأنني أتصورها أكثر جمالا وفنا وخيرا وحقا من الدنيا .
لقد كنت في شبابي أحبب لقاء الله ، لأنه لم يكن عندي من مؤهلات اللقاء
ما يشجني على أن ألقاه . كان إيماني شعورا فقط . وقد أصبحت بعد الله جديرا بأن
ألقى ربي في كل لحظة .. فانا لؤم به بلهم وألقمه بإيمان . »

أنا ابن هذه الدنيا التي خلقتها الله . ولم أفض منها عيني ، لاني أدركت عظيمة
هذا الأصل الفني الإلهي .. فلذا اختارني لآخرته . فساكون جديرا بهذه الآخرة . بعد
أن دخلت تجربة الدنيا .. وبألمها من تجربة ! »

وعندما امتحن نفسه ذات يوم . أعطى لنفسه هذه الفرجات من عشرة :

(الشجاعة ٦ ، الذكاء ١ ، الشقاوة ٦ ، الصديق ٨ ، الصبر ٩ ، الطيب ٢ ،
الغيرة ٧ ، الأمانة ١ ، التمسك صفر ، الحب ١٠ ، الذكاء : يعطى منه . الإطسلاخ :
نصفه بحكم الحياة) ..

وكترب ساعة الوداع ..

كان أمسه قاذره يحتفلون بعيد ميلاده كعادتهم السنوية في منزل
محمد حسين هيكل . وكان كامل ينتظر هذا الطفل ويتألق فيه ويريد . وأدار
الإسكندرية جهاز التسجيل بأغنية صباح تنهي فيها كامل الشناري بعيد ميلاده . سنة
طولة يا حبيبي ، وألفوا التسوع ثم أضافوا الدور . لماذا يكمل يكي ..

كان يدرك ان هذه السنة لن تكون طولة .. ولذلك يكي .
ويقترب موعد حفل عيد ميلاده الخلفى والخمسين أو السابيع والخمسين بحسب
يوم مولده عام ١٩١٠ أو عام ١٩٠٨ وهو الأكثر دقة وصحة .
ويعود بعض أصدقائه من الخارج خصيصا ليشهدوا الحفل معه . ولكنه خدمهم
ودخل المستشفى .

وعندما قالت له الممرضة : سيعم شفاؤك هذا الأسبوع .
أشار بإصبعه . ايها .

وقالت له نهلة القنسي (زوجة محمد عيد الوهاب) :
- هلدى لك منيرة لطيفة بعد ما تخرج .
قال : لا .. هذه المرة سيطول الرقاد .

كان كامل الشناري كأي طفل للماسي يتأصل في معركة خاسرة . كان يزداد
إحساسه كل يوم بأن العالم الفكري والنفسى الذى إلهجه لنفسه إنما صنع من
حيوط وهمية . وكان هذا الإحساس يملؤه بالمرارة لأعلى نفسه . ولكن على العالم
الذى يرفض أن يكون جميلا .

وفي مرهه الأخير . لم تكن تشغله على الإطلاق صحته . كانت المحنة الفكرية
قد بلغت كمتها . وكان قد يش من فزع العالم هل لن يكون كما رسمه .. ولم يبق
إلا أن يتسحب منه ..

عندئذ فقط لم يعد يريد أن يعيش ..

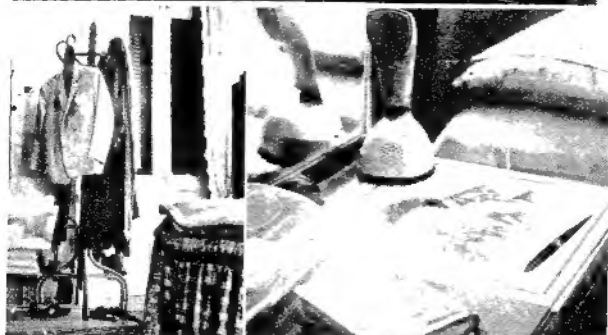
خالد أطباء . وخذل كلاميليه . وخذل الدنيا التى خذلته . فأدار ظهره . وعلى
كأنما يقول لها : كوني كما تبينى .. لا أريد البقاء ..

لقد كان كامل الشناري طيفا ضخم الحجم . لكن هذه الضخامة لم تحميه من أن يمر
بهذه الدنيا . ويكمل ما فيها مرأ سريما كالنسيم . فلا تكاد تصدح مكانه من التارخ
ولم تناصر :

هل كان سحيا ؟ هل كان أدبيا ؟ هل كان شاعرا ؟ هل كان مدانا ؟ هل
كان فكريا ؟ هل كان فيلسوفا ؟ هل كان مؤرخا ؟ هل كان مبدعا ؟ هل كان طويلا ؟
لقد كان كامل الشناري كل ذلك في ذلك كله !
يرحمه الله . ويرحم زماته !

رقم الإيداع ٨٠/٢٠٤٠

التوزيع النوبلى ٢ - ١٤١ - ٣٢١ - ٩٧٧ ISBN



تليجرام



غواصون في بحر الكتب



• المؤلف •

• يوسف الشريف - الترميل بروح اليومعه .
ليس غريبا عن كامل التساوي - فقد كل واحدنا
من أخصى تلاميذه المقربين اليه - والتقريب
من حياته العامة والخاصة - من فكره وقلبه -
عاش معه أفراده وعناياته - فاستطاع - خلال
السنوات العشر الأخيرة من عمر الكاعمر
الرائع - أن يسجل - بقلمه - كثيرا من أفعاله
ونواياه وسفرياتة وحركاته التي اشتهر بها في
مجاله ومهنته !

من هنا كانت قيمة هذا الكتاب - على وجه
دؤوب - فهي الى جميع شرائح أدب تابع من
اتصاله بالناس والمجتمع والحياة - فتأثر بهم
قبل أن يؤثر فيهم - وكان علامة مميزة - في
هذه الفترة - مما أرى لقيمة الكتاب لما فيه من
قيمة فنية واللون والحوار وحملت بكل ما خلفه
وراءه من أدب مكتوب - من خلال مناجاة
زمنية عميقة ومتدفقة - لسراجل حياته كامل
التساوي في عوالم الطفولة والصبا والشباب
والكولة - سواء في متديات الصفاة والأواب
والفن والسياسة - أو في أجواء التجميلين
والعشاق ورفقاء ذلك الزمان !

5

ih

Bibliothèque Alexandria



0579672



الشن • قوشا